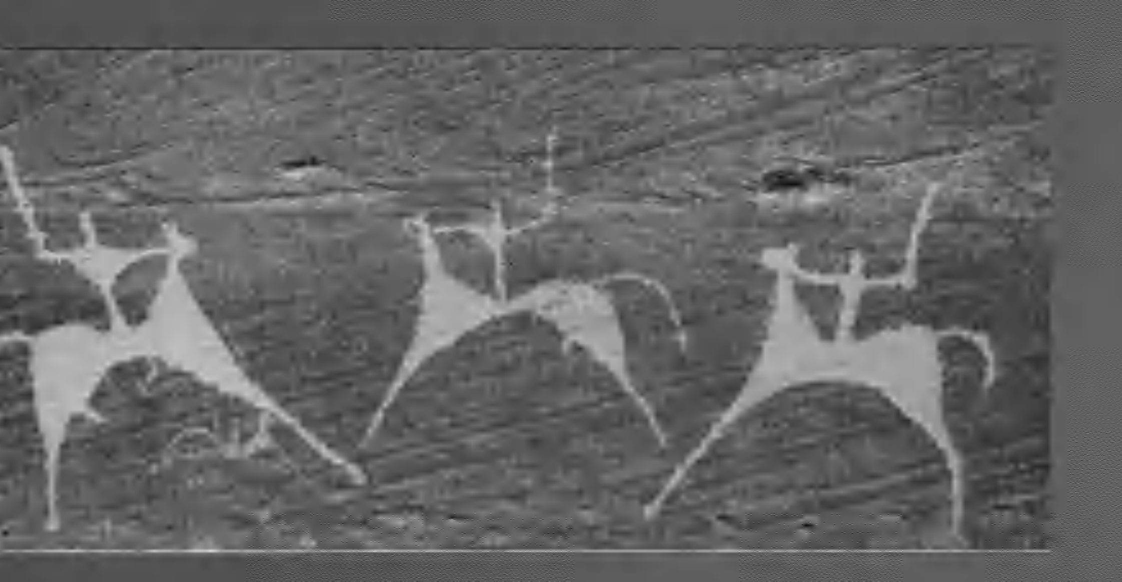
محمد آل هتيلة

نجـران والنصرانية الأولى



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

حين طلب مني صديقي الباحث السعودي (النجراني) محمد آل هتيلة، أن أكتب مقدمة مؤلفه الأول عن نجران، وجدت نفسي وأنا أقرأ مخطوطة الكتاب، أن من الأفضل بالنسبة للقراء، أن أعيد نشر بعض الأفكار التي وردت في كتابي (المسيح العربي). إن الحاجة إلى توضيح الجانب المخفي من تاريخ هذه المدينة، هو دافعي الوحيد لإعادة نشر بعض أفكاري. وفي هذا الجزء المعدّل منها، والمعاد تكييفها كمقدمة، وجدت أنني قد أقدّم للقرّاء ما يساعد في فهم أطروحة كتاب آل هتيلة، ذلك أن قصة ولادة المسيح تحت ظلال نخلة - بحسب النص القرآني - لا تزال ذات طابع إشكالي مثير للسجال، فالبعض من الباحثين ذهب إلى الربط بينها وبين فلسطين، وهذا ما لا أساس له.

تقدّم لنا روايات المؤرخين العرب القدماء عن «نخلة نجران» التي عُبدت في وادي نخلة - ما يعرف عند الإخباريين المسلمين بالشعبة اليمانية - تصوّراً متقناً عن عبادة قديمة من عبادات الوثنيين في الجزيرة العربية واليمن ونجران. هذه العبادة ذات أساس طوطمي ضارب في القدم، ويبدو أن للإشارة القرآنية عن ولادة المسيح تحت ظل النخلة، صلة من نوع ما بالأساس الروحي الذي نهضت فوقه عبادة الأشجار المثمرة. يقع وادي نخلة في زبيد - محافظة الحديدة باليمن - وانتقل اسمه إلى جنوب غرب الجزيرة العربية مع موجات المهاجرين اليمنيين قديماً، ثم في وقت لاحق أصبح اسماً دالاً على وادٍ بعينه دعي بـ (وادي نخلة - الشعبة اليمانية) وقصد به فرعاً متصلاً بنجران. إن علاقة القصة القرآنية عن مولد المسيح تحت نخلة باسم هذا الوادي يجب أن تكون مدخلاً لدراسة قصة نجران القديمة، وهذا ما فعله الباحث محمد آل هتيلة. لكن القصة برأيي تحيلنا فكرتين جوهريتين، تتصلان بمسألة انبثاق الديانة النصرانية في نجران، قبل أن تتبلور وتصبح تالياً مع بولس الرسول مسيحية، نسبة إلى المسيح - المشيح التوراتي.

فاضل الربيعي









نجران
والنصرانية الأولى

نجران والنصرانية الأولى

محمد آل هتيلة


الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1436 هـ - 2015 م

ردمك 978-614-01-1452-4

توزيع



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص. ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http: //www.asp.com.lb

تصميم الغلاف: منصور زمانان

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

إهداء

إلى:

- أرواح المؤمنين الذين قضوا نحبهم في حادثة حرق الأخدود.

- الدكتور فاضل الربيعي.. من الأعماق شكراً لك.

- أمي وإخوتي وزوجتي وأولادي.

المحتويات

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفهارس

مقدّمة

فاضل الربيعي

نخلة نجران والمسيحية الأولى

حين طلب مني صديقي الباحث السعودي (النجراني) محمد آل هتيلة، أن أكتب مقدّمة مؤلفه الأول عن **نجران**، وجدت نفسي وأنا أقرأ مخطوطة الكتاب، أن من الأفضل بالنسبة للقرّاء، أن أعيد نشر بعض الأفكار التي وردت في كتابي (**المسيح العربي**). إن الحاجة إلى توضيح الجانب المخفي من تاريخ هذه المدينة، هو دافعي الوحيد لإعادة نشر بعض أفكاري. وفي هذا الجزء المعدّل منها، والمعاد تكييفها كمقدمة، وجدت أنني قد أقدّم للقرّاء ما يساعد في فهم أطروحة كتاب آل هتيلة، ذلك أن قصة ولادة المسيح تحت ظلال نخلة – بحسب النص القرآني – لا تزال ذات طابع إشكالي مثير للسجال، فالبعض من الباحثين ذهب إلى الربط بينها وبين فلسطين، وهذا ما لا أساس له.

تقدّم لنا روايات المؤرخين العرب القدماء عن "**نخلة نجران**" التي عُبِدت في **وادي نخلة – ما يعرف عند الإخباريين المسلمين بالشعبة اليمانية** – تصوّراً متقناً عن عبادة قديمة من عبادات الوثنيين في **الجزيرة العربية واليمن ونجران**. هذه العبادة ذات أساس طوطمي ضارب في القدم، ويبدو أن للإشارة القرآنية عن ولادة المسيح تحت ظل النخلة، صلة من نوع ما بالأساس الروحي الذي نهضت فوقه عبادة الأشجار المثمرة. يقع **وادي نخلة في زبيد** – محافظة الحديدة باليمن – وانتقل اسمه إلى جنوب غرب الجزيرة العربية مع موجات المهاجرين اليمنيين قديماً، ثم في وقت لاحق أصبح اسماً دالاً على وادٍ بعينه دعي بـ (وادي نخلة – الشعبة

اليمانية) وقصد به فرعاً متصلاً بنجران. إن علاقة القصة القرآنية عن مولد المسيح تحت نخلة باسم هذا الوادي يجب أن تكون مدخلاً لدراسة قصة نجران القديمة، وهذا ما فعله الباحث محمد آل هتيلة. لكن القصة برأيي تحيلنا فكرتين جوهريتين، تتصلان بمسألة انبثاق الديانة النصرانية في نجران، قبل أن تتبلور وتصبح تالياً مع بولس الرسول مسيحية، نسبة إلى المسيح - المشيح التوراتي:

الأولى:

إن **عبادة النخلة**(1) في اليمن ونجران والجزيرة العربية عموماً من العبادات القديمة، وهي تندرج في سياق ثقافة دينية وعبادات قديمة سائدة ومتوارثة ذات صلة بمثيولوجيا ولادة المخلّص تحت الشجرة. وبهذا المعنى، فقد تلازم ظهور المخلّص مع رمزية الخصب التي يمثلها انتشار الزراعة. ومن الواضح أن رمزية الشجرة شديدة الصلة بفكرة المخلّص نفسه، فولادته تعني ولادة الخصب، أي الخلاص من الجوع والجدب والفناء وأقدار الطبيعة. لقد عرف الكثير من مجتمعات القبائل البدائية والقديمة عبادة الإلهة الأم (**الآلهة الأنثى**). ولعل عبادة عشتار البابلية وإيزيس المصرية، هي في قلب هذا الإطار التاريخي لظهور وتشكّل سائر العبادات والطقوس المرتبطة بالخصب، وبالتالي فهي استطراد وتواصل في عبادة سابقة عرفتها مختلف المجتمعات في الشرق القديم. والمثير أن **تماثيل إيزيس المصرية تُظهرها** وهي تجلس على الكرسي، بينما يجلس طفلها حورس في حضنها، وهذه صورة مُطابقة تماماً لصورة العذراء وعيسو (**عيسى الطفل**). وفي الديانة البوذية ثمة صورة مماثلة

(1) نجران برأي الجغرافيين القدماء، وطن هو الأكثر شهرة بجودة نخيله وتمره بين سائر البلدان التي تنتج التمر في الجزيرة والخليج وشمال أفريقيا والعراق. قال عنها مؤرخ اليمن الشهير الهمداني (صفة جزيرة العرب) أنه لم يذق تمراً أطيب من تمر نجران. قد تكون عبادة هذه الشجرة اتخذت عبر التاريخ الطويل، طابعاً دينياً وطقوسياً تؤكده الأساطير. قال الهمداني عن نجران (صفة جزيرة العرب، ص ٣١٩: (وفي - نجران - النخل البعل لا يشرب إلا من السيل، وربما أسنت فأتى بالتمر عن ريّ سنة واثنتين، وبها القسب من التمر -... يضيف الهمداني: - قال أبي رحمه الله: قد دخلت الكوفة بغداد والبصرة وعمان ومصر ومكة وأكثر بلاد النخل وطعمت التمران، ما رأيت مثل مدبّس نجران جودة وعظم ثمره خاصة تملأ الكف التمرة).

للإلهة الأم وهي تحتضن الطفل. وكما لاحظ ك. غ. يونغ في (الإله اليهودي)[1]؛ فإن ثمة علاقة بين صورة الإلهة الأم والمدينة الوثنية. ويبدو أن المدن الوثنية التي قدّست الأشجار، كأشجار النخيل والبطم والزيتون والسرو، أو مارست طقوس عبادتها، إنما كانت تواصل تقاليد ثقافية وروحية سابقة، لأن رمزية الأم والشجرة متطابقتان؛ بل إن الأشجار كانت تحمل باستمرار رمزية الأم أو إلهة الحب عند المجتمعات العربية القديمة. ولذلك وُجدت على الدوام مذابح مقدّسة للأم في المرتفعات والجبال اليمنية بشكل خاص، وقد تصدرتها في الواجهة الأمامية شجرة كبيرة. وفي الكتاب المقدس (التوراة) يمكن للقارئ أن يُلاحظ كيف أن الأشجار في المرتفعات كانت ترتبط بالوحي الإلهي، مثلما هو الحال مع قصص **موسى وإبراهيم**، حيث تظهر أشجار البلوط الضخمة أو البطم في صورها الرمزية الأخّاذة كمصدر من مصادر الوحي والبشارة. ولعلّ الصورة المدهشة التي يرسمها القرآن لولادة المسيح تحت ظل النخلة، وأمّه العذراء التي ولدته من غير دنس (من دون رابطة زواج) ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[2] هي التي أثارت التساؤلات عن معارف العرب بولادة المسيح، وكيف قُيّض لهم أن يتخيّلوها وكأنها تمت تحت شجرة نخيل (بينما لا توجد أشجار نخيل في بيت لحم الفلسطينية)؟

في الواقع تتعدى هذه الصورة الدينية نطاق التلميح إلى وجود عبادة زائلة عرفتها الجزيرة العربية، ويمكن اعتبارها إشارة إلى النصرانية الأولى التي ظهرت في أرض العرب كدين زراعي في مواجهة يهودية الرعاة اليمنيين. وعلى الأرجح؛ فإن الصورة المدهشة لولادة المخلّص في ظل نخلة، ترسم إطاراً عمومياً للبشارة الدينية بولادة المسيح العربي، وهي بشارة كانت تتردد في أرجاء الجزيرة العربية طولاً وعرضاً. وعلى منوال هذه البشارة التي سجّلها النص القرآني بدقة، رسمت المثيولوجيا العربية – الإسلامية صورة موازية يظهر فيها النبي يونس (يونان)

(١) يونغ، ك. غ: "الإله اليهودي"، ترجمة نهاد خياطة، سورية – دار الحوار، ١٩٨٦، مصدر مذكور.
(٢) سورة مريم، الآية: ٢٥.

وقد التفّت حول جسده شجرة يقطين فور وصوله إلى الشاطئ، وبعد أن خرج من جوف الحوت حيّاً وحاملاً البشارة لسكان اليابسة. لقد عرف العرب قديماً عبادة الشجرة المسمّاة ذات أنوط، حتى أن المسلمين في الإسلام المبكر، كما في سيرة ابن هشام، طلبوا من الرسول ﷺ أن يجعل لهم شجرة مثلها، يتقرّبون إليها ويحتفلون تحت ظلالها، فنهاهم عن ذلك. وهكذا، فقد أصبحت النخلة موضوعاً دينياً متواصلاً ومستمراً حتى مع ظهور أديان كبرى، وكانت تُعبد في سائر مناطق نجران وما حولها. وفي فجر الإسلام طلب الرسول ﷺ من خالد بن الوليد مهاجمة وادي نخلة وتحطيم تمثال العزّى، وكانت – حسب وصف ابن الكلبي في كتاب الأصنام – **إلهة في صورة نخلة.**

قال **ابن الكلبي في الأصنام:** فلمّا (كان يوم الفتح – فتح مكة – دعا النبي ﷺ خالد بن الوليد، فقال: **انطلق إلى شجرة ببطن نخلة فاعضدها. فانطلق فأخذ دبية فقتله وكان سادنها**)[1]. وهذه الرواية تقطع دون أدنى ريب، بأن المعبودة كانت شجرة نخل في الوادي، وأن العبادة كانت ديانة قديمة، وأن خالد قتل كاهنها الذي يدعى دبية.

ويبدو أن العرب في بلاد الشام عرفوا في هذا العصر أيضاً عبادة الإلهة – الشجرة، ارتباطاً بالقصة ذاتها لمولد عيسى بن مريم، فقد روى صاحب التاج وياقوت (معجم البلدان) أن في الناصرة – بفلسطين – "مولود المسيح –، ومنها اشتُق اسم النصارى[2] وكان (أهلها عيّروا مريم فيزعمون أنه لا يولد بها بكر إلى هذه الغاية، وأن لهم **شجرة أُترُج على هيئة النساء. وللأُترُجة ثديان وما يشبه اليدين والرجلين وموضع الفرج مفتوح**)[3]. ومن غير شك؛ فإن وجود تمثال لشجرة (إلهة أنثى) لها ثديان وما "يشبه الفرج" يُدلّل على نوع وطبيعة الدمج الذي قام به العرب القدماء بين صورتي **النخلة والمرأة**، وهو دمج سوف نرى

---

(١) ابن الكلبي، الأصنام.

(٢) الأُترُج: شجرة تعرف اليوم باسم النارنج. والتأويل اللغوي الذي يشتق كلمة نصارى من الناصرة، مرفوض من أئمة اللغة، فلا علاقة بينهما.

(٣) انظر الرواية في تاج العروس (مادة نصر).

بعض تجلّياته في الآية القرآنية، حيث تتماهى صورة مريم (المرأة، الإلهة الأم) بصورة الشجرة. وما يمكن استخلاصه من هذا الترابط الرمزي بين الشجرة التي يتساقط منها الرطب، وبين المرأة التي تضع وليدها، يكاد يدعم بشكل غير محدود فكرة الترابط داخل العقائد العربية القديمة، بين ولادة المخلّص والخصب. وفي هذا النطاق يجب أن نلاحظ، أن الشجرة كانت تُعبد ارتباطاً بقصة مولود عيسى بن مريم، وفي مكان يُزعم أنه مكان ولادته (بينما يقال إنه ولد في بيت لحم وهذا موضع خلاف). إن معجزة ولادة الطفل المُخلّص من الشجرة المُتماهية مع الأم، يُدلل بشكل قاطع على جذرية هذا البعد الرمزي الروحي في النصرانية العربية بما هي دين زراعي. ولذلك من المهم للغاية أن نعيد تحليل بيت شعر المتنبي الشهير:

وما مقامي بأرض نخلة إلا

كمقام المسيح بين اليهود

إن ما يلفت انتباهنا في هذا البيت من الشعر، هو الجانب الخفي من العلاقة بين "أرض نخلة" والمسيح واليهود، ذلك أن المكان المقصود، إنما هو على وجه التحديد "وادي نخلة" اليمني القديم الذي انتقل اسمه إلى نجران، ثم اندثر ليظهر تالياً كفرع يعرف بـ (الشعبة اليمانية). فلماذا تخيّل المتنبي نفسه في هذه القصيدة وكأنه مثل المسيح في أرض نخلة (وادي نخلة)؟ هذا يعني أن معارف العرب القدماء، وهي معارف راسخة في ثقافة ووعي المجتمع لنفسه وتاريخه وقصصه وأساطيره وطقوسه، تؤكد أن النصرانية الأولى ولدت في نجران وليس في فلسطين. أما المسيحية في صورتها الراهنة فهي مسيحية بولس الرسول والعصر الروماني. وهذا التمييز ضروري للغاية من أجل دراسة تاريخ المسيحية وظروف تطورها بشكل منهجي، وبالتالي رؤية شخصيتي المسيح (يسوع المسيح الرّب وعيسى بن مريم النبي) من منظور جديد.

إن مزاعم اللغويين العرب المسلمين عن اشتقاق اسم النصارى من اسم الناصرة المدينة، غير صحيح بوجه الإطلاق، والأدق أنه من جذر كلمة (نصر) بمعنى غير المختون. وفي الحديث الشريف (لا يؤمنكم أنصر) أي غير مختون. وكنت شرحت هذه المسألة بإسهاب في مؤلفي (شقيقات قريش). إن المسيحية

هي التي أبطلت عادة الختان اليهودية، وكانوا يعرفون بـ (غير المختونين، أي نصارى) من الجذر اللغوي وليس من اسم الناصرة؟ ولا شك أن اقتران شخص المسيح باسم وادٍ عُبدت فيه شجرة النخيل، كما هو واضح من بيت شعر المتنبي وفي قصص العرب القدماء، أمر لا يدخل في حيّز المصادفة؛ فالعرب الذين تخيّلوا أو تداولوا قصة معجزة ولادته كما في النص القرآني، نظروا باستمرار إلى وادي نخلة نظرة تقديس خاصة، وبحيث ازدهرت حتى في الوثنية وعلى نطاق واسع، عبادة إلهة أخرى هي **الإلهة/النخلة المُسماة العزى**، وهي معبد ديني على شكل نخلة؟ سوية مع سلسلة عبادات، تدور كلها تقريباً في نطاق تقديس الشجرة الأم. وهذا برأينا هو مفتاح تفكيك لغز الخلط في مكان ولادة المسيح، ذلك أن الولادة صوّرت في مكانين أحدهما الناصرة والآخر (بيت لحم)؟ وفي هذا النطاق يجب أن يُلاحظ كيف جرى استخدام كلمات مثل "ناصرة ونصرة" بالمعنى اللغوي القديم، للدلالة على مسيل المياه بعامة، وليس للدلالة على مكان بعينه. وفي الحديث الشريف "**إن هذه السحابة تنصُر أرض بني كعب**"[1] أي تُمطرُهم. إن كلمة "تنصُرْ" تنصرف هنا إلى المطر، بما هو التجسيد الأعلى للخصب. وذلك ما يدعم – برأينا – العلاقة بين النصرانية التي كانت ردّ فعل على شرعة وطقوسية الختان اليهودي، وبين كون أتباع هذه الملّة من المزارعين، الذين طوّروا سلسلة متصلة من الطقوس والعبادات، تدور كلها في نطاق الخصب. وأرض بني كعب في حديث الرسول ﷺ هي نجران. قال حسّان بن ثابت (الديوان) وهو يشير إلى تحطيم تمثال العزّى في الوادي:

وأن التي بالسّد من **بطن نخلة**
ومنْ دانها فل[2] من الخيرَ معزل
وأن الذي عادى اليهود **ابن مريم**
رسول أتى من عند ذي العرش مرسل

---

(١) تاج العروس – مادة نصر.
(٢) الفل: ومنها الفلاة: الأرض المُجدبة.

لكن الإسلام وهو ينـــزع بقوته التوحيدية الهائلة، لا الروح الوثنيـــة الـــتي طبعت تكريم النخلة (الشجرة الأم) وحسب، بل ويجرّدها من الرمزية الخاصة التي تلازمت معها في ثقافة العرب الراسبة، ثم ليعيدها إلى وضعيتها الطبيعيـــة؛ اتجـــه وبنفس الدرجة من السرعة والجذرية، نحو توطيد نفسه كقوة ثقافية جديدة تعطي مكانة من نوع آخر للزراعة والخصب، بما أن الإسلام نفسه مثله مثل النصـــرانية كان ديناً زراعياً.

وفي الحديث الشريف "**أكرموا عمتكم النخلة**"[1] أي أكرموا "طـــويلتكم". والعمّة، كنية النخلة، كنّاها العرب والرسول ﷺ تعبيراً عن سموّها وعلوّها. والعم في العبرية والعربية صفة تفيد التسامي، ومنه العمامة بمعنى الكثرة ذات الهيبـــة. وفي هذا السياق يمكن التأمل عميقاً في الرواية التالية التي يسردها صاحب السيرة الحلبية (٢٧٠/١) من أجل تبيان قدسيّة وادي نخلة المستمرة طويلاً. قال صاحب الســـيرة الحلبية: إن النبـــي ﷺ في أول عهده قبل الدعوة إلى الإسلام ومعه علي بن أبـــي طالب، قصدا وادي نخلة هذا للصلاة، وإن:

(أبا طالب – عم النبيّ – اطلع يوماً عليهما وهما يصليان بنخلة – الوادي – فقال لرسول الله: يا ابن أخي ما هذا الذي أراك تدين به؟ فقال: هـــذا ديـــن الله ودين ملائكته ورسله ودين أبينا إبراهيم).

ويتبيّن من هذه الرواية الهامة أن النبـــي ﷺ كـــان يتقـــرّب إلى الله في وادٍ مقدّس، قبل أن يجهر بدعوته. وهذا الوادي هو شعبة من وادي نخلة يسمى نخلـــة الشامية (تمييزاً له عن نخلة اليمانية). وذلك ما يقول به كل الجغـــرافيين العـــرب القدماء وكما يؤكده اللغويون. وعند الزمخشري في الأمكنة والمياه والجبال[2] فإن نخلة الشامية كانت من أودية بني هذيل في طريق مكة على مبعدة ليلتين. ولعل في وصف الهمداني (صفة جزيرة العرب) ما يكفي لمعرفة المســـاحة الجغرافيـــة الـــتي يشغلها الوادي الذي تبلغ بعض روافده حدود مكة. يقول: إن وادي نخلـــة مـــن

---

(١) انظر كتابنا: شقيقات قريش.

(٢) الزمخشري: "الأمكنة والمياه والجبالُ". وانظر رواية ابن الكلبـــي في (الأصنام) التي يؤكد فيهـــا أن هذه الشعبة من الوادي الكبير تدعى وادي حراض على مقربة من العمير، وأن قبائل مـــن العرب بنت في هذا الوادي في عصور الوثنية بيتاً للعبادة يدعى "البس".

الأودية الكبار التي يشغلها الوادي الذي يبلغ بعض روافده حدود مكة. يقول: إن وادي نخلة من الأودية الكبار التي تنتهي إلى البحر، وإنه يبلغ في جريانه بعض أهم مدن الساحل اليمني مثل (العارة والعميرة من أرض بني مسيح - في حدود ما يعرف اليوم بمحافظة الحديدة اليمنية)[1]. ولنلاحظ هنا العلاقة الدلالية المثيرة بين وجود بني المسيح - من بني كعب - وبين وادي نخلة؟ وبنو مسيح هؤلاء، بطن من بني مجيد من حمير، عُرفوا عبر التاريخ بسيطرتهم على الساحل الشهير **ساحل بني مجيد**[2].

وهناك تختلط مياه الوادي بمياه البحر (عند الصحارى - وهو - موضع كثير النخيل)[3] وقد اشتهر الوادي قديماً بزراعة الموز وقصب السكر والحنّاء (وإليه تنتهي مياه أرض حبل)[4] وليس من أي مكان آخر. وهكذا يتبيّن أن ثمة علاقة عضوية (حيّة) وحقيقية بين الوادي ووجود عبادة النخلة وولادة المُخلّص في ظلها.

الثانية:

إن النصرانية العربية الأولى كانت ديناً زراعياً ارتبط بفكرة فلاحة الأرض، بينما كانت اليهودية في صورتها التاريخية، ديناً بدوياً ارتبط بجماعة من الرعاة والمهاجرين، وذلك ما تؤكده سلسلة لا تنقطع من الصور التوراتية عن بني إسرائيل كجماعة بدوية ترعى الإبل والأغنام. وبهذا المعنى؛ فإن الصراع بين الديانتين كان يتمثّل في صورة - المسيح - المشيح التوراتي كراعٍ مخلّص بدوي يقود الجماعة البشرية في التيه، فيقطع بها الصحراء الموحشة من أجل أن يبلغوا موطناً جديداً للاستقرار، بينما تبدو صورة عيسى بن مريم في النصرانية العربية، الأقرب إلى صورة الفلاح (بولادته تحت شجرة نخيل مثمرة تُساقط عليه الرطب جنياً). وهكذا، فاليهودية والمسيحية استلهمتا صورة المسيح - المشيح، ولكنهما عبّرتا عن

(١) صفة جزيرة العرب، ص ١٣٦.
(٢) وفي التوراة مجدو. انظر كتابنا فلسطين المُتخيّلة.
(٣) صفة جزيرة العرب، ص ١٣٩.
(٤) انظر النص العبري في كتابنا: قصة حب في أورشليم؛ وكذلك في: فلسطين المتخيلة.

نمطين من العيش: الجدب (الرعاة) والخصب (المزارعين). وفي الديانة الفرعونية يبدو الإله في صورة مُخلّص يُدعى "راع"؟

وفي هذا السياق، ليس دون معنى أن الآريوسية وهي فرقة مسيحية شرقية، شدّدت على هذا الجانب من المسيحية وأبرزته (والكلمة برأينا ذات صلة بالجذر العبري - الآرامي أرس - ءرص أي الأرض). والمثير أن العرب القدماء قاموا بترجمتها إلى (فلاحين) أي الذين انصرفوا في ديانتهم إلى فلاحة الأرض. وهنا يكمن مغزى ولادة عيسى من المنظور الرمزي تحت النخلة. ولنتذكر أن المخلّص في التوراة، وهو موسى - مسّه، ولد في سلّة داخل نهر. ثم ظهر في ما يعرف بالتيه ليقود الجماعة البشرية. وهذه صورة نموذجية أخرى من صور المُخلّص في عصور الجدب والتيه في الصحراء، حيث يفتش المهاجرون عن الماء (رمز الخصب). إذا ما وضعنا كل هذه الصور داخل إطار سردي جديد، يستخدم التاريخ القديم ووقائعه مثلما سجلتها الكتب المقدسة والروايات الإخبارية؛ فسوف نلاحظ أنها تنتمي إلى عصر مبكر من الصراع بين اليمن ونجران. إننا لا نعرف التاريخ الحقيقي لنجران القديمة بدقة كافية، وليس في حوزتنا دلائل أركيولوجية جيدة يمكن أن ترسم إطاراً ملائماً، يحدّد الكيفيّة التي تعرّفت فيها على فكرة المسيح (المشيح) اليهودية، ولا الكيفيّة التي ولدت فيها النصرانية من رحم اليهودية. ولكننا نفترض أن هذه الفكرة أصبحت "ثقافة قوية" وفي وقتٍ ما، بعد أن استولى داود على نجران إثر سقوط حصن صيّون - صهيون في يده (وهو من جبال اليمن الشهيرة)(١) وإذا ما تقبّلنا هذه الفرضية لأغراض التحليل وحسب، وليس كواقعة تاريخية، فهذا يعني أن المدينة تكون قد تعرّضت بعمق إلى فكرة المشّه - المشيح بعد انتصار الديانة اليهودية اليمنية. وهذا ما يفسّر لنا السرّ في تأكيد الأناجيل "أن يسوع المسيح ولد مختوناً".

هذا يعني أن النصرانية ثم المسيحية الرسولية، امتلكتا صورتين متوازيتين ومُتناظرتين للمسيح. إن يسوع وليس عيسى بن مريم، هو الذي ولد في أورشليم اليمنية وكان يهودياً خرج على الشريعة اليهودية، وهو من وقف مُطالباً بحق

---

(١) انظر كتابنا فلسطين المتخيّلة.

الاعتراف به كوريث لعرش داود بحسب ما ارتأى كمال صليبي. أما عيسى بن مريم (الذي يجسّد النصرانية العربية - أي المسيح العربي) فهو **الفكرة الرمزية الكبرى** التي رسمتها قبائل العرب القديمة عن ولادة المخلّص. لقد عبد اليمنيون إلهاً اسمه شوع، عُثر على اسمه في نقوش المسند. وهذا الأمر له دلالة هامة للغاية في سياق فهمنا للمسألة المطروحة، ذلك أن مبنى الاسم يشير بوضوح إلى تقليد من تقاليد الكتابة عند اليمنيين، فهو يُرسم في صورة شوع - يشوع اليمني، والياء في أول الكلمة تقليد لا تشترك فيه مع لهجة أهل اليمن أي لهجة أخرى من لهجات العرب، ولدينا أمثلة دقيقة وكثيرة عن ذلك، مثل عرم - يعرم، كرب - يكرب، عرب - يعرب -. وكانت صورة الإله اليمني شوع - يشوع صورة رمزية من صور المُخلّص الراعي (المخلّص الذي يرعى أغنامه بالمعنى الرمزي). وهي صورة توراتية ظلّت مستمرة في الثقافة الروحية لهذه الجماعات. ولذلك تطوّرت النصرانية العربية من رحم هذه الصور الرمزية الكبرى لفكرة المخلّص - الراعي الذي سوف يظهر لينقذ الجماعة، ويقودها بسلام في قلب الصحراء والتيه. بيد أن هذه الصورة الرمزية سوف تشهد انقلاباً جذرياً مع الاستقرار. إن أول وأهم تعديل سوف يحدث لصورة المخلّص الراعي، أنه يجب أن يولد تحت شجرة نخيل مثمرة تجسيداً وتعبيراً عن فلسفة الخصب.

إن كتاب محمد آل هتيلة (نجران والنصرانية الأولى)، سيكون مساهمة هامة في فهم أسرار هذا التاريخ المسكوت عنه والذي ولد في نجران القديمة.

الفصل الأول

- معالجة لغوية تاريخية
- معنى نجران في المعاجم
- آل نجار
- تسمية نجران

معالجة لغوية تاريخية

تناقلت المصادر العربية القديمة العربية قصة أبناء نـــزار بن معد بن عـــدنان، مع الأفعى بن الأفعى ملك نجران. ويبدو لنا أن هذا هو خبر تاريخي موثـــوق بـــه برغم طابعه الأسطوري، لأن ما لدينا من مصادر يشير إلى أن شخصاً باسم عدنان كان حياً في القرن السادس (ق.م)، وهذا يعني أن أحفاد ابنه كانوا موجودين بين القرن الخامس والرابع (ق.م) و لم يصل إلينا قبل ذلك التاريخ ما يركن إليـــه مـــن أخبار العرب. تقع منطقة نجران في الجنوب الغربـــي من المملكة العربية السعودية بين خطي عرض ٧ْ و٢٠ درجة شمالاً وخطي طول ٤٤ و٥٢ درجة شرقاً ويحدها من الشرق صحراء الربع الخالي ومن الغرب منطقة عسير ومن الشـــمال منطقـــة الرياض ومن الجنوب جمهورية اليمن؛ ليس لدينا سجل موثوق عن تاريخ نشـــأة هذه المدينة كما هو حال معظم مدن الجزيرة العربية لكننا نملك بعـــض الـــدلائل والشواهد ومنها:

الشاهد	الوصف
الباحث بيتراج	رجمت ذكرت في نقش معيني[1] وهي مدينة من مدن نجران ويقال بأنها عاصمة نجران القديمة.
نقش المسلة[2]	إن وادي نجران من ضمن المستعمرات التابعة لمملكة مهامر التي عاصرت الملك السبئي (كرب آل وتر بن ذمار علي) من نهاية القرن الثامن حتى بداية القرن السابع قبل الميلاد[3].
Negrana نجرانا	"أشار إلى ذلك سترابون" ورد في رواية حملة القائد الروماني إليوس جالوس على العربية الجنوبية في الربع الأول من القرن الأول الميلادي عام ٢٥ قبل الميلاد، حيث مرّت بها الحملة وشنّت هجوماً على العاصمة.
نكِرا ميتروبوليس Nagara Metropolis	سماها العالم الروماني بطليموس (ت. ١٧٠م) أي مدينة نَكَرا.
وذكرت في نقش النمارة الذي يعود عهده إلى سنة ٣٢٨م	يشير إلى الملك شمر دون بقية اسمه، والذي يعتقد بعض المؤرخين أن شمر هذا هو الملك شمر يهرعش ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت.
النقش السبئي (Jamme 576)	يشير إلى أن الملك السبئي البارز إيل شرح يحضب الثاني خاض حروباً في عدة جهات من بينها محاربة أهل نجران، وفترة حكم هذا الملك تقع بين سنتي ٢٤٠-٢٥٠م تقريباً[4].
النقش السبئي (Jamme 2110)،	يعود لفترة حكم الملك إيل شرح يحضب الثاني، ذكر لعدد من القبائل والشعوب، مشيراً إلى ملوكها في السطر ٧-١٠ ومنها قبيلة الأسْد وملكها "الحارث بن كعب".

(١) Glaser 1155, Halevy 535, 578.

(٢) في حصن نجران مكتوب بخط المسند (GL 1000A).

(٣) عوض بن علي الزهراني وآخرون، تقرير حفرية نجرانك الموسمان السادس والسابع (١٤٢٩-١٤٣٠هـ)، نشر في مداولات عليمة محكمة للقاء السنوي للجمعية (٢)، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، الرياض، ٣٧ (لكن النقش لم ترد فيه كلمة نجران وإنما كلمة (رجمت) ضمن عبارة "هذا القرار بأمر ذي سماوي صاحب رجمت").

(٤) سميرة سعيد القحطاني، النفوذ السبئي والحميري في وسط شبه الجزيرة العربية وشمالها خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين، مداولات عليمة محكمة، اللقاء السنوس (٢)، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، الرياض، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص ١٢.

مملكة مهامر[1] (RES3943)	هي مدينة رجمت وهي مملكة صغيرة أو إمارة صغيرة، حيث ذكر النقش أن شعب يرفث قام بحمله على معين، ومهامر، ومدن: رجمة، ونجران، ويثل وكانت الحملة في عهد الملك لعذر إيل ملك مهامر.
النقش Jamme 633[2]	يقول إن (يحمد غيل) [Jamme, Sabean Inscriptions] تولى أمر الحميريين المستقرين الذين صاروا بين جيشين وأنه قام بواجبه... وأنه خاض حروباً في منطقة خلف (نجرن) نجران لمحاربة مقاتلي (حبشن) الحبش ومن كان يؤازرهم. ويظهر من هذا النص أن نجران كانت في أيدي الحبشة في هذا الزمن.
رجمة[3]	ذكرت رجمة في نقش معيني يرجع إلى عهد الملك أب يدع يثع ويسجل حرباً دارت بين الجنوب والشمال. وجاء ذكر نجران أيضاً في نقوش إيل شرح يحضب ملك سبأ وذو ريدان (٢٥ ق.م)، إذ تحدثت بعض نقوشه عن الثورة التي اندلعت في نجران ضده بتحريض من الأحباش، فاتجه إلى نجران وحاصرها لمدة شهرين وتم بعدها إخماد الثورة. وورد ذكر نجران في نص أشار إلى حملة خرجت من نجران إلى نباطو (مدينة النبط فدمرها.

وفي عهد حكم الملك الحميري شمر يهرعش (٢٨٥-٣٠٠م) المعروف بـ شمر يهرعش بن يسرم يهنعم ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنات أصدر وثيقة تعيين في منصب حاكم مدينة نجران ونشق وجابي للضرائب فيها:

"وحمدا لأن المقه سيد شبعن حققا لهما رضى وحظوة سيدهما شمر يهرعش ملك سبأ وذي ريدان عندما عيّنهما سيدهما حاكمين لمدينتي نشق ونجران وجبي الضرائب فيها لمدة سبع سنوات"[4].

(١) Beirtage, S. 9؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٥٠٨/٢.

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٣٧٩/٢-٣٨.

(٣) نفس المرجع السابق، الجزء الثاني، ٥٠٧-٥٠٨.

(٤) التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، د. نورة بنت علي النعيم، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٠، ص ٢٧٦.

والسؤال: ما الذي جعل نجران تحتل أهمية خاصة في التاريخ، وما الأدوار التي قامت بها؟

ليس لدينا حالياً من المعلومات ما يفيد أن نجران كوّنت مملكة خاصة بها أسوة ببعض ممالك العربية الجنوبية كمعين وسبأ وحمير، لكن تاريخها يدل في مجمله على أنها كانت مستقلة بذاتها دون أن تمد نفوذها على مناطق أخرى. وكانت علاقتها مع القوى المحلية المجاورة من ممالك وقبائل علاقة صراع في المجمل كما كان لها علاقات ومصالح محلية ودولية. أما أهميتها فتنبع بالدرجة الأولى من موقعها حيث تمتلك كل مقومات الزراعة من وفرة المياه وخصوبة التربة وأيدي عاملة وتسويق منتجات؛ ومعروف أن الاقتصاد في الأزمنة القديمة هو اقتصاد زراعي بالدرجة الأولى. وموقعها كذلك يقع في مركز استراتيجي إذ بها تلتقي شبكة الطرق وخاصة الطرق التجارية بين العربية الجنوبية والعربية الشمالية والتي تفضي إلى كل من الخليج في الشرق والعراق وفارس والشام، ومن ثم تتوقف فيها القوافل التجارية القادمة من الجهتين للراحة والتزود بالماء والغذاء ولتسويق بعض ما تحمله من بضائع، وتتبضع من منتجات نجران المختلفة لتسويقها بأماكن أخرى، وربما أن بعض أهلها كانوا يشاركون في هذه القوافل بصفتهم تجاراً. وليس من المستبعد أنه كان فيها مناجم لبعض المعادن الثمينة. وبسبب موقعها المهم واقتصادها المزدهر في أكثر الأزمنة تعرضت للغزو وطمع الطامعين فأصيبت لذلك بأضرار فادحة مراراً. ولذا كانت علاقتها بالقوى المجاورة من ممالك وقبائل لم تكن دائماً على حال واحدة، فهي تتقلب بين التحالف والصراع، والصراع يكون إما على اختلاف مصالح أو محاولة القوي الهيمنة على الأضعف، ومعروف أن علاقة العربية الجنوبية بصفة عامة بالحبشة علاقة تواصل وتفاعل وصراع كل منهما أثّر في الآخر من حيث اللغة والكتابة وكل وجوه التأثير الأخرى، ولكن نتساءل: لماذا حظيت نجران بتلك العلاقة الخاصة والتأثير القوي رغم أنها منطقة داخلية بعيدة عن الساحل!!؟، ومن هذه العلاقة الخاصة كيف كان اعتناق كثير من أهل نجران للديانة النصرانية!؟

قال البلادي الحربي: نجران على وزن فعلان لها ذكرٌ كثيرٌ في السّيرة، ولها حوادث تملأ مجلّداً منذ الجاهليّة إلى يومنا هذا. وهي مدينةٌ عريقةٌ عرفت منذ أن

عرف للعرب تاريخٌ، تتكوّن من مجموعة مدنٍ صغيرةٍ في وادٍ واحدٍ، ولذا فكلّما اندثرت مدينةٌ من تلك المدن حملت الأخرى اسم نجران، وهي وادٍ كبيرٌ كثير المياه والزّرع، يسيل من السّراة شرقاً حتى يصبّ في الرّبع الخالي، وتقع على الطريق بين صعدة وأبها، على قرابة (٩١٠) أكيالٍ جنوب شرقيّ مكّة، في الجهة الشّرقيّة من السّراة، كان قوام أهلها في الجاهليّة وصدر الإسلام بنو الحارث بن كعبٍ من مذحج، وقوام أهلها اليوم قبيلة يامٍ الهمدانيّة(١).

يقول ابن المجاور في كتابه تاريخ المستبصر في وصف نجران(*):

{من صعدة إلى زهران ثلاثة فراسخ وهو لابن ملك لآل عبد الله بن حمزة لأنّه اشترى أرضها من أربابها بيعة شراء وكان لقوم يقال لهم الأقواش رأس الركب. وإلى الحد ثلاثة فراسخ. وإلى الركب ثلاثة فراسخ، وادٍ عظيم يجري على الصفا وإلى الخانق ثلاثة فراسخ، وماء جاري أوله يجري من الركب. وإلى كوكبان فرسخين، ومنه يخرج إلى نجد، ووضع هذا الحصن ما بين نجد وجبال اليمن فهو حصن مانع سرير ملك نجران. وإلى الحقة ربع فرسخ. مدينة الأصل نجران وعليها المعول في البيع والشراء، وينقسم أهلها على ثلاث ملل: ثلث يهود وثلث نصارى وثلث مسلمين، فالمسلمين الذين بها ينقسمون على ثلاثة مذاهب: ثلث شافعية وثلث زيدية وثلث مالكية. وهي المدينة التي كانت لأصحاب الأخدود وهي التي قال الله عزّ وجل فيهم: ﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ**﴾ وإلى قابل ربع فرسخ. وإلى حبونا أربع فراسخ.

سوق العمدين:

تمّ الاعتماد في الوصف والتقريب على وصف ابن المجاور في كتابه تاريخ المستبصر حيث يُعدّ من الثقات في الوصف وبالتالي تمّ تحديد مدينة الأخدود ورسم خارطة تقريبية للموقع بحيث تبعد عن قرقرة أربع فراسخ (حوالي ٢٠ كم في الجهة

---

(١) البلادي الحربي، معجم المعالم الجغرافيّة في السيرة النبوية، ص ٣١٤-٣١٥.

(*) انظر تاريخ المستبصر لابن المجاور عن موقع الوراق، ص ٨١.

الشرقية الجنوبية للمدينة بالقرب من صله ويوجد جبل يسمى الآن جبل عمدين) (انظر الملحق شكل ١٩)، حدّثني الرازي إنّ قرقر كانت مدينة عامرة بها ثلاثمائة وستين محلة فيها ثلاثمائة فارس خربت لاختلاف الأمم. وجد زيد البدوي عمرو القرقري قاطناً في فلاة نجد مع البدوان فقال زيد لعمرو: ما لي أراك في جنوب نجــد؟ بعــد أن كنــت في أكناف قرقر بألف غزور غدوت الآن أراك رد الشرد فأنشــد عمــرو القرقــري يقول:

أحب دخــول بــين أدوار قرقــر ويمــنعني ديــن علــيّ ثقيــل
وأو كان ديــني ينقضــي لقضــيته ولكــن ديــن القرقــري قتيــل

وكان يقوم تحت قرقر سوق تسمى العمدين وما عرف هذا الســوق بهــذا الاسم إلا أنّ مشايخ العرب كانت تقيم بهذه السوق عامود ذهب وعامود فضــة يعرف السوق بهما، ورجع الآن سوقاً للعمل بين أرض قفر تزرع به وتحرث، فراح الجسم وبقي الاسم. ولاتّما قوم يقال لهم بنو عبد المدان وهم قوم شداد بن عــاد اللّين القياد ذو الجياد. وفيه أنشد بعض العرب يقول:

ولولا بنو عبــد المــدان وخيلــها لحلك يــا نجــران بعــض القبائــل

وقال آخر:

ألســـت تعلـــم إنّ قلـــبي يحبـــك أيهـــا الـــبرق اليمـــاني
لأن أقـــتلكم قـــتلاً دينـــا فلا شــيخ يــدب علــى البنــان
وإن أقتـــل فمقـــدور ولســـت وفي قومي علــى ســرج الحصــان
وإن أقتـــل فقـــد قتلـــت قـــريش وقــد قتلــت بنــو عبــد المــدان

والقوم لا يخضعون لملك الغز ولا لسلاطين العرب، وآخر من تولى من بــني عبد المدان أخوان يقال لأحدهما القاضي وللثاني القاضي. وفي عهــدهما دخلــت عليهما يد الأمير محمّد بن عبد الله بن حمزة معهما حتى صار يصل إليهما نصــف دخول البلاد لأن الأمير محمّد بن عبد الله وأخاه أحمد ولدي عبد الله بــن حمــزة تزوجا بأخوات القاضي، والقاضي أبي صعيب بن عدنان ابن عبد المــدان ســنة ثلاث وعشرون وستمائة.

وأتى في صفة بئر الصفر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر أن يحفر بئر في بعض أعمالها ذات غمق وسعة وطول وعرض وأن يطوى بالصفر المصبوغ منه شبه الآجر ويسبك فيما بينه الرصاص، فبني البئر على ما تقدّم ذكره وهو باق على حاله. ويقال ما بناه إلا رجل من وجوه العرب في زمن الجاهلية فاندثر واستتر مع طول المدى، فأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأعاد بناءه فبقي على ما تقدّم ذكره، والبئر من جملة العجائب.

وورد أيضاً في صفة نجران تهامة من حرض إلى قرار ثلاثة فراسخ. وإلى نجران فرسخين، وهي قرية مختصرة ويسكن أهلها في أغصاص بعكس بعض وهم في التغصص يتجرعون الغصص ويقرون القصص. وإلى الحاوة ثلاثة فراسخ. وإلى حدب أربع فراسخ. فإن قال قائل: كيف يفرق بين السمين؟ قلنا: هذه قرية مختصرة تحت تهامة اليمن خربة والثانية إقليم طويل عريض عامر تحت من شمال نجد اليمن وسرير ملكها، فهذا غلام وذاك سلطان وهذا كرة وهذاك ميدان. ويسمى إقليم نجران وادي سوحان. قال ابن المجاور: دلّ على أنّ هذه الأقاليم بناه العجم لن دار بهمن بن اسفنديار في أعمال المدائن قصبة تسمى دار ريحان، ولا شك أنّه هو الذي بنى هذا الوادي ويسمى على الاسم المقدّم ذكره في أعمال المدائن سوحان. وفيه أنشد رميم بن جابر:

شبهتها قوس شريان بجزعة ... مما يلذ بها الرامي فيحيها

شبهتها مهرة عذراً محجلة عند الملوك ليوم الروع ساريها

شبهتها جونة مال النسيم بها الطل من فوقها والنهر يسقيها

ووادي العلائم كما قال بعضهم: وبالنجران وادي الخسف ووادي العلام. قال ابن مجاور: وما اشتق اسم الخسف إلا من الخصب وأراد بذلك وادي الرفاء ويهيب بها ريح الطرف مدة اثني عشرة ليلة فيهلك الزرع والكروم، وفيه بعض الأعراب يقول:

وقد سلمت نجران في الطرف لم يزل بحران منها قبة وعروش

وبعضهم ينشد لرميم بن جابر:

وليلة من ليالي الطرف مظلمة سودا جمادية قد بت أسراها}

موارد بني الحارث بن كعب: إعداد مياه بلحارث مما يصلي (الهجيرة حمى) (آبار حمى) ماء بأطراف (جبال غاذ) بين (مريع والغائط وعبالم) وقد ينقطع وقلت يقال له يدمات (يدمه) (والملحات ولوزة وشسعى) قلت أيضاً من أسافل (غاذ) (والكوكب) ماء أسفل من (حمى) بجبل منقطع (بالغائط) دون (العارض وخطمة) بئر بالرمل دون العارض (احتفرها عبد الله بن الربيع المداني في عصر أبي العباس السّفاح) (وهذه نقطة مهمة حول آبار الخطمة ومن بناها والبراق ماء بأعلى وادي نار والزّيّادية بحبونن والحصينية أسفل منها على شط الوادي دون النهيّة نهية حبونن والربيعية بأسفل نجران ومذود والهرار والبتراء هذه أعداد شمالي بلاد بني الحارث.

كل هذا كان وصف لمياه نجران في كتاب صفة جزيرة العرب.

أما النباتات في نجران: ومن ذلك الذّرة بنجران في قابل يام من ناحية رعاش وراحة يكون في قصبة الذّرة مطوان وثلاثة وأكثر ولا يكون فيها بالموضع على هذا.

ومن ذلك الأترج بنجران ليس حماض فيه كبار أحلى من العسل تبلغ الواحدة ربع دينار وخمسة وسدس وليس له نظير في بلد.

ومن ذلك سكر العشر لا يكون إلا بنجران ولا يكون منها إلا شق بلحارث فيما بين الهجر وسرّ بني مازن وهو سكر ينزل من الهواء على ورق العشر في قولهم وإخاله فيكون بقدرة الله عزّ وجل من العشر، وقد يوجد منه شيء في الموضع على غير العشر وهو ضرب من المنّ وهيئته مثل قطع اللُّبان والمصطكي وقد يحمل ويعمل منه سكر كبار مطبّع في القوالب وقد أهديت منه إلى أخ لي بالعراق فأعجب منه من رآه.

وبها القسب من التمر الذي يستحق ويحلو مع السويق كالقند فذاك بنجران وبها المدبس الذي لا يلحق به بردي خيبر.

قال لي أبي رحمه الله تعالى: قد دخلت الكوفة وبغداد والبصرة وعمان ومصر ومكة وأكثر بلاد النخل وطعمت التمران، ما رأيت مثل مدبّس نجران جودة وعظم تمره خاصة [1].

---

(١) انظر كتاب صفة جزيرة العرب، المؤلف: الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، الطبعة الأولى.

القوانين الإدارية

وجدت مجموعة من القوانين في منطقة نجران تحكم جميع الجوانب الدينية والاجتماعية والاقتصادية حيث ذكرت في أكثر من أربعة وستون بنداً وذلك خلال الفترة من ٥٣٠-٥٦٠م.

حيث ذكرت الدكتورة نورة بنت علي النعيم في كتابها "التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية الدولة الحميرية" أن هذه القوانين خاصة بمنطقة نجران وقد أتى بها القديس جرجينتي وذلك نقلاً عن كتاب "سيرة القديس" كمصدر وحيد لهذه القوانين والتي تعرف باسم "القوانين الحميرية" حيث كان يطلق على نجران مدينة الحميرين المؤمنين، وهي مزيج من التشريعات المحلية والمسيحية والبيزنطية إلا أن الطابع المسيحي يطغى عليها في معظم أجزائها وهي كما يلي:

في البند الأول: تمّ التأكيد على أن نجران هي العاصمة لدولة الحميرية وتمّ تقسيم نجران إلى ستة وثلاثين حياً إدارياً، وكل حي له حاكم ينفّذ فيها أوامر الملك ويطبّق القوانين وتعمل معه فرقة بوليسية تتكوّن من ستة عشر جندياً ومحكمة أولية، ويتكوّن كل حي من مجموعات أسرية لكل أسرة زعيم منها يكون مسؤولاً عن النظام داخل الأسرة.

البند الثاني والثالث: حددت جريمة الزنا والقتل وعقوبتهما.

والبند الرابع والخامس: عن المشعوذين والسحرة والغش وشهادة الزور والسرقة وعقابها المنصوص عليه.

البند السادس والسابع والثامن والتاسع: عن الزنا بجميع أنواعه وعقوبته والتدرج في ذلك من قطع العضو الذكري إلى قطع الثدي.

البند العاشر: تحدّث عن حب الفتى الغني لفتاة فقيرة والعكس واحتقار أي من العائلتين للأخرى وطريقة تزويجهما.

البند الحادي عشر: كيفية وضع الرجل الذي يمارس الزنا مع المرأة المملوكة (الرقيق) من أنه يصبح هو رقيقاً لأسيادها والعكس صحيح.

البند الثاني عشر: حدّد زوجة واحدة لكل رجل.

البند الثالث عشر: حدّد مسؤولية الأب في تزويج أبنائه بعد بلوغهم العاشرة إلى الثانية عشر وجزاء من يخالف ذلك.

البند الرابع عشر: حدّد وجوب مناسبة الغرامة لثروات المخالف وتسليمها إلى رئيس الحي.

البند الخامس عشر: حدّد عقوبة من يرتكب عملاً سيئاً أو مخالفاً للقانون ولا يبلّغ عنه.

البند السادس عشر والسابع عشر: حدّد من يشجع على الفجور "من الجنسين" بقطع لسانه ومن يعير منزله لعمل الفجور بمصادرة أملاكه وطرده من المدينة.

البند الثامن عشر: تحدّث عن عقوبة من يستقبل في منزله أو يخفي أفراداً خارجين عن القانون.

البند التاسع عشر: عقوبة من يعترض النساء في الطريق العام أو يعتدي عليهن بمائة جلدة وقطع أذنيه.

البند العشرون: من يعترض النساء في الأسواق العامة أو الساحات العامة بجلده اثنين وسبعين جلدة ومصادرة أمواله.

البند الحادي والعشرون: تحريم ممارسة اللواط والبغاء والسحر والزنا على المسيحيين.

البند الثاني والعشرون: صيانة كرامة الإنسان وعدم استخدام القوة.

البند الثالث والعشرون: الجميع متساوي تحت القانون.

البند الرابع والعشرون: العلاقة بين الزوج وزوجته وعدم الضرب لأي من الطرفين.

البند الخامس والعشرون: عقوبة شارب الخمر في الطرقات، للرجل ستون جلدة وثلاثون جلدة للمرأة.

البند السادس والعشرون: الآلية والكيفية في تحميل النفس والبغال للأحمال الثقيلة.

البند السابع والعشرون: عدم البيع في أيام العيد الملكي والأحد المقدس.

البند الثامن والعشرون: من ساق حيواناً محمّلاً بالسلع يوم الأحد يصادر الحيوان والسلعة.

البند التاسع والعشرون: مَنعْ العمل أيام الأعياد والأحد إلا بإعفاء من الملك.

البند الثلاثون: عقوبة من يستغل منصبه للمصلحة الخاصة، الجلد اثني عشرة جلدة.

البند الحادي والثلاثون: من كرّر ذلك عليه العمل في ورش الدولة عملاً إجبارياً لمدة أربعة أشهر حتى يتعلّم العدل.

البند الثاني والثلاثون: من المنازعات بين الأفراد وإن حدث ذلك فجلدهما أربعون جلدة.

البند الثالث والثلاثون: من يضرب البغال والخيول أو أي حيوان ضرباً مبرحاً عقوبته الجلد ثلاثين جلدة والسجن.

البند الرابع والثلاثون: حرّم التنكّر بلبس الشيطان بأي شكل وجلد من يعمل ذلك مائتي جلدة.

البند الخامس والثلاثون والسادس والثلاثون: عدم السماح بالآلات الموسيقية والممثلين والراقصين من الجنسين وعدم السماح لمقتنيها بالبقاء في البلاد والعقوبة الجلد والأعمال في الورش الملكية لمدة عام.

البند السابع والثلاثون والثامن والثلاثون: تحريم الميسر والغناء والتهريج.

البند التاسع والثلاثون: منع القذف والسب ومن يقوم بذلك تكون عقوبته أربع وعشرين جلدة.

البند الأربعون: منع تجميع الأطفال من الجنسين أيام الأعياد وممارسة الأعمال المشينة، والمخالف يجلد أربع وعشرين جلدة.

البند الحادي والأربعون: مفقود من المصدر.

البند الثاني والأربعون: ورث المتوفى يُوزّع من قبل السلطة بعد استيفاء ديونه.

البند الثالث والأربعون: تعرّض فرد (عبد أو حر) للطرد بالقوة، وبعد لجوئه للكنيسة يسقط عنه جرمه.

البند الرابع والأربعون: الإساءة إلى صاحب حرفة بجلده اثني عشر جلدة.

البند الخامس والأربعون: منع الرشوة للموظفين ومن ثبت عليه الفعل تكون عقوبته الطرد من وظيفته.

البند السادس والأربعون: الأشغال الشاقة لكل من حكم عليه بحق باسم القانون.

البند السابع والأربعون: حدّد وجوب استشارة الملك لمجلس رجال الدين في القضايا الكبرى.

البند الثامن والأربعون: حدّد العلاقة بين الرجل والمرأة وأن الرجل سيّدها في كل الأحوال، والعقوبة لذلك في حالة المخالفة.

البند التاسع والأربعون: حدّد فيه حق الأرملة في الزواج للمرة الأولى أو نذر نفسها في الدير لخدمته ولا يحق لها الزواج للمرة الثالثة.

البند الخمسون: عقوبة الزنا قطع العضو الذكري للرجل وقطع صدر المرأة.

البند الحادي الخمسون: عقوبة إرسال العبيد يوم الأحد وأيام الأعياد لحمل بضائع هي الإيقاف وقد تصل إلى حدِّ السيف.

البند الثاني والخمسون: مخصص لكيفية التعامل بين السيد والأجير.

البند الثالث والخمسون: من جوّع عبده أو ضربه ضرباً مبرحاً فإن العبد يصبح حراً.

البند الرابع والخمسون: حدّد العلاقة بين الأسياد والعبيد وعدم التعامل معهم بقسوة.

البند الخامس والخمسون: منع التسوّل في الطرقات والكنائس أو أي مكان آخر، بل لهم الملاجئ ودور المسنين.

البند السادس والخمسون: حدّد ما يحصل عليه النزيل في البند السابق وعقوبة من يخالف ذلك الجلد ثمانين جلدة، أما الفقير فتشفع له الدولة.

البند السابع والخمسون: حدّد فيه أسعار العقار والمنازل والدور.

البند الثامن والخمسون: حدّد فيه مسؤولية الحاكم (مسؤول الحي) عن مراقبة أسر الحي وكيفية تعامله مع السلطة والملك.

البند التاسع والخمسون: شدّد على وجوب الزواج للجميع عبيد أو أحرار.

البند الستون: حدّد فيه كيفية التعامل مع من لا يرغب الزواج نهائياً.

البند الحادي والستون: عقوبة الحاكم الذي لا يطبّق القانون على الجميع تعليقه في وسط السوق من قدمه اليسرى ويسند رأسه على خشبة ويخنّ بالقش حتى يموت.

البند الثاني والستون: حدّد فيه ما يجب على الحاكم تجاه المهن والحرف في دائرته وتحديد الأسعار وعدم المبالغة فيها.

البند الثالث والستون: منع الغزل والنسيج يوم الأحد ومن خالف ذلك يحرق غزله.

البند الرابع والستون: وجوب اصطحاب الأسرة يوم الأحد وأيام الأعياد إلى الكنيسة ومن يخالف ذلك يحذر من قبل الحاكم وثلاثة أفراد فإن تاب وإلا تحجز جميع ممتلكاته.

وقد شملت هذه القوانين النواحي الإدارية والقضاء والتجارة والزواج وتربية الأبناء والعلاقات الجنسية والأخلاق العامة والشؤون الاجتماعية والدينية والجنايات والرقيق والرفق بالحيوان.

وقد رجحت الدكتورة النعيم أنها كتبت باللهجة النجرانية حيث إنها خاصة بمنطقة نجران دون سواها(١).

معنى نجران في المعاجم

معجم المعاني الجامع: نَجران: (اسم).

النَّجْرانُ: خَشَبَةٌ مُدَوَّرَةٌ يدور عليها الباب نَجْرانُ: فاعل من نَجرَ.

نَجرَ: (فعل) نَجرَ نَجَراً فهو نَجْرانُ، وهي نَجْرَى والجمع: نَجَارَى.

نَجرَ: أَصَابَهُ النَّجَرُ للتسمية نجران:

معنى نجران في قاموس المعاني.

النَّجْرانُ - نَجْرانُ:

---

(١) لمزيد من الإيضاح والتفصيلات حول هذه القوانين انظر كتاب "التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير" للدكتورة/ نورة بنت علي النعيم من ص ٣٤٦-٣٩٦.

النَّجْرانُ: خشبة يدور عليها الباب.

المعجم: المعجم الوسيط نجران: خشبة عليها يدور الباب.

المعجم: الرائد. نجران - نَجْرَانُ:

[ن ج ر]: خَشَبَةٌ مُدَوَّرَةٌ يُوضَعُ فِيهَا مِحْوَرُ البَاب.

المعجم الوسيط: أَنْجَرَ: نْجَرَ: دخل.. الأَنْجَر - أَنْجَـر: الأَنْجَـر: مرْسـاة السّفينة. نَجِرَ نَجِرَ نَجَراً: أَصَابَهُ النَّجَرُ. فهو نَجْرانُ، وهـي نَجْـرَى. والجمـع: نَجَارَى، النَّجْرُ: نَحتُ الخشب.

المعجم: الرائد:

[ن ج ر]. (مصدر نَجَرَ). "نَجْرُ الْخَشَبِ": نَحْتُهُ، صَنْعُهُ.

المعجم: الغني:

[ن ج ر]. (فعل: رباعي لازم متعد). أَنْجَـرْتُ، أُنْجِـرُ، أَنْجِـرْ، مصـدر إِنْجارٌ...

نجر - نَجَرَ: [ن ج ر]. (فعل: ثلاثي متعد). نَجَرْتُ، أَنْجُرُ، اُنْجُرْ، مصـدر نَجْرٌ. "نَجَرَ الْخَشَبَ": نَحَتَهُ، سَوَّاهُ، صَنَعَهُ.

• نَجَر الخشبَ: سوّاه، وصنَعه "نجَر باباً". نحَته.

المعجم: اللغة العربية المعاصر:

نجَّرَ ينجِّر، تَنْجيراً، فهو مُنجِّر، والمفعول مُنجَّر:

• نجَّر الخشبَ صنعه أو أصلحه.

نجر:

ن ج ر: نَجَرَ الخشبة نحتها وبابه نصر وصانعُهُ نَجَّارٌ ونَجْرَانُ بلد باليمن.

المعجم: مختار الصحاح: نجر الخشب: سوّاه، وصنَعه "نجَر باباً".

المعجم: عربـي عامة. نجّر الخشب: صنعه أو أصلحه.

نجر (لسان العرب).

النَّجْر والنِّجارُ والنُّجارُ: الأَصْلُ والحَسَبُ.

والنَّجْرُ: القَطْع، ومنه نَجْرُ النَّجَّار، وقد نَجَرَ العُودَ نَجراً. التهذيب: الليـث النَّجْرُ عمل النَّجَّارِ ونحْتُه، والنجْرُ نَحْتُ الخَشَبة، نَجَرَها يَنْجُرها نَجْـراً: نَحَتَـها.

ونُحارةُ العُود: ما انْتُحِتَ منه عند النَّجْرِ. والنجَّـــارُ صـــاحبُ النَّجْـــر وحِرْفَتُـــه النِّجارةُ.

والنَّجْرانُ الخَشَبة التي تَدُور فيها رِجْل الباب؛ وأنشد: صَبَبْتُ الماءَ في النَّجْرانِ صَبّاً، تَرَكْتُ البابَ ليس له صَرِيرُ ابن الأعرابـــي: يقال لأنف البـــاب الرِّتـــاجُ، ولِدَرَوَنْدِه النَّجْرانُ، ولِمِتْرَسه القُنَّاحُ والنِّجافُ؛ وقال ابن دريد: هو الخشبة الـــتي يَدُور فيها.

والمِنْجارُ: لُعْبة للصبيان يَلْعَبُون بها؛ قال: والوَرْدُ يَسْعى بِعُصْمِ في رِحـــالِهِمُ، كأَنه لاعِبٌ يَسْعى بِمِنْجارِ والنُّجَيرُ: حِصْن باليَمن؛ قال الأعشى: وأَبْتَعِثُ العِـــيسَ المَراسِيلَ تَفْتَلي مسافةَ ما بين النُّجَيرِ وصَرْخَدَا وبنو النَّجَّار: قبيلة من العرب؛ وبنو النَّجَّار: الأنصار (قوله «وبنو النجار الأنصار» عبارة القاموس: وبنو النجار قبيلـــة من الأنصار)؛ قال حسان: نَشَدْتُ بَنِي النَّجَّارِ أَفعالَ والِدِي، إِذا العارُ لم يُوجَدْ له من يُوارِعُهْ أي يُناطِقُه، ويروى: يُوازِعُه.

والنَّجيرَةُ: نَبْت عَجِرٌ قَصِيرٌ لا يَطولُ. الجوهري: نَجْرُ أَرض مكة والمدينـــة، ونَجْرَان: بلد وهو من اليمن؛ قال الأخطل: مِثْل القَنافِذِ هَـــدّاجُونَ قـــد بَلَغَـــتْ نَجْرَانَ، أَو بَلَغَتْ سَوآتِهِم هَجَرُ (في ديوان الأخطل: على العِيـــاراتِ هـــدّاجون). قال: والقافية مرفوعة وإِنما السوأة هي البالِغَةُ إِلاَّ أَنه قَلَبَها.

وفي الحديث: أَنه كُفِّن في ثلاثة أَثواب نَجْرَانِيَّة؛ هي منسوبة إِلى نَجْرانَ، وهو موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن.

وفي الحديث: قَدِمَ عليه نَصارى نَجْرَانَ.

نجر (الصّحاح في اللغة).

نَجَرَ الخشبة يَنْجُرُها نَجْراً: نحتَها.

وصانعه نَجَّارٌ.

والنَجْرُ الأصل والحسبُ، واللونُ أيضاً: وكذلك النِجارُ.

وأنشد أبو عبيدة:

تَرَكْتُ البـــابَ لـــيس لـــه صَـــرِيرُ   صَبَبْتُ المـــاءَ في النَجـــرانِ حتَّـــى

النَّجْرُ (القاموس المحيط).

النَّجْرُ: الأَصْلُ، كالنِّجارِ والنُّجارِ. وصاحِبُهُ: النَّجّار، وحِرْفَتُهُ: النِّجارَةَ، بالكسر.. وبنُو النَّجّارِ: قبيلةٌ من الأَنْصارِ...

نجر (مختار الصحاح).

ن ج ر: نَجَرَ الخشبة نحتها وبابه نصر وصانِعُهُ نَجَّارٌ ونَجْرَانُ بلد باليمن.

قال ياقوت الحموي:

بالفتح ثم السكون، وآخره نون، والنجران في كلامهم: خشبة يدور عليها رتاج الباب، وأنشدوا:

وصيت الباب في النجران حتى   تركت الباب ليس له صرير

جميع القواميس تبيّن ارتباط اسم نجران بتلك المسميات وارتباطها باسم النجار وهذا يقودنا إلى التعريفات السابقة والتي تمّت تسميتها من قبل العديد من المؤرخين، ترتبط بالاسم النسبي ولكن علينا العودة إلى المسمى المرتبط بدلالات الاسم اللغوية.

من هم آل نجار:

ونزل سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر، جبل بارق، وتبرق، فسمي بارقاً. ونزل معه ابن أخيه مالك بن عمرو بن عدي بن حارثة ابن عمر بن نجران، وهم من بني الحارث بن كعب بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر. وقد كانت بنو الحارث بن كعب قبل ذلك، عند خروجهم من الجنتين، قد سكنوا نجران، فدخلوا في مدحج، وانتسبوا إليهم، فهم يعرفون بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن مدحج، وهم ساكنو نجران[1].

مغالة: بطن من الأنصار، من الأزد، من القحطانية، وهم: بنو عدي ابن مالك بن النجار[2].

(١) الأنساب، المؤلف: الصحاري، مصدر الكتاب: موقع الوراق.

(٢) الأنساب للسمعاني ق ٥٣٨-١. تحفة ذوي الإرب لابن خطيب الدهشة، ص ١١٣. تاج العروس للزبيدي، ج ٨، ص ١١٧.

جديلة: قبيلة من الخزرج، من الأزد، من القحطانية، وهم: بنو معاوية ابن عمرو بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، وأمهم جديلة وبها يعرفون[1].

الحسحاس بن مالك: بطن من بني النجار، من الخزرج، من القحطانية، وهم: بنو الحسحاس بن مالك بن عدي بن النجار[2] دينار: بطن من بني النجار، من الخزرج، من الأزد، من القحطانية[3].

عدي بن مالك: بطن من بني النجار، من الخزرج، من الأزد، من القحطانية[4].

عدي بن النجار: بطن من بني النجار، من الخزرج، وهم: بنو عدي بن مالك بن النجار[5].

عمرو بن مالك: بطن من بني النجار، من الخزرج، من القحطانية، وهم: بنو عمرو بن مالك بن النجار[6].

غنم بن مالك: بطن من الخزرج، من الأزد، من القحطانية، وهو غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج[7].

مازن بن النجار: بطن من الخزرج، من الأزد، من القحطانية، وهم: بنو مازن ابن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج[8]. مالك بن النجار: بطن من بني النجار، من الخزرج، من القحطانية[9].

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه، ج ٢، ص ٧٤. معجم البلدان لياقوت، ج ٢، ص ٤٢.

(٢) نهاية الإرب للقلقشندي، مخطوط ق ٢٤-١.

(٣) نهاية الإرب للقلقشندي، مخطوط ق ١١١-١. الاشتقاق لابن دريد، ص ٢٦٩.

(٤) نهاية الإرب للقلقشندي، مخطوط ق ١٤٧-١.

(٥) نهاية الإرب للقلقشندي، مخطوط ق ١٤٦-٢، ١٤٧-١. جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٣٠-٣٣٢.

(٦) نهاية الإرب للقلقشندي، مخطوط ق ١٥٢-١.

(٧) العقد الفريد لابن عبد ربه، ج ٢، ص ٧٣.

(٨) العقد الفريد لابن عبد ربه، ج ٢، ص ٧٤. نهاية الإرب للقلقشندي، مخطوط ق ١٦٦-٢. الأنساب للمقدسي، ص ١٣٤. المشتبه للذهبي، ص ٤٥٦. تاج العروس للزبيدي، ج ٩، ص ٣٤٥. شرح المواهب اللدنية للزرقاني، ج ١، ص ٥٢٠.

(٩) نهاية الإرب للقلقشندي، مخطوط ق ١٦٧-٢.

ميذول بن مالك: بطن من الخزرج، من الأزد، من القحطانية، وهم: بنو ميذول بن مالك بن النجار[(١)].

معاوية بن عمرو: بطن من بني النجار، من الخزرج، من الأزد، من القحطانية، وهم: بنو معاوية بن عمرو ابن مالك بن النجار، واسمه تيم الله بن ثعلبة ابن عمرو بن الخزرج[(٢)].

بن عدي: بطن من بني النجار، من الخزرج، من الأزد، من القحطانية، وهم: بنو ملحان بن عدي بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج[(٣)].

مندول: فخذ من الخزرج، من الأزد، من القحطانية، وهم: بنو مندول، واسمه عامر بن مالك بن النجار بن ثعلبة ابن عمرو بن خزرج[(٤)].

النجار بن ثعلبة: بطن من الخزرج، من الأزد، من القحطانية وهم: بنو النجار واسمه تيم الله بن ثعلبة ابن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن عمرو مزيقياء. منهم أخوال الرسول ﷺ. ومن اطمهم بالمدينة: عريان[(٥)].

ويعتبر بعضهم من شيوخ بني النجار وذلك لأنهم تنازلوا بالشيخة لرسول الله ﷺ وذلك عندما حدث بينهم خلاف بالحكم ونصّب الرسول ﷺ نفسه نقيباً عليهم: وأيضاً فإن المسجد النبوي بناه الرسول على أرض جدهم مالك بن النجار وهذا عندما قال الرسول ﷺ للأنصار (اتركوها فإنها مأمورة).

وأيضاً بعض هذه العوائل تنتسب إلى الإمام الشهير أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن صالح بن نصر بن عبد الباقي بن حمزة بن أنس بن مالك والملقب

---

(١) الاشتقاق لابن دريد، ص ٢٦٧.

(٢) نهاية الإرب للقلقشندي، مخطوط ق ١٠٠-٢. تاج العروس للزبيدي، ج ٧، ص ٢٧٦. لسان العرب لابن منظور، ج ١٣، ص ١٥٧. تحفة ذوي الإرب لابن خطيب الدهشة، ص ٣٣. المشتبه للذهبي، ص ٩٦. العقد الفريد لابن عبد ربه، ج ٢، ص ٧٤.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه، ج ٢، ص ٧٤.

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه، ج ٢، ص ٧٤.

(٥) نهاية الإرب للقلقشندي، مخطوط ق ٣٥-٢. تاج العروس للزبيدي، ج ٣، ص ٥٥٧. لسان العرب لابن منظور، ج ٧، ص ٤٧. العقد الفريد لابن عبد ربه، ج ٢، ص ٧٣. معجم البلدان لياقوت، ج ١، ص ١٠٠، ج ٣، ص ٦٥٩. نهاية الإرب للنويري، ج ٢، ص ٣١٦.

(بالبهلول) فجدهم البهلول حيث إنه معروف بإمام المواريث والاجتهاد ويوجد بئر بالمدينة المنورة اسمه البهلول.

قال رسول الله ﷺ: "خير دور الأنصار بنو النجار. ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج. ثم بنو ساعدة. وفي كل دور الأنصار خير".

والأوس والخزرج من قبائل الأزد هاجرت إبان انهيار سد مأرب ويرجع نسبهم إلى كهلان واستوطنت يثرب وقد اشتهرتا هاتين القبيلتين بالأنصار لأنهم من نصروا نبي الله، محمد وقد آخا الرسول بينهم وبين المهاجرين وهم اليوم يلقبون بالأنصار. كلمة «أوس» تعني «ذئب».

ومهما تكن الحقيقة فإن نجران قد وجدت ولا تزال، وموقعها الجغرافي كواجهة على طرق الصحراء القاحلة يبقى أهم من مجرد استكشاف أصل اسمها وثروة حاضرها، واستمرار وجودها المتعاقب يشدنا قسراً إلى ماضيها والتمحيص في دقائق ذلك الماضي والتمعّن فيها بشكل كبير. إنه استكشاف ممكن ومستحيل في آن واحد ولكن المتبقي فيه أمر تصعب مقاومته.

تسمية نجران

ذلك الاسم يقال إنه يعني (خشبة التي يدور عليها رتاج الباب) ولربما يدل المعنى على أنها المكان الأول الذي قصده السكان في هذه المنطقة وكلمة نجران تعني (العطشان)... وفي رواية أخرى أن الاسم كان (نسبة إلى نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان) لأنه أول من نزلها وعمرها. وهذا هو الاشتقاق النسبي للاسم.

وتناقلت المصادر لنجران عدة مسميات ترتبط بالاسم الأساسي نجران ولعلي أورد بعض من هذه المسميات والتي نأمل بأن توثق كأسماء لنجران منها:

١- **مدينة الرعد:** اسم عبراني (يعني الشجاعة في الاستشهاد التي أبلاه أبناؤها) وهو أيضاً يعني نجران بالعبري وقد يكون له علاقة بالإله إدد.

٢- **نجران القديسة.**

٣- **مدينة الشهداء.**

٤- **نجران الباسلة.**

٥- **مدينة العرب المقدسة**[١].

كل ما سبق أكدت عليه المراجع المسيحية في رواية استشهاد القديس الحارث بن كعب وكذلك الدكتور عرفان شهيد وفي الشهداء الحميريون.

٦- **الربة..** فاضل الربيعي في كتابه المسيحي العربي يتكلم عنها ويؤكد على وجودها في التوراة وقصة استيلاء داود عليها.

الربة في معجم المعاني الجامع رَبّة: (اسم)

والجمع: رِبابٌ الرَّبَّة: مؤنَّث الرَّبّ.

٧- **مدينة المؤمنين:** القرآن الكريم وصفهم بالمؤمنين في قوله من سورة البروج، الآية ٧-٨ **﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾**.

٨- **المحفوظة** "نسبة إلى حديث الرسول ﷺ المرفوع عن المدن المحفوظة مكة والمدينة وإيليا ونجران، ونجد من أسماء المدينة المنورة المحفوظة، وهذا موثّق في أكثر من مرجع.

٩- **نجرانا ونجراني**[٢]: ذكرها سترابون.

١٠- **رجمن**[٣]: (يقال إنها مدينة من مدن نجران).

١١- **رعمه**[٤]: ورعمه قد تكون هي رجمن حيث رعمه الابن الرابع لكوش نفسه، وقد يكون هناك ارتباط بين هذا الاسم وجبل رعوم.

١٢- **نكرا**[٥]: سماها بطليموس.

١٣- **الرّعاش**[٦]:

---

(١) .shahid. Byzantium. p. 42

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثاني، ص ٥٣٤.

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثاني، ص ٤٥٧.

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثاني، ص ٥٣٤.

(٥) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثاني، ص ٥٠٧.

(٦) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٢/٦٦٠) للبكري.

{بضمّ أوله، وبالشين المعجمة: موضع من أرض نجران، ولمّـا كتـب عمر رضي الله عنه إلى أهل نجران قبل إجلائه لهم، كتب:

من عمر أمير المؤمنين، إلى أهل رعاش كلّهم.

فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو.

أمّا بعد، فإنّكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم؛ وإنه مـن يتـب مـنكم ويصلح لا يضرّه ارتداده، ومن أبى إلاّ النّصرانية، فإن ذمّتي منه بريـة، ممّن وجدناه عشراً تبقى من شهر الصوم بنجران}.

١٤-**الحصن**: أصبحت من أمنع المدن القديمة حيث أحيطت بسـور منيـع للدفاع عنها، فعرفت لمناعتها بالحصن(١).

١٥-**متروبولوس**: أي الأرض السعيدة - حسب تسمية بطليموس.

١٦-**مدينة الحميريين المؤمنين**: حيث كانت المصادر السريانية تفرّق بينـهم وبين بقية الحميرين باسم الحميريين المؤمنين(٢).

١٧-**وادي الخسف ووادي العلام**: انظر ابن المجاور، تاريخ المستبصر.

١٨- **وادي سوحان**: يسمى إقليم نجران وادي سوحان. قال ابن المجاور: دلّ على أنّ هذه الأقاليم بناه العجم لن دار بهمن بن اسفنديار في أعمـال المدائن قصبة تسمى دار ريحان ولا شك أنّه هو الذي بنى هذا الـوادي ويسمى على الاسم المقدم ذكره في أعمال المدائن سوحان. وفيه أنشد رميم بن جابر:

شـبهتها قـوس شـريان مجزعـة ... ممـا يلـذ بهـا الرامـي فيحيهـا

شـبهتها مهـرة عـذراً محجلـة ... عند الملوك ليـوم الـروع سـاريها

شبهتها جونة مـال النسـيم بهـا ... الطل من فوقها والنـهر يسـقيها(٣)

---

(١) المغازي، للواقدي، محمد بن عمر بن راقد، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب - بـيروت، ط٣، ١٤٠٤، ٢/٨٤٧.

(٢) التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، د. نورة بنت علي النعـيم، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢.

(٣) تاريخ المستبصر، لابن المجاور، موقع الوراق، ص ٨.

مما سبق وجدت أن هناك مشكلة قديمة ومستمرة لدى عدد من المؤرخين وتوارثوها في تفسير بعض الكلمات وبطريقة ليس لها علاقة بالمدلول اللغوي الأصلي للكلمة ولا بالظلال والمحمولات الرمزية والدينية للاسم وبالتالي إجماع المصادر التاريخية التي تحدثت عن نجران وتناولت تاريخها القديم بالدراسة والتحقيق، أن نجران كانت مركزاً دينياً مشهوراً وهاماً في جزيرة العرب، وأنها كانت منطقة جذب للأديان والثقافات القديمة، فإسلام أفعى نجران بدين سيدنا سليمان عليه السلام والذي سأتحدث عنه بإسهاب في الفصل الأخير لدليل على الإيمان في نجران قبل المسيحية. **{من الغريب أن نجران لم تبرز على مسرح التاريخ كدولة مستقلة أو عاصمة استعمارية، غير أنها قد تكون، كما هو حال مكة، مركزاً عاماً للحج والاحتفالات الدينية لكل الأمم المجاورة}**[1].

وتؤكد المصادر على أن هذا العامل كان سبباً من أسباب ازدهار نجران اقتصادياً وحضارياً، كما كان في الوقت نفسه سبباً لتعرّض أهلها للقتل والتعذيب والتنكيل. وقصة "أصحاب الأخدود" التي وثّقها "القرآن الكريم" في الآيات (٤-٩) من سورة البروج، وكذلك اهتمام الرحالة والمستشرقين بنجران يطرح تساؤلاً هاماً؟ لماذا نجران؟ هل السبب الديني لهذه المدينة وورود أكثر من سورة من سور القرآن الكريم (سورة البروج وسورة آل عمران - المباهلة مع النصارى -) والأحاديث من الرسول صلى الله علية وسلم ومن الصحابة رضوان الله عليهم وكذلك وجود عدد من الكتّاب والمثقفين العرب مثل فاضل الربيعي وكمال الصليبي، عرفان شهيد... إلخ تُعدّ دليلاً - لا لبس فيه - على شهرة نجران الدينية، وهذا يقودني إلى ربط الاسم لنجران بالاسم الديني.

وبعد كل ذلك أخلص إلى أن الاسم لنجران مشتق من الجذر - نجر - وبالتالي إلى اسم النجار (وهو اسم ديني).

(١) كتاب مرتفعات الجزيرة العربية: الباب الثالث: بلاديام - الفصل الرابع عشر: الأخدود، ص ٥١١.

الفصل الثاني

- قصة الأخدود
- النقش في آبار حمى
- الاستيطان البشري في نجران
- القلعة
- الأهمية الاقتصادية
- ذو نواس
- موقف بيزنطة
- كيف حدث الاحتلال الحبشي لليمن وأثره على نجران

قصه الأخدود

ينبغي أن لا ننسى دور نجران.. إذ كانت ركناً مهماً في التاريخ البعيد. ففي الجزيرة العربية قبل الإسلام كانت هناك كعبتان هما كعبة مكة وكعبة نجران. والشواهد الحالية كالآثار لا حصر لها في نجران، كالأخدود و(كاتدرائية الأسود العنسي) أي كعبة نجران، وبقايا سد (قوم عاد) وغيرها، الوثنية كانت الدين السائد عند العرب العدنانيين قبل الإسلام، وكانت الديانتين المسيحية واليهودية متواجدتين في بلاد العرب جنوباً وشمالاً.

وتعتبر مدينة نجران القديمة (الأخدود) التي تقع في الجهة الجنوبية من وادي نجران من أهم الظواهر الحضارية في جنوب الجزيرة العربية ومن أهم المواقع الحضارية وأكبرها في المملكة العربية السعودية وقد أطلق عليها اسم الأخدود نسبة للتسمية التي وردت في القرآن الكريم (انظر ملحق الصور والأشكال رقم ٨، ٩، ١٠، ١١) المتعلقة بحادثة الأخدود التي ارتكبها الملك الحميري ذو نواس (يوسف أثأر/يثأر) ضد نصارى نجران في ٢٥ نوفمبر ٥٢٤م، وهذا اليوم تحيي ذكراه الكنيسة الكنتدرائية في روما كل عام والأخدود: الحفرة تحفرها في الأرض مستطيلة، والخدة بالضم: الحفرة: قال الفرزدق: وبهذا تدفع كرب كل مثوب - وترى لها خدوداً بكل مجال. والخد جعلك أخدوداً في الأرض تحفره مستطيلاً فيقال: خد خداً والجمع أخاديد، والأخدود، شق في الأرض مستطيل، وجمعه أخاديد[١].

وذكر بعض المفسرين: إنّ طول ذلك الخندق كان أربعين ذراعاً وعرضه اثني عشر ذراعاً، (وكل ذراع يقرب من نصف متر، وأحيانا يقصد به ما يقرب من متر كامل).

---

(١) أبي عبيد الله البكري، معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواضع، الجزء الأول، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م، ص ١٢١.

وقيل: إنّما كانت سبعة أخاديد، وكل منها بالحجم الذي ذكرناه.

وسنورد كل النصوص التي تؤكد صحة وقوع تلك الحادثة ووصف للمكان الذي حدثت فيه وما صاحبه من أحداث ودور القوى العظمى في ذلك الوقت ودور كل منها.

١- القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * ...﴾[١].

وقال أسباط عن السدي في قوله (قتل أصحاب الأخدود) قال: كانت الأخدود ثلاثة: خد بالعراق وخد بالشام وخد باليمن، رواه ابن أبي حاتم.

وعن مقاتل قال كانت الأخدود ثلاثة، واحدة بنجران باليمن، والأخرى بالشام، والأخرى بفارس، أما التي بالشام فهو أنطنانوس الرومي، وأما التي بفارس فهو بختنصر، وأما التي بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس، فأما التي بفارس والشام فلم ينزل الله فيهم قرآناً وأنزل في التي كانت بنجران.

وقال ابن أبي حاتم حدّثنا أبي، حدّثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي حدّثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع هو ابن أنس في قوله: (قتل أصحاب الأخدود) قال سمعنا أنهم كانوا قوماً في زمان الفترة فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر وصاروا أحزاباً، **﴿... كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾**[٢][٣]، اعتزلوا إلى قرية سكنوها وأقاموا على عبادة الله **﴿... مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ...﴾**[٤] وكان هذا أمرهم حتى سمع

---

(١) سورة البروج.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٣.
(٣) سورة الروم، الآية: ٣٢.
(٤) سورة البيّنة، الآية: ٥.

بهم جبار من الجبارين وحدّث حديثهم، فأرسل إليهم وأمرهم أن يعبدوا الأوثان التي اتخذوا وأنهم أبوا عليه كلهم وقالوا لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له فقال لهم: إن لم تعبدوا هذه الآلهة التي عبدت فإني قاتلكم فأبوا عليه فخدّ أخدوداً من نار وقال لهم الجبار ووقفهم عليها اختاروا هذه أو الذي نحن فيه، فقالوا هذه أحب إلينا وفيهم نساء وذرية ففزعت الذرية فقالوا لهم: لا نار من بعد اليوم فوقعوا فيها فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسهم حرّها وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين فأحرقهم الله بها ففي ذلك أنزل الله عزّ وجل **﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**[1].

حيث جاء قول المفسرين في قول الله تعالى: **﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾**، أن {وشاهد} هو يوم عرفة، و{مشهود} هو يوم الجمعة. وكلاهما يمثلان الكثرة المحققة لفاعليتها بعبوديتها وتواضعها.

٢- الحديث الشريف

عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أعلّمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه. فكان في طريقه، إذا سلك، راهبٌ فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه. فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب، وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه.. فشكا ذلك إلى الراهب. فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة. قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم: الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس. فرماها فقتلها. ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني! أنت اليوم أفضل

(١) رواه ابن جرير حدثت عن عمار عن عبد الله بن أبي جعفر به نحوه.

مني قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدلَّ عليَّ. وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة. فقال: ما ها هنا لك أجمع، إن أنت شفيتني. فقال إني لا أشفي أحداً. إنما يشفي الله (تعالى) فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك. فآمن بالله تعالى فشفاه الله. فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: أولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الغلام. فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بني، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل ما تفعل؟ قال: إني لا أشفي أحداً. إنما يشفي الله (تعالى) فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الراهب فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع في مفرق رأسه فشقّه حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقّه حتى وقع شقاه. ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته. فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل. فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال كفانيهم الله (تعالى) فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله (تعالى). فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به! فقال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس وقل: بسم الله رب الغلام. ثم ارمني. فإنك إن فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع. ثم أخذ سهماً من كنانته. ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في موضع السهم فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام ثلاثاً فأُتِيَ الملك فقيل له:

أرأيت ما كنت تحذر؟ قد، والله! وقع بك حذرك. قد آمن الناس فأمر بالأخاديد في أفواه السكك فَخُدَّت وأُضرم (فيها) النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له: اقتحم.. ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أمه! اصبري فإنك على الحق» (رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي)[1].

(حديث مرفوع) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْبَيْلَمَانِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْقُرَى الْمَحْفُوظَةُ: مَكَّةُ، وَالْمَدِينَةُ، وإِيلِيَاءُ، وَنَجْرَانُ، وَمَا مِنْ لَيْلَةٍ إلا وَيَنْزِلُ بِنَجْرَانَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُسَلِّمُونَ عَلَى أَهْلِ الأُخْدُودِ، ثُمَّ لا يَعُودُونَ إِلَيْهَا أَبَداً"[2].

٣- كيف روت الكنيسة الحادثة

لعل من أهم الوثائق المسيحية التي تتصل بتعذيب نصارى نجران، إنما هي رسالة "مار شمعون"، أسقف بيت رشام، إلى رئيس أساقفة "دير جبلة"، وفيها يتحدث "مار شمعون" كيف عرف بنبأ تعذيب نصارى نجران من رسالة من ملك حمير إلى ملك الحيرة، يطلب منه فيها أن يفعل بنصارى مملكته، ما فعله هو بنصارى نجران، وأن شمعون قد تأكد بنفسه من الحادث عن طريق رسوله الذي أرسله إلى نجران ليتحرى الحقائق، ومن ثم فقد وجه نداء إلى كل الأساقفة الرومان، وإلى بطريق الإسكندرية وإلى أحبار طبرية، طالباً منهم بذل الجهود

---

(١) أخرجه مسلم في (الزهد والرقائق) (١٣٠) واللفظ له وهو عند أحمد أيضاً (٦/١٧)، والترمذي في التفسير رقم [٣٤٠] والنسائي في التفسير أيضاً كما في تحفة الأشراف (٤/١٩٩). (رواه مسلم في آخر الصحيح عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به نحوه ورواه النسائي عن أحمد بن سليمان عن عفان عن حماد بن سلمة ومن طريق حماد بن زيد كلاهما عن ثابت به واختصروا أوله وقد جوده الإمام أبو عيسى الترمذي فرواه في تفسير هذه السورة عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد المعنى واحد قالا أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن رسول الله ﷺ).

(٢) رقم الحديث: ١٥٥٦ (موسوعة الحديث)، انظر كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال الحديث ٣٥١١٨. وورد في عمدة الأخبار في مدينة المختار للمحقق العلامة أحمد بن عبد الحميد العباسي الصفحة ٥٨ كما ورد في آثار البلاد وأخبار العباد، بالإضافة إلى معجم البلدان.

لإيقاف هذه المذابح البشرية، ورغم ما تفيض به الرسالة من عواطف شخصية، ومن مبالغات متعمدة لإثارة الحمية الدينية عند رجال الدين المسيحي، ورغم أن ما جاء بها على لسان ملك حمير، إنما هو من كلام مار شمعون، وليس من كلام الملك الحميري، فإن الرسالة بصفة عامة صحيحة، ومن ثم فهي وثيقة تاريخية يمكن أن ينظر إليها باهتمام اعتمدت المصادر النصرانية على السماع والمشافهة من خلال موارد ووثائق مسجلة دوّنت بعد المحرقة وهي لا تخلو من التهويل والعاطفة الشديدة. ودوّن هذه عدد من مؤرخين مثل: الرحالة (قزما) والمؤرخ (بروكوبيوس) المتوفى سنة ٥٦٠م. ثم المؤرخ (ملالا) ونقل عنه عدد من المؤرخين مثل (تيوفانس) (٧٥٨-٨١٨م) (تيوفانس) (ونيقيفوس كالستي)[١].

٤- الرواية اليونانية

تذهب إلى أن "ذا نواس" "Dunaas" ملك حمير، قد عذّب نصارى نجران، في العام الخامس من عهد "جستين الأول" "٥١٨-٥٢٧م" ومن ثم فقد قام نجاشي الحبشة بغزو حمير، وفرّ "Dunass" إلى الجبال، حتى إذا ما واتته الفرصة انقضّ على الجيش الحبشي، فأباده واحتل نجران، مما اضطر الأحباش إلى القيام بحملة ثانية انتصرت على الملك الحميري، وعيّنت مكانه "Abrames".

على أن هناك رواية أخرى - يونانية كذلك - تذهب إلى أن الذي قضى على ذي نواس، إنما هو قيل من اليمن يدعى "إيدوج"، وذلك بسبب اضطهاد التجار المسيحيين الروم، رداً على اضطهاد الروم لليهود، مما أدى في نهاية الأمر إلى أن يمتنع جميع التجار المسيحيين من دخول اليمن، فأصيبت الأسواق التجارية اليمنية بالكساد، وساءت الأحوال الاقتصادية في البلاد.

وقد نشرها السمعاني في مؤلفه (المكتبة الشرقية) وكذلك في (تاريخ زكريا) المتوفى سنه ٥٦٨م، كذلك كتاب ينسب إلى يعقوب السروجي بالسريانية عن

---

(١) عبد المجيد عابدين: المرجع السابق، ص ٥٥-٥٦، جواد علي ٤٦٤/٣، النصرانية ٦١/١، مجلة المجمع العلمي، المجلد ٢٣، عام ١٩٤٨، ص ١٨. "دمشق"، كتاب: الهولوكوست الأول في التاريخ (محرقة نجران)، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٩.
وكذا J.B. Bury, op. cit., p. 322. وكذا Zdmg, 35, 1881, p. 2-4.

نصارى نجران، وقصيدة في رثاء الشهداء لبولس أسقف الرهام، ونشيد كنسي سرياني ليوحنا بسالطس رئيس دير قتسرين المتوفى سنة ٦٠٠م[(١)].

٥- الرواية الحبشية:

كان الأحباش طرفاً رئيساً في الأحداث، حيث لم يكن هناك جديد في الأدلة المقدمة، فمثلاً هناك كتابة تمّ العثور عليها من قبل (يوسف سابيتو) أشير فيها إلى القديس الحارث بن كعب وبقية الشهداء، ومخطوطات في المتحف البريطاني أشارت إلى تسمية ذي نواس بـ (فنحاس).

حيث اتفقت المصادر الحبشية واليونانية على أن ذا نواس هو من أحرق نصارى نجران بعد أن حاصرهم لمدة سبعة أشهر لم يستطع التغلب عليهم إلا بالخديعة والغدر.

وعثر أيضاً على كتابة حبشية في اليمن عام ١٩٤٧م من قبل أحمد فخري تبيّن دخول الأحباش لليمن عام ٥٢٥م. وتحدث عدد من المصادر مؤخراً عن الحادثة مثل:

أ- دائرة المعارف الإسلامية ٢٣٩/٢:
حيث صدرت بالألمانية والإنجليزية والفرنسية والعربية وكتب (فنسك) مادة أصحاب الأخدود.

ب- المنجد في الأعلام: عن المطبعة الكاثوليكية في لبنان وطبعته دار المشرق وأعدّه فردينان اليسوعي، حيث جاء في مادة ذي نواس وذلك في الطبعة الثانية عشر عام ١٩٨٢م، ص ٢٩٩.

٦- كتب التفسير

كانوا بنجران في الفترة بين النبي عيسى وسيدنا محمد ﷺ. وقد اختلفت الرواة في حديثهم (تفسير القرطبي).

وكان الراهب نصراني يقرأ الإنجيل (تفسير القرطبي).

---

(١) جواد علي ٤٦٣/٣، الهولوكوست الأول في التاريخ (محرقة نجران)، د. شوقي أبو خليل، مصدر سابق، وكذا Zdmg, 31, 1877, p. 67 وكذا Graetz, op. cit., p. 8.

وقال الضحاك: أصحاب الأخدود هم قوم من النصارى كانوا باليمن قبل مبعث رسول الله ﷺ بأربعين سنة (بل الأصح قبل ولادة الرسول بخمسين سنة تقريباً)، أخذهم يوسف بن شراحيل بن تبع الحميري، وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً، وحفر لهم أخدوداً وأحرقهم فيه (تفسير القرطبي).

وقال الكلبي: هم نصارى نجران، أخذوا بها قوماً مؤمنين، فخدّوا لهم سبعة أخاديد، طول كل أخدود أربعون ذراعاً، وعرضه اثنا عشر ذراعاً (تفسير القرطبي).

وقال مقاتل: أصحاب الأخدود ثلاثة؛ واحد بنجران، والآخر بالشام، والآخر بفارس. أما الذي بالشام فأنطنيانوس الرومي، وأما الذي بفارس فبختنصر، والذي بأرض العرب يوسف بن ذي نواس. فلم ينزل الله في الذي بفارس والشام قرآناً، وأنزل قرآناً في الذي كان بنجران (تفسير القرطبي).

وبلغوا سبعة وثمانين بين رجل وامرأة، بعد ما رُفع عيسى، فخد لهم يوسف بن ذي نواس بن تبع الحميري أخدوداً، وأوقد فيه النار؛ وعرضهم على الكفر، فمن أبي أن يكفر قذفه في النار، وقال: من رجع عن دين عيسى لم يقذف (تفسير القرطبي).

المَلِكَ ذا نُواس وكان يهودياً وكان أهل نجران مشركين يعبدون نخلة طويلة (تفسير ابن عاشور).

فقتل الملك الغلامَ وقَتَل الراهب وأمر بأخاديد وجُمع فيها حَطب وأُشعلت، وعُرض أهل نجران عليها فمن رجع عن التوحيد تركه ومن ثبت على الدين الحق قذفه في النار (تفسير ابن عاشور).

والمقصود التعجيب من ظلم أهل الأخدود أنهم يأتون بمثل هذه الفظاعة لا لجرم من شأنه أن يُنقَم من فاعله فإن كان الذين خدّدوا الأخدود يهوداً كما كان غالب أهل اليمن يومئذ فالكلام من تأكيد الشيء بما يشبه ضده، أي ما نقموا منهم شيئاً ينقم بل لأنهم آمنوا بالله وحده كما آمن به الذين عذبوهم. ومحل التعجيب أن المَلِك ذا نواس وأهل اليمن كانوا متهوّدين فهم يؤمنون بالله وحده ولا يشركون به فكيف يعذّبون قوماً آمنوا بالله وحده مثلهم (تفسير ابن عاشور).

وإن كان الذين خدّدوا الأخدود مشركين (فإن عرب اليمن بقي فيهم من يعبد الشمس) فليس الاستثناء من تأكيد الشيء بما يشبه ضده لأنّ شأن تأكيد الشيء بما يشبه ضده أن يكون ما يشبه ضد المقصود هو في الواقع من نوع المقصود فلذلك يؤكد به المقصود وما هنا ليس كذلك لأن الملك وجنده نقموا منهم الإيمان بالله حقيقة إن كان الملك مشركاً (تفسير ابن عاشور)(*).

النقش في آبار حمى (انظر ملحق الصور، شكل رقم ١)

"تمكن أحد رجال المدينة المحترقة من الفرار من هذه المحرقة التي وقعت منذ نحو ١٥٠٠ عام، ولجأ إلى منطقة بير حمى الأثرية، وجلس لينقش على الصخور هذا النص الذي يسجل فيه انتصار ملك حمير يوسف أسأر يثأر ذو نواس على الأحباش سنة ٥١٨م. ويذكر فيليب ليبنز في كتابه «رحلة استكشافية في وسط الجزيرة العربية» أن هذا النقش عثر عليه فيلبي أثناء زيارته الأولى لنجران سنة ١٩٣٦ عند آبار حمى ويصفه ليبنز بقوله: «أما نقش حمى فهو منحوت على الصخور الرسوبية التي تتكون من اثنتي عشرة طبقة متراكمة فوق بعضها، يصل طول بعضها إلى ستة أمتار، وهو يتحدث عن قصة عمل قام به الملك ذو نواس ضد الغزاة الحبشيين والمسيحيين، كما يتحدث هذا الرجل الفار من المحرقة بالتفصيل عن القتلى والغنائم من الإبل والبقر والضأن" وهذا غير دقيق لأن النقش يتحدث عن حادثة عام ٥١٨م وليس عن حادثة الأخدود.

هناك ثلاثة نقوش حميرية سطرها أقيال الملك الحميري (يوسف أسأر يثأر) عندما أقدموا على غزو نجران؛ مع ملك الجيش الحبشي بظفار؛ وهذه النقوش الثلاثة مؤرّخة جميعها بعام ٦٣٣ حميري أي حوالي عام ٥١٨م، وتوجد في ثلاثة أماكن مختلفة، أحدها مجاور لآبار حما، بينما الآخر موجود على جبل صيدح

* يمكن الاطلاع على مزيد من الوصف لمحرقة نجران والتي رويت في جميع المصادر العالمية ابتداء من أهم المصادر وأصدقها القرآن الكريم وكذلك المصادر النصرانية واليونانية والحبشية والتي أتت على ذكر الحادثة في كتاب الهولوكوست الأول في التاريخ (محرقة نجران)، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر دمشق، ٢٠٠٩.

بمدخل حما، أما الثالث ففي الجهة الشرقية من جبال الكوكب إلى الشمال الغربي من ثجر.

فالنقش الأول موجود بالقرب من آبار حما، وهو نقش يرجع إلى عهد الملك الحميري يوسف أسأر يثأر ذو نواس والذي يسجل فيه انتصاره على الأحباش سنة ٥١٨م، فهو يتحدث عن عمل قام به الملك ذو نواس ضد الغزاة من الأحباش والمسيحيين، حيث يقدر عدد الضحايا بـ ١٢٥٠٠ قتيل، و ١١٠٠٠ أسير، وغنيمة ٢٩٠٠٠٠ رأس من الإبل والبقر والضأن، وينتهي النص بعبارة ".. وبحماية رب السماء والأرض، ثم بقوة المقاتلين الأشداء من كل خسيس ومخادع..".

ونجد النقش الثاني على جبل صيدح عند مدخل حما. وقد تعرّض النص لتلف كبير في كثير من أجزائه نتيجة تعرّضه للعوامل الجوية المختلفة وعوامل التعرية. دوّن النص القيل شرح إل ذو يزأن عندما رابط بقبيلة همدان والأعراب ضد ظفار، وسجّل فيه انتصار الملك الحميري يوسف أسأر يثأر على الأحباش ومن والاهم وقتلهم بظفار، وتدمير وحرق القليس، فقتل منهم أربعة عشر ألفاً، وأسر أحد عشر ألفاً، وغنم مائتين وتسعين ألفاً من الجمال والبقر والماعز، ويختتم النص بعبارة ".. بحماية رب السماء والأرض، ثم بقوة المقاتلين الأشداء من كل خسيس..".

أما النقش الثالث فهو في الجهة الشرقية من جبال الكوكب إلى الشمال الغربي من ثجر، فهو للقيل شرح إل يقبل بن شرح بإل يكمل من بني يزأن وجدنم دوّن فيه ما أنجزوه مع سيدهم الملك يوسف أسأر ضد الأحباش في ظفار، وضد من والاهم وناصرهم، وإحراقهم القليس، وضد نجران مع شعوب همدان وأعراب كندة ومراد ومذحج. وقد قتلوا ثلاثة عشر ألف قتيل، وأخذوا تسعة آلاف وخمسمائة أسير، وغنموا مائتين وثمانين ألف من الإبل والبقر والماعز.

الاستيطان البشري في موقع الأخدود

الاستيطان في نجران منذ عصور ما قبل التاريخ منها في العصر الحجري والذي ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- **العصر الحجري القديم الأسفل**: وينقسم إلى:

١- الحضارة الإلدوانية (ما قبل العصر الأشولي) حيث عثر في شعب دحضه أو ما يسمى بالعجمة "الواقع غرب نجران" على أدوات حجرية تؤرخ لفترة الحضارة الإلدوانية من "١٨٠٠،٠٠٠-١٢٠٠،٠٠٠ سنة ق.م"[(١)].

٢- الحضارة الأشولية: عثر على دلائل هذه الحضارة في صحراء الربع الخالي وآبار حما شمال نجران[(٢)].

ب- **العصر الحجري القديم الأوسط" الموستيري"**: تتميز أدواته بالدقة وصغر حجمها وهي بين "١٠٠،٠٠٠-١٠،٠٠٠ سنة ق.م" ووجدت في آبار حما والمرتفعات المطلة على الأودية.

ج- **العصر الحجري الحديث**: بين "٥٠٠٠-٢٥٠٠ ق.م" عثر على أدوات صيد مدببة الرؤوس كالرماح مصنوعة من الكوارتز وحجر الصوان في الجلدة وعرق البئر والمندفن وخطمه في الربع الخالي، ورسوم آبار حما التي جاء فيها رسوم للجمل مما يدل على استئناس الجمل في جنوب الجزيرة العربية في تلك الفترة[(٣)].

حيث كان للجمل دور حيوي في عصر ما يسمى بعصر التجارة البرية وذلك في نهاية الألف الثاني ق.م، وكانت نجران إحدى المدن الرئيسة في جنوب الجزيرة العربية لموقعها الاستراتيجي ولخصوبة أرضها ووفرة مياهها، مما جعلها همزة الوصل بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها ولذلك كانت مطمع كثير من القوى الخارجية التي سعت للسيطرة عليها ولبسط نفوذها والاستفادة من هذه الخيرات، وهذا ما سيتم مناقشته لاحقاً بتوسع.

---

(١) يوسف مختار الأمين، "العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية: دراسة تقويمية" أدوماتو، العدد الثامن، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٧-٤.

(٢) يوريس زارينيس وآخرون، "التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية"، أطلال، العدد الخامس، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٩-٢٦.

(٣) عبد الله بن سعود السعود "استئناس الجمل وطرق التجارة الداخلية في الجزيرة العربية"، أطلال، العدد الرابع عشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

القلعة[1] (انظر الملحق شكل رقم ٣، ٤، ٥)

يحيط بالمدينة سور وبوابة من الجهة الغربية، بالإضافة إلى آثار لسد كان يروي المدينة، محاط بالسوق التجاري الذي به معصرة للسمسم ورحى ضخمة، وكانت المدينة ذات تخطيط مربع ومحاطة بشبكة أسوار غير منتظمة إذ تمّ اتباع نظام قديم للدفاع عن المدينة يقوم على صف المنازل التي تكون سور المدينة، ويتم حمايتها أيضاً بأبراج في الأركان، وكانت البوابة الرئيسة في الجانب الغربي للمدينة. يبلغ طول الموقع (٩٠٠×٨٠٠ متر تقريباً) ويضم بعض الظواهر المعمارية البارزة التي من أهمها جدار خارجي دائري الشكل تبلغ مساحته (٢٣٠×٢٢٠ متر) مشيّد من أحجار متلاصقة مربعة الشكل، وذكرت التقارير أن موقع الأخدود يقع على مساحة كبيرة مستطيلة الشكل، أضلاعه غير منتظمة وتبلغ مساحته حوالي (٢٣٥ متر مربع) وهذه المساحة المستطيلة تمثّل جداراً خارجياً كبيراً يمثّل نمطية الأسوار التي كانت معروفة في جنوب الجزيرة العربية، ويوجد داخل هذا المستطيل عدد كبير من المباني ذات الأسلوب المتميّز في البناء، القلعة بنيت من الحجارة الضخمة والتي تشبه الحجارة التي بنيت بها الأهرامات وهي ذات أشكال مربعة ومستطيلة قصّت بأحكام، "وهذا يدل على أنهم كانوا يملكون أدوات متقدمة لقطع الصخور ورفعها" وهي عبارة عن مباني أسسها من الحجر وجدرانها من الطين واللبن (انظر الملحق، شكل ١٢) وشيّد منها قرابة عشرين مبنى من كتل حجرية مشذّبة رصّت على هيئة أفقية منتظمة، وتبلغ مساحة أصغر هذه المباني حوالي ستة أمتار مربعة، وأكبرها تصل أبعاده إلى (٢٢×١٤ متراً) بما يعادل (٣٠٤ أمتار مربعة) وقد كسيت المباني بطبقة من الصلصال، وكانت هذه المباني بمثابة قواعد ثابتة مصممة لبناء المساكن ذات الطوابق المتعددة وصلت إلى ثمانية أدوار حيث ثبت أن الأمراء والرهبان لا يسكنون الطوابق الأرضية فقط" انظر ملحق الصور – صورة متخيلة للمباني" التي تشيّد من الطوب اللبن، والتي لا تزال

(١) تمّ الاعتماد في الوصف على جون فلبي كتاب مرتفعات الجزيرة العربية – الصادر عن مكتبة العبيكان – الجزء الأول، وأيضاً على المعاينة على أرض الواقع وبعض المصورات من متحف الأخدود.

منتشرة في منطقتي نجران وعسير وكذلك في اليمن. وتمّ استخدام الحجارة الكبيرة والمنحوتة في عملية البناء وهي مرصوصة بجانب بعضها البعض بطريقة متقنة، وقد استخدم الطين والحجارة الصغيرة لسد الفراغات بين هذه الحجارة كما يلاحظ بقايا بعض المباني الطينية، وأسلوب البناء بالحجارة يتطابق تماماً مع نمط البناء المستخدم في بعض مواقع جنوب الجزيرة العربية كموقع هجر بن حميد ومواقع أخرى في وادي بيحان باليمن وتأخذ المباني الرئيسية في الموقع شكل المستطيل وينتشر على جدرانها الخارجية الكثير من الكتابات والرسوم التي تمثّل أشكال جمال ووعول وثعابين وأيد وأقدام وصلبان وأشكال أخرى، وتوجد مقبرة في الجهة الجنوبية من الجدار الداخلي قد تكون لها علاقة بالمدينة الداخلية، وتشير التقارير أن إقامة القلعة في موقع الأخدود الأثري بأسلوبها الدفاعي المميّز كان بدفاع أمني بحت بعد أن تعرّضت المدينة للغزو وما تمثّله الممالك المجاورة من تهديد مستمر، ولهذا يمكن القول إن الموقع شهد فترة استيطان تسبق إنشاء المنطقة الرئيسية المسوّرة (القلعة) وأن القلعة داخل موقع الأخدود ربما أقيمت على أنقاض المدينة القديمة التي يعتقد أن مبانيها كانت مشيّدة من الطوب والأحجار غير المصقولة.

ويوجد ناحية الغرب من البوابة الرئيسية للسور الغربي تجويف يعتقد أنه تجويف مائي حيث يذكر ريكمانز أنه تمكّن من مشاهدة مرتفع أرضي صغير يربط بين جانبي الخندق المائي ويؤدي إلى البوابة الغربية ويصعب الجزم فيما إذا كان الخندق مائياً أو خندقاً للأخدود المعروف.

أما الجزء الأكبر من الموقع فيقع خارج نطاق قلعة موقع الأخدود مما يدل على أن الاستيطان الأول في الموقع كان في هذا المكان، ومع مرور الوقت بدأ الزحف ناحية الشمال الشرقي. وتتكون هذه المنطقة من عدة مبان بعضها مبني من اللبن والقليل مبني من الحجارة كما تتميّز مباني تحمل الطراز المعماري لمباني جنوب جزيرة العربية وَوُجدت في هذه المنطقة أحجار رحى ضخمة مصنوعة من حجر الجرانيت والعمود المركزي لها وتضم هذه المنطقة أيضاً عدداً كبيراً من المباني الطينية والمواد الفخارية التي يغلب عليها الطابع البيزنطي والطابع الإسلامي المبكر،

وهذا يدل دلالة واضحة أن الموقع الأخدود شهد فترات استيطانية مختلفة استمرت حتى العصر الإسلامي.

إن بناء الأسوار الخارجية للقلعة في موقع الأخدود يلاحظ عليه أنه تتابع عشوائي من نتوءات بارزة ذات أشكال متباينة وتتبادل بشكل غير منتظم مع دخلات غائرة وتكوّن هذه الأسوار جزءاً في المحيط الدفاعي للقلعة. ويذكر ريكمانز أن أغلب مواقع جنوب الجزيرة العربية كان فيها أسوار دفاعية مبنيّة بصورة نظامية ويلاحظ على السور الجنوبي بعض النتوءات والبروز بشكل واضح ربما بسبب الدمار والتخريب الذي تعرّض له الموقع نتيجة لحادثة الأخدود أو قد يكون نتيجة تعرّضه لكثير من الهجمات والغزوات من الممالك المجاورة له. أما بوابة السور الغربي فتتميز بأنها ذات محور مستقيم ولها حجرات مجاورة ولها عتبتان، واحدة عند المدخل الخارجي والثانية عند المدخل الداخلي و لم يلحظ في هذه المنطقة المسوّرة وجود بوابة خلفية، ويتطابق مخطط الأخدود وتفاصيل البناء للمدخل والدرج ومخطط الحجرة التي بنيت من كتل حجرية مستوية مع مخططات موقع هجر بن حميد ولوحظ على بعض هذه المباني الطوب اللبن. (انظر ملحق الأشكال والصور لمباني الأخدود شكل رقم ١٢).

كما يضم الموقع مبنى ضخم ذكر ريكمانز أنه هو كعبة نجران "وهذه سنأتي على ذكرها بالتفصيل لاحقاً" وتقع خلف هذا المبنى أسوار ضخمة تتكوّن من أساسات حجرية تعلوها كتل كثيفة من الطوب اللبن وهي بذلك تشكّل أضخم مبنى في الموقع.

من المعروف أن الموقع الأخدود كان مكان الاستيطان الرئيسي في وادي نجران ومركز التجمع السكاني الأكبر في المنطقة لوفرة المياه وبالتالي اعتماد السكان بشكل كبير وأساسي على الزراعة. لذا، انتشر فيها نظام محكم وفعّال لحجز المياه للاستفادة منها في الإنتاج الزراعي حيث تمّ الكشف عن أنظمة ضخمة لإقامة سدود لحجز مياه السيول والأمطار في الموقع على غرار تلك التي وجدت في سد مأرب وحريضة وهجر بن حميد وأقيم أيضاً نظام ري في وادي نجران الذي يتمركز حوله الاستيطان البشري في موقع الأخدود بمنطقة نجران.

لقد خلّف الاستيطان البشري في موقع الأخدود الأثري تراكماً طبقياً كبيراً ومتنوعاً ضمّ في ثناياه كل ما خلّفه الإنسان القديم في ذلك الموقع خلال فترات نشاط الأخدود وازدهاره.

الجدير بالذكر أن القلعة كانت منفصلة عن المدينة بخندق مائي عريض وذلك لأن الجدارين الغربي والجنوبي ينفصلان بمسافة ٥٠ ياردة دون الزاويتين الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية للقلعة.

ففي ١٩٨٠م تمّ إجراء أول مجلس اختباري في الركن الجنوبي الشريقي من المنطقة المركزية الرئيسية المسوّرة في مساحة لا تتجاوز (٢x2م) كشفت عن مادة أثرية موزّعة على طبقات عمقها (٣ أمتار) تقريباً وقسّمت الطبقات إلى أربعة مستويات أرخت المستويات العليا إلى عام (٢٣٥ ميلادية) تقريباً في حين أن تأريخ الطبقات السفلية أو القريبة من القاع ترجح لعام (٥٣٥ ق.م) علماً أنه لم يتم الوصول إلى الأرض البكر.

الأهمية الاقتصادية قديماً

نجران وادي خصب ربما من أخصب المناطق في جنوب الجزيرة العربية، وفيها سوق يعد من أهم وأكبر أسواق العرب، وكان يسمى "سوق العمدين"[(١)] وعرف بهذا الاسم لأن وجوه العرب كانت تقيم به عمود ذهب وعمود فضة يُعرف بهما السوق.

احتلت نجران قديماً وعلى مرّ التاريخ موقعاً هاماً من الناحية الاقتصادية بين شمال وغرب الجزيرة العربية وجنوباً أيضاً خاصة في فترة (٤٠٠-٤٥٠) عاماً قبل الميلاد حيث كانت تتميّز بموقعها مثل دولة سبأ ومعين وقطبان وحضرموت، وأفادها في ذلك الشيء موقعها الإستراتيجي حيث كانت تعتبر ممراً لقبائل غرب ووسط الجزيرة العربية. وتعدّ مدينة الأخدود الأثرية شاهداً على تلك الفترة المهمة حيث كانت مركزاً للتجارة القديمة مروراً بطريق التجارة القديم. واشتهرت نجران

(١) هادي ناصر العمري: طريق القوافل القديم، ص ٥٨. وابن المجاور "تاريخ المستبصر"، ج ٢، ص ٢١٠، ذو نواس (٥١٨-٥٢٥) (انظر ملحق الصور شكل ١٤).

بسلعها الجيدة التي كانت تصل إليها من جنوب الجزيرة العربية ومن الهند كاللبان والمر والبخور، ويتم تصديرها عن طريق خط التجارة القديم المار بحمى شمال نجران حيث تتجمع القوافل به وتتفرع إلى فرعين، الأول يتجه شمال شرق الجزيرة العربية ماراً بقرية آلفاو وصولاً إلى بلاد ما بين النهرين، والثاني يتجه إلى شمال وغرب الجزيرة العربية ماراً بجرش ثم مكة المكرمة والمدينة المنورة والعلا ثم البتراء وبلاد الشام ونهر النيل حيث كانت المعابد المصرية تعتمد على صادرات جنوب الجزيرة العربية من اللبان والبخور في ممارسة بعض الطقوس الدينية.

يوسف ذو نواس، كان شاباً وسيماً جميلاً ذا هيئة وعقل وصفه ابن خلدون "بأنه شبّ غلاماً جميلاً ذا هيئة وفضل ووضاءة"[(١)] واسمه (يوسف تبع أسعد ذوغيمان أخنس كيرال هامن أصبح بن زيد بن قيس بن صيفي)[(٢)] وقد أورد المسعودي والطبري وقائع حياته. وذو النواس أحد ملوك حمْير (في جنوب الجزيرة العربية - اليمن حالياً). ويُقال إنه تَهوَّد قبل أن يعتلي العرش (وأضاف اسم يوسف العبري إلى اسمه العربي) ونجح في توحيد أعضاء النخبة الحاكمة ورؤوس العائلات الأرستقراطية في حمْير، من أهمها عائلة ذي يزن. وقد حاول ذو نواس أن يضمن ولاء كل المدن والمناطق التابعة له. ويبدو أنه كان ثمة إحساس عام بأن هناك حرباً وشيكة ستقع بين الفرس والروم (القوتان العظميان آنذاك) وأن الحمْيريين يمكنهم الاستفادة منها. وكانت مملكة حمْير تضم أقلية من اليهود، وكانت تخشى مطامع الدولة البيزنطية والقوة المسيحية في إثيوبيا، كما كان ثمة إحساس بأن المسيحيين يتجهون بولائهم للقوى المسيحية. وبالفعل، استولى الثوار المسيحيون على العاصمة الحمْيرية عام ٥١٧. فجمع ذو نواس قواته وأنزل بهم هزيمة ساحقة وحطّم كنيستهم كما ألحق الهزيمة بالقوات المسيحية الإثيوبية في العام التالي. وقد شكّ الملك في ولاء السكان المسيحيين في نجران حيث اندلعت فيها ثورة بالفعل، فهاجمها ونَكّل بأهلها وذبح منهم المئات أو الألوف، وبدأت حملة في العالم المسيحي ضد ذي نواس وحكمه. وبالفعل، جرّد الإثيوبيون حملة عبرت

---

(١) اليمن في تاريخ ابن خلدون، ص ٨٤.

(٢) الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، محمد حسين الفرج، المجلد الثاني، ص ٩٩٨.

البحر الأحمر (عام ٥٢٥). وفي هذه الأثناء، كان التحالف الذي كوَّنه ذو نواس قد تفكك، الأمر الذي أدَّى إلى هزيمته. وقيل إنه ركب فرسه واندفع إلى البحر فابتلعته الأمواج ولم يَعُد، ولكن بعثة ألمانية اكتشفت قبره عام ١٩٣١.

والمشهور: أنّه أشار إلى قصة ذي نواس وهو آخر ملوك (حِميَر) في أرض (اليمن) وكان ذو نواس قد تهوّد، واجتمعت معه حمير على اليهودية، وسمى نفسه (يوسف) وأقام على ذلك حيناً من الدهر ثم أُخبر أنّ (بنجران) شمال اليمن بقايا قوم على دين النصرانية، وكانوا على دين عيسى (ع) وحكم الإنجيل، فحمله أهل دينه على أن يسير إليهم ويحملهم على اليهودية، ويدخلهم فيها، ثم عرض عليهم دين اليهودية والدخول فيها، فأبوا عليه، فجادلهم وحرص الحرص كله، فأبوا عليه وامتنعوا من اليهودية والدخول فيها، واختاروا القتل، فاتخذ لهم أُخدوداً وجمع فيه الحطب، وأشعل فيه النّار فمنهم من أُحرق بالنّار، ومنهم من قُتل بالسيف، ومُثّل بهم كل مثلة، فبلغ عدد من قُتل وحُرق بالنّار عشرين ألفاً.

كما أصاب الخزي والعذاب ذا نواس اليهودي وهو مؤسس هذا الأسلوب القذر من الجريمة. والذي اشتهر عبر التاريخ والتفسير من قصة أصحاب الأخدود والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة البروج.

ذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن الذي قتل أصحاب الأخدود هو ذو نواس واسمه: زرعة ويسمى في زمان مملكته بيوسف وهو ابن تبان أسعد أبي كرب وهو تبع الذي غزا المدينة وكسا الكعبة واستصحب معه حبرين من يهود المدينة فكان تهوّد من تهوّد من أهل اليمن على يديهما كما ذكره ابن إسحاق مبسوطاً، فقتل ذو نواس في غداة واحدة في الأخدود عشرين ألفاً ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له دوس ذو ثعلبان ذهب فارساً وطردوا وراءه فلم يقدر عليه فذهب إلى قيصر ملك الشام فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة فأرسل معه جيشاً من نصارى الحبشة يتقدّمهم أرياط وأبرهة فاستنقذوا اليمن من أيدي اليهود وذهب ذو نواس هارباً في لجج البحر فغرق.

إن يوسف أسأر ذي نواس هو ابن الملك تبع أسعد الثنائي (تبان أسعد) ابن الملك حسان بن ذي غيمان بن أخنس (أخسين) بن كبر إل... وقد حكم جده

حسان في الفترة (٤٤٥-٤٥٦ ميلادية) ثم حكم أبوه الملك تبع أسعد بحسان - وهو تبان أسعد - في الفترة (٤٥٧-٤٧٧م)[1].

إن خال ذي نواس هو الديان بن قطن الحارثي زعيم نجران وقبيلة بني الحارث بن كعب المذحجية وكبير قبائل نجران في الجوف وما جوارها ومخلاف نجران، قال الهمداني في الإكليل: "وأم ذي نواس: سلمى بنت حزن (قطن) بن زياد الحارثي من بني الحارث بن كعب، وقال الأبرهي: قال بعض السخطيين: إن أمه مسكينة بنت زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب، قال: وسألت أبا الهيذام السخطي فقال لي: خال ذي نواس: عبد المدان ابن ديان بن قطن، ولم يذكر اسم أم ذي نواس". والصواب أن عبد المدان ابن الديان هو ابن خال ذي نواس، أما خاله فهو الديان بن قطن الحارثي لأن عبد المدان كان في عهد سيف بن ذي يزن، أما الديان فكان زعيم نجران في عهد أسعد بن حسان (٤٥٧-٤٧٧م) وعهود لحيعة يرخم (٤٨٠-٤٧٩) وشرحبيل يكمل بن لحيعة يرخم (٤٨٠-٥٠٠م) وسميفع بن لحيعة يرخم (٥٠٠-٥١٤م) إلى عهود ذي نواس. فالديان هو خال ذي نواس، وكان بيت الديان ثالث ثلاثة أكبر بيوت أذواء اليمن وهم آل رعين - زعماء ظفار ومناطق حمير -، وال ذي يزن - زعماء أذوئيات يزن والنصف الشرقي من اليمن، وال الديان زعماء نجران ومذمج.

موقف بيزنطة والفرس

القوى الرئيسية الثلاث المؤثرة آنذاك في مجرى الأحداث في جزيرة العرب، وأعني بها: الروم البيزنطينيون والفرس الساسانيون وعرب اليمن. (كان أهل ثلاثة بيوتات يتبارون في البيع وربها: أهل المنذر بالحيرة، وغسان بالشام، وبنو الحارث بن كعب بنجران، وبنو دباراتهم (أديرتهم) في المواضيع النزهة الكثيرة الشجر والغدران، وجعلوا في حيطانهم الفسافس وفي سقوفها الذهب والصور

(١) الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، مصدر سابق، ص ١٠٢٩.

"البلاذري"[١] إذ وبالرغم من بروز العديد من الممالك التي حكمتها سلالات عربية في ذلك الحين إلا أنها لم تكن جميعاً ذات شأن يذكر بسبب ضعف سلطانها وخضوعها التام لحكم الفرس أو الروم المنهمكين في صراع دائم من أجل الاستحواذ على مقاطعات جديدة في جزيرة العرب. فبعد أن خسر العرب النبطيون مملكتهم لصالح الروم عام ١٥٠م وفقدت مدينة البتراء أهميتها، أصبحت ممالك اليمن القوى العربية الرئيسية المتحدية لسلطان الروم. وهذا مما اضطر ملوك اليمن أحياناً إلى عقد أواصر صداقة وتحالف مع الفرس الساسانيين لحماية أراضيهم من الغزوات المتكررة للروم البيزنطيين.

الاحتلال الحبشي لليمن وأثرها على نجران

تعد قصة الغزو الحبشي لليمن من أهم المواضيع التي سيطرت في الكتابات التاريخية إذ كان لها حضور بارز في الحوليات السريانية والتاريخ الكنسي، وكذلك المؤرخين العرب والغربيين. وجاء هذا الغزو تلبية للرغبة الاستعمارية لدى بيزنطة لمملكة أكسوم وذلك بوضع ذريعة (حرق نصارى نجران) ليشنّ من خلالها على الملك الحميري ذي نواس. وبالتكهن في كل ذلك وبدراسة الحالة الاقتصادية والسياسية في تلك الفترة يقف أمامي عدد من التساؤلات تحتاج إلى إجابة ومنها:

- هل الغزو الحبشي فعلاً حدث، أم سيطرة سياسية للموالين لقوى التحالف مع بيزنطة في داخل اليمن؟
- هل كان الهدف البيزنطي يقف عند حدود الانتقام من أجل إخوة العقيدة كما يزعمون، ولا سيما أنهم يعدون في نظر الكنيسة البيزنطية (الأرثوذكسية) هراطقة منحرفي العقيدة، أم أن هناك أهدافاً سياسية واقتصادية أخرى تقف وراء هذا الغزو؟
- ما الذي حمل بيزنطة على إنفاق أموال طائلة من أجل نشر ما تسميها (هرطقة) سواء كان ذلك في اليمن أم في غيرها من البلدان وإقامة

---

(١) انظر كتاب: العرب النصارى، عرض تاريخي، حسين العودات، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر، ١٩٩٢.

كنائس لدعاة هذا المذهب في وقتٍ حرص فيه أغلب الأباطرة البيزنطيين على اضطهاد اتباع هذه المذاهب ومحاربتها والقضاء عليها واستئصالها في بلادهم؟

- ماذا جني الأحباش والبيزنطيون من هذا الغزو وهل تحقّق الحلم الغربي في السيطرة على بلد العطر والبخور، ونقل خطوط التجارة الدولية - البيزنطية بعيداً عن سلطان الساسانيين؟

إن الأطماع في بلاد العرب الجنوبية، والسيطرة على أهم طرق التجارة آنذاك وليدة الحقبة البيزنطية بل تمتد إلى (٣٢٣ ق.م) في احتلال - العهود الإغريقية[١]، فالإسكندر المقدوني الذي لم يتحقق حلمه ظلّ هاجس الرومان (العربية السعيدة) فيما بعد ومن قبلهم البطالسة الذين أسهموا في نقل مسار التجارة الدولية عبر البحر الأحمر والبرية بين أكسوم ومصر وذلك لتجنب المرور مع الأراضي التي تسيطر عليها القوات الفارسية[٢].

هناك مزيج متشابك من العوامل والعلاقات الاقتصادية والسياسية والدينية منها:

عوامل داخلية:

تجسدت في سيل من الصراعات حول السلطة - بين الملوك المحليين والتنازع على ملكية الأرض -، بالإضافة إلى تدهور النشاط الزراعي والتجاري على حدٍّ سواء بسبب إهمال صيانة وإدامة مشاريع الري الكبرى والسدود، وتحوّل طرق التجارة الدولية ومحاصرة تجارة اليمن والتضييق عليها، كما أن الاختلافات الدينية والمذهبية التي عصفت بالمجتمع اليمني، والتي كانت القوتان العظيمتان آنذاك (الفرس والروم) تقفان وراء تغذيتها وتأججها.

---

(١) حوراني، الملاحة العربية في المحيط الهندي، ص ٢٣. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.

(٢) نلسن وآخرون، التاريخ العربي القديم، ص ١١٩؛ بافقيه، تاريخ اليمن القديم.

عوامل خارجية:

منها محاصرة تجارة اليمن وشلّ نشاطها التجاري، وسعي بيزنطة إلى إقامة تحالفات دولية أسهمت في تحقيق الكثير من أهدافها وأطماعها تحت ستار نشر المسيحية أو تحقيق مصالح حليفاتها، ومن هذه العوامل أيضاً نقل الصراع التقليدي بين القوتين العظمتين إلى كل الأماكن ومنها اليمن من خلال إيجاد عملاء محليين يتلقون الدعم المباشر من بيزنطة أو طيسفون، أو غير المباشر من حليفاتها، ومنها الإسهام الفعال في نشر ديانات ومذاهب مختلفة بقصد تأجيج الخلافات وتفتيت الوحدة الوطنية و لم يكن غزو الأحباش لنجران عام (٥٢٥م) أول محاولةٍ كُتب لها النجاح، فقد تضمنت النقوش التي عثر عليها في نجران واليمن والكتابات التاريخية إشارات إلى عمليات احتلال متكررة تعود إلى القرن الأول الميلادي أو قبل ذلك، والقرن الرابع الميلادي، إلا أن الغزو الحبشي الأخير كان سبباً مباشراً في إيقاف العطاء الحضاري في اليمن ونجران، لقد أودى هذا الغزو ببريق عطاءٍ حضاري ظلّ يشع على هذا الجزء من الأرض العربية لأكثر من ألف وخمسمائة سنة.

لا شك أن الثراء الذي بلغته نجران جراء نشاطيها الزراعي والتجاري، وهيمنتها على أهم طرق التجارة الدولية آنذاك جعل أنظار الطامعين تتجه صوبها، لكن سياستها السلمية حيال القوى السياسية المختلفة أسهمت إلى حدٍّ كبير في الحفاظ على مكانتها، ورغم هذا فقد جرت عدة محاولات لغزوها واحتلالها، وبالفعل نجح بعض هذه المحاولات أحياناً، فالقوى السياسية آنذاك لم تكن تطمح بأكثر من تأمين طرق تجارتها، والحصول على الجزية وبعض المغانم، إلا أن نمط التفكير الغربي المتمثل باليونان والرومان آنذاك والبيزنطيين لم يقف عند تلك الحدود فحسب، بل كان يطمح في استمرار الهيمنة المطلقة على كلّ شيء ليقرّر بنفسه مصائر الشعوب وحياتها، وهذا ما يلاحظ اليوم في النمط الأوروبي والأمريكي.

لقد حاول الإسكندر المقدوني أن يحقق هذه الأطماع فرسم الخطة بعد القيام بدراسة معمّقة لطبيعة وظروف الجزيرة العربية حيث كان يرى أن احتلال العربية الجنوبية – بلد اللبان والبخور – يمنحه السيطرة على التامة على العالم القديم، لكن

أمنية الإسكندر حالت دون تحقيق هذا الحلم[1]، وسعى البطالسة خلفاء الإسكندر إلى السيطرة على تجارة البحر الأحمر وإحياء الطرق البرية القديمة بين مصر والحبشة، كل ذلك من أجل شلّ النشاط التجاري اليمني. أما الرومان فقد كان حلم الإسكندر هذا يقلق مضجعهم، ولا سيما بعد قيام الإمبراطورية إثر الصراع المميت الذي حمل لوائه أكتافيوس (أُغسطس) ٤١-١٦ ق.م ضد أعدائه الجمهوريين والذي انتهى بانتصار السيف على المبادئ، ومنحت كل السلطات وألقاب التبجيل بما فيها لقب الإمبراطور للقائد المظفر[2] (Pontifex Maximus) والكاهن الأعظم وما أن استتب الأمر لأُغسطس حتى أوعز إلى عامله على مصر (إليوس غالوس) بتجريد حملةٍ تهدف إلى ضمّ العربية الجنوبية إلى الإمبراطورية الرومانية، وكان الفشل نصيب هذه الحملة[3]، ولم يكن الفشل والهزيمة النكراء اللذين لحقا بإليوس غالوس عام ٢٥ ق.م ليوقف أطماع الرومان، فقد سجلت لنا الروايات التاريخية واقعة احتلال مدينة عدن، لعل هذا حدث في ٤١-٥٤م أو قبله[4]، حيث صار بإمكان السفن الرومانية - عهد (كلوديوس) الاستراحة في ميناء عدن والإقلاع منه إلى الهند وإلى السواحل الأفريقية بعد استيلاء الرومان على المدينة، وهناك إشارات إلى أخرى فاشلة قام بها الرومان من أجل السيطرة على العربية الجنوبية منها محاولات (كايوس) في عهد (مارك أوريل) ١٧٠م، وهزيمة (كومودوس) ومحاولات (سيفير). ١٩٩، ١٩٥م وغيرها[5] ويرى الدكتور جواد علي أن الرومان غيّروا خططهم السياسية بعد فشل حملة إليوس غالوس فلم يفكروا في فتح عسكري مباشرٍ للجزيرة العربية، بل أرادوا تقوية أسطولهم في البحر الأحمر وتحسين علاقاتهم السياسية مع الإمارات العربية ومع سادات القبائل للمحافظة على مصالحهم الاقتصادية، وتوجيه أنظارهم نحو سواحل أفريقيا

---

(١) ص ٨٣؛ شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، (ص ٣/٢٣٥)؛ حوراني، ص ٢٣.

(٢) رستوفتزوف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ص ١٢٣؛ اليافعي، الحضارة الإنسانية بين الشرق والغرب، ص ٢٣. ينظر: نلسن وآخرون، ص ١٢٠؛ علي، ٢/٤٤-٤٣).

(٣) حوراني، ص ١٧٩؛ علي، ٦٢/٢.

(٤) سيديو، تاريخ العرب العام، ص ٣٨؛ علي، ٦٢/٢.

(٥) ٦٢/٢.

وحكومة الحبشة فعقدوا اتفاقيات صداقة مع حكـــام أكســـوم[1] إلا أن الوقـــائع التاريخية تشير إلى أن سياسة العدوان حيال نجران واليمن بصفة عامـــة لم تـــتغير وبقيت محاولات الغزو الرومانية مستمرةً، ونجح الرومان فعلاً في احـــتلال عـــدن وربما تمكنوا من احتلال أجزاء أخرى من بلاد العربية السعيدة (نجران) في أوقـــاتٍ مختلفةٍ.

إن السياسة التي انتهجها الرومان من أجل السيطرة على العربيـــة الجنوبيـــة، وتأمين طرق التجارة اتخذت أشكالاً متباينةً تمثلت أحياناً بشن هجماتٍ مسَلحةٍ أو عقد اتفاقات وتحالفاتٍ مع بعض القوى السياسية العربية والحبشية، أو إيجاد عملاء محليين وتأييد فئةٍ معينةٍ على حساب الفئات الأخرى، وبث بذور الفرقة والشقاق، والصراع بين الأمراء المحليين، فضلاً عن أن سياسة شلّ النشاط التجاري في اليمن بسبب تغيير طرق التجارة والمواصلات وإحياء طرق بعيدة عن اليمن كل ذلـــك أدى إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية على حـــدٍّ ســـواء. ومـــع قيـــام الإمبراطورية البيزنطية واتخاذ القسطنطينية عاصمة لها بدأت مرحلـــة جديـــدة في مسلسل الأطماع الغربية في اليمن.

فبعد أن اعتنق قسطنطين الأول ٣٢٤، المسيحية ونصّب نفسه راعياً وحاميـــاً لها - واتخذ الصليب ذا الرأس المعقوف شعاراً له وقاد جنده تحت ذلك اللـــواء[2] ووجد في المسيحية خير وسيلةٍ للوصول إلى الأهداف التي طالما سعى الغربيون إلى تحقيقها، وقد نجحت السفارات التي أرسلها الأباطرة إلى الحبشة واليمن في تحقيـــق أهدافها ومنها نشر المسيحية هناك حيث تمكن المبشر السوري (فرومينتوس ٣٥٠م) من إقناع ملك الحبشة (أزانا) أو (أُذينة) باعتناق المسيحية حيث صارت الحبشـــة منذ ذلك الوقت حليفاً دائماً لبيزنطة. وصارت المسيحية ديانة الـــبلاد الرسميـــة[3] وتمكن الهندي الأريوسي (ثيوفلس) من نشر المسيحية في اليمن وإنشاء عدد مـــن

(١) رنسمان، الحضارة البيزنطية، ص ٢٠-٢١.

(٢) نلسن وآخرون، ص ١١٠؛ علي ٦/٦١٢، بافقيه، ص ١٧٨؛ بيغويفيسيكيا، العرب على حدود بيزنطة وإيران، ص ٨٥.

(٣) تاريخ العرب، ص ٨١؛ علي، ٦/٦١٢؛ كوبشيانوف، الشمال الشرقي الأفريقي في العصـــور الوسيطة المبكرة، ص ٢٤.

الكنائس فيها[1]، ومما تجدر الإشارة إليه أن انتشار المسيحية في اليمن تحقق بعد الغزو الحبشي عام ٣٤٠-٣٧٠ قد حصل بفضل سيوف الأحباش وحلفائهم البيزنطيين، فضلاً عن أن انتشارها في الحبشة ربما كان ثمناً أو اعترافاً بالجميل البيزنطي لمساعدة الأحباش في غزوهم لليمن واحتلالها. لقد بلغت الأطماع البيزنطية في اليمن ذروتها مع تفاقم أزمة الحرير بسبب اشتداد الصراع التقليدي بين بيزنطة وفارس، مما دفع إلى تدخل الدولة في تجارة الحرير، ورغم ذلك فقد لحقت بالتجارة البيزنطية أضرار كبيرةٌ من جرّاء عرقلة طرق المواصلات ورفع ثمن المادة الخام[2] لذا بات من الضروري السعي جدياً للحصول على الحرير وغيره وإيصاله إلى أوروبا دون المرور بالأراضي الخاضعة للسيطرة الساسانية، ولعل أيسر السبل إلى ذلك هو السيطرة على الجنوب العربي والمحيط الهندي. إن الأطماع الغربية في نجران واليمن تتمثل في السيطرة على ثراء هذا الجزء من الأرض العربية من أجل الحصول على ثرواتها بأبخس الأثمان، وتأمين وصول الحرير والبضائع الأخرى القادمة من الهند والصين بأقل تكلفة فضلاً عن فرض رسوم على التجارة المارة عبر نقاط تفتيش تضعها تلك السلطات بدلاً عن دفع مثل هذه الرسوم إلى جهاتٍ أخرى، أما من الناحية السياسية فإن غاية ما كان يصبو إليه الغربيون آنذاك هو إيجاد تحالفات وتكتلات سياسية تهيمن عليها روما أو بيزنطة للوقوف بوجه العدو التقليدي في بلاد فارس، وقد استنفذ الغربيون كل الوسائل من أجل الوصول إلى تلك المآرب، فكانت الهجمات والحملات العسكرية، وكان التآمر في داخل اليمن ونجران وبث الفرقة والصراعات بين القوى المحلية، وتقديم الدعم لطرف معيّن على حساب الأطراف الأخرى، والإسهام في نشر الديانات والمذاهب المختلفة وإنفاق الأموال الطائلة من أجل ذلك[3]، وكثيراً ما دفع الغربيون حلفاءهم لدخول حروب بالنيابة عنهم منها حروب الأحباش مع الحميريين. تركت لنا النقوش والآثار التي عثر عليها في مواقع أثرية في نجران واليمن الكثير

(١) بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٧٦؛ بافقيه، ص ٨٢.

(٢) علي، ٥٩٦/٥؛ كوبشيانوف، ص ٢١.

(٣) علي، ٤٤١/٤؛ بافقيه، ص ١٢٧.

من الأخبار والإشارات إلى حروب ومعارك دارت رحاها في أماكن متفرقة في داخل اليمن أو نجران أو على الشواطئ الحبشية، فضلاً عن النقوش التي تركها المحتلون، وقد جاءت هذه النقوش والآثار لتؤكد على الأخبار الواردة في المصادر التاريخية المختلفة فتعززها وتوثّق لها. (انظر ملحق الصور شكل رقم ١).

لقد أظهرت النقوش والكتابات أن الأحباش كانوا يغيّرون سياستهم تبعاً لتغيّر الأحوال، إذ نجدهم تارة على علاقة حسنة مع إحدى القوى السياسية أو بعضها ثم ما تلبث أن تتحول هذه العلاقة إلى أسوأ حال مع هذه القوى نفسها، وذلك تبعاً لمصالحهم التي تتركز دائماً على تثبيت أقدامهم على السواحل العربية وتوسيع رقعة ممتلكاتهم[١]، وحماية مصالح حلفائهم من الرومان أو البيزنطيين، إن النقوش الموسومة بـ (Jamme 574)، (Jamme 575)، (Jamme 576)، (Jamme 630))، قد سجلت لنا عدداً من المعارك التي خاضها كل من الملك الحميري (شاعرم أوتر) ومعاصره (الشرح يحضب) ملك سبأ وذي ريدان (نحو ٥٠-٢٠ ق.م) ضد الأحباش وحليفهم (شمر ذيريدان) وحلفائهم الآخرين. وهناك إشارات إلى هزائم منكرة لحقت بالأحباش وحلفائهم عند احتلالهم ظفار وبعض السواحل الجنوبية في الجنوب العربي[٢]، وقد تحدثت هذه النقوش أيضاً عن حملات تأديب لنجران التي كان يعتقد أن هناك جزءاً منها حليفةٌ للأحباش[٣] ويستشف من مجموع النقوش المكتشفة وجود سلسلة من حالات الاحتلال المتكررة لليمن جرت منذ مطلع القرن الأول الميلادي أو قبل ذلك التاريخ حيث حاول الأحباش أن يتمركزوا في اليمن مستغلين حالات الصراع المستمرة بين القبائل العربية والنزاع بين رؤسائها[٤] ويبدو أن الأحباش تمكنوا من دخول ظفار بين عامي (١٩٠-٢٠٠م)[٥] كما أكد (لينكولوس) على وقوع غزو حبشي

(١) علي، ٣٧٨/٢؛ بافقيه، ١٣٥؛ الحداد: تاريخ اليمن السياسي، ص ١٠.
(٢) بافقيه، ١٣٢.
(٣) علي، ٤٥٠/٣، الحداد، ١٠.
(٤) علي، ٤٥٠/٣، الحداد، ١٠.
(٥) علي ٤٥٥/٣.

لبلاد العرب الجنوبية دام مدة قصيرة (وذلك في نهاية القرن الثالث الميلادي[١]) لا شك أن الأحباش استغلوا الصراعات والفتن التي وقعت بعد وفاة شمر يهرعش ٢٧٠-٣١٠م) بين قبائل سبأ وحمير ورحبة وكندة وغيرهم[٢] تلك النزاعات التي فتحت الطريق أمام الغزاة ليتمكنوا من بسط سلطانهم على الجنوب العربي، إلا أن المصادر لا تسعف كثيراً في تكوين تصور حول طبيعة الحكم الحبشي في اليمن في تلك الحقبة، ولكن يبدو أن الأحباش درجوا على تعيين ملك من بين الأُسر المثامنة[٣] يدين بالولاء لهم ويحمي مصالحهم ومصالح حلفائهم البيزنطيين[٤].

إن انتزاع السلطة من يد الأحباش في اليمن عام (٣٧٠م) وسيطرة ملوك حمير مرةً أخرى لا يعني إنهاء الوجود الحبشي في اليمن بل يبدو من الأحداث التاريخية أن النفوذ الحبشي استمر في اليمن، ولعب الأحباش دوراً مباشراً في الأحداث السياسية، فقد رفع الأكسوميون بمساندة عملائهم المحليين (معد يكرب يعفر) إلى العرش بعد عام (٥٠٦م)[٥] وتشير النقوش إلى الانتصارات التي حققها يوسف أسأر ذو نواس وإلى انتزاع ظفار من أيدي الأحباش والاستيلاء على الكنيسة وإنزال الخسائر بالأحباش الذين تحصنوا بالمصانع[٦] والحصون وبمن ساعدهم من القبائل ومن تجمّع في نجران لمساعدتهم[٧] يلاحظ المتتبع للأحداث أن صراعاً ارتبط بقيام الدولتين الحميرية في اليمن وأكسوم في الحبشة، وكان الباعث وراء هذا الصراع تأمين طريق التجارة البحرية بين الهند والبحر المتوسط عبر البحر الأحمر والموانئ والشواطئ اليمنية، والهيمنة على المصالح الاقتصادية، وكان الرومان والبيزنطيون دائماً وراء هذا الصراع. استولت الفكرة القائلة - بأن الغزو الحبشي لليمن جاء رداً على اضطهاد ذي نواس لنصارى نجران - على أذهان الكثير من

---

(١) نلسن وآخرون، ص ١٢١.
(٢) علي، ٢٣٣/٥، ٥٣٠/٢.
(٣) المثامنة: هم الأسر الثمانية التي يتولى أحد أفرادها الرئاسة العليا، وهو الملك)، ٢١.
(٤) الأعظم، ينظر للمزيد: الحميري، ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ١٥٨.
(٥) كوبشيانوف، ص ٣.
(٦) المرجع نفسه.
(٧) المصانع: المنازل وقيل الحصون والقصور المشيدة، وقيل هي مساكات لماء المطر ينظر: ابن سيده، المخصص، ٥٣/١٠؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٢٣/١٣.

الباحثين والمؤرخين، فقد تناقلت المصادر العربية القصة التي صاغتها الحوليات والأدبيات السريانية والمسيحية عامة، وقد عزّز هذا الاعتقاد لدى الكتاب المسلمين الإشارة القرآنية إلى أصحاب الأخدود في قوله تعالى: ﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ**﴾[1] (إلا أن نظرة فاحصة في مجمل الروايات التاريخية واستقراء الأوضاع السياسية والاقتصادية للمنطقة في تلك الحقبة يؤكد أن الأمر لم يقف عند حدود الاضطهاد الديني المزعوم، ولم يكن هناك أي اضطهادٍ ديني أصلاً وقصة الاضطهاد هذه كانت من نسيج الخيال المسيحي ليس إلاّ. بتحري مصادر الرواية العربية أمكن التوصل إلى أن مصدر هذه القصة هما اليهوديان (وهب بن منبه) و(محمد بن كعب القرظي)[2] اللذان نقلاها بلا شك عن المصادر المسيحية، إلا أن الملاحظ أيضاً تنبّه بعض المؤرخين العرب إلى تناقض الرواية المسيحية مع الإشارة القرآنية، فالرواية المسيحية تؤكد على أن الملك الحميري أمر نصارى نجران باتباع منهج التوحيد ونبذ أُلوهية المسيح، وهو ما جاء في قصة استشهاد الحارث وغيرها من المصادر (فلست أريد منكم يا أهل نجران أن تكفروا بالإله الذي خلق السماوات والأرض، ولا أن تعبدوا الشمس والقمر والنجوم التي في السماء، أو شيئاً مما في الأرض من المخلوقات، أو شيئاً مما في البحر والأنهار، ولكن تقولون هذا فقط: إن الذي صلب إنسان وليس إلهاً)[3] (لكن أهل نجران أبوا إلاّ أن يشركوا بالله تعالى بقولهم: (نقرّ ونؤمن بلاهوت واحد ثلاثة أقانيم الأب والابن الروح القدس جوهر واحد وأن الواحد من هذه الثلاثة هو الابن إلهنا ومخلصنا أيسوع كما كرز لنا رسله القديسون)[4]. والنصوص السابقة نصوص غير دقيقة حيث يؤكد القرآن الكريم على أن اضطهاد أصحاب الأخدود للمؤمنين الوارد ذكرهم في الآيات السالفة كان بسبب نقاء عقيدة التوحيد لدى المؤمنين، قال تعالى: ﴿**وَمَا نَقَمُوا**

---

(١) سورة البروج، الآية: ٤-٧.

(٢) علي، ٥٩٦/٢؛ بافقيه، ١٦٥؛ كوبشيانوف، ص ٣٣.

(٣) وهب بن منبه، التيجان في ملوك حمير، ص ٣١٣، ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٦/١.

(٤) كوبشيانوف، الملحق الأول، ص ٣٥٤.

مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1] وقد ذكر الدينوري في تاريخه: أهم كانوا على دين المسيح الذي لم يشبه أي تشويه.

وقد عملت السلطة الحبشية على قيام ثلاث كنائس في نجران هي[2]:

١- كنيسة المسيح علية السلام.

٢- كنيسة السيدة العذراء.

٣- كنيسة الشهيد الحارث وكانت نجران مركزاً للأسقفية ومركزاً للسلطة.

(١) سورة البروج، الآية: ٨-٩.

(٢) انظر كتاب "التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير"، للدكتورة/ نورة بنت علي النعيم، ص ٣٩١.

الفصل الثالث

- الصراع على نجران
- لماذا نجران؟
- نقش النمارة
- طريق القوافل
- جبل صهيون

الصراع على نجران

يعرف الدارسون للتفسير القرآني ومن خلال سورة البروج قصة اضطهاد "أصحاب الأخدود" المؤمنين النصارى من جانب أعدائهم الوثنيين أو اليهود في جنوب الجزيرة وفي نجران تحديداً قبل الإسلام. لكن مفسّري القرآن وبسبب الغموض والإيجاز في الآيات، يعيدون حدث الاضطهاد والإحراق إلى القرون المسيحية الأولى. بل إنهم يذكرون أماكن مختلفة لذلك الحدث. وهناك رواية واحدة تربط ذاك الاضطهاد الذي وقع على المسيحيين باليهود. وفي القرنين التاسع عشر والعشرين استجدّ مصدران لحدث الاضطهاد، أولهما مسيحي مشرقي وهو ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: رسالتان أو ثلاث رسائل سريانية كتبها كهنة وأساقفة في الربع الأول من القرن السادس الميلادي في بلاد الشام، ويتحدث فيها الكهنة والأساقفة عن آلام إخوانهم مسيحيي نجران واستشهادهم على يد الملك السبئي المتهوّر يوسف أسأر يثأر بحسب النقوش السبئية أو ذو نواس، كما في المصادر العربية.

والقسم الثاني: رسالة كتبها مجهول في تاريخ متأخر، وهي تروي بتفاصيل كثيرة ذات صبغة عجائبية استشهاد آلاف النصارى في نجران على يد الملك اليهودي السبئي. وللرسالة ترجمات أو صيغ بالسريانية والحبشية والأرمنية والجيورجية واليونانية والعربية. والمصدر الثاني لحادثة الاضطهاد النقوش السبئية الموجودة على الصخور، والتي يروي فيها كتبةُ الملك نفسه الإنجاز الذي حققه بذبح أعدائه من الأحباش والمسيحيين هو ريكمانز.

وقال فالتر ميللر وهو أستاذ اللغة السبئية في معهد الدراسات الشرقية في جامعة توبنغن، صحة هذه النقوش السبئية الخاصة بالحدث. وأضاف إلى ذلك كتاب الأستاذ عرفان شهيد الصادر بالإنكليزية عام ١٩٧١ بعنوان "شهداء نجران"

والكتاب الآخر للبطريرك إغناطيوس الثالث يعقوب الصادر في دمشق عام ١٩٦٦ بعنوان "الشهداء العرب الحميريون في الوثائق السريانية". وكتاب الرواية العربية لاستشهاد القديس الحارث بن كعب ورفقائه في مدينة نجران، حقّقها وقدّم له الأب الحارث أبراهيم ووقتها عرفنا الظروف السياسية لاضطهاد المسيحيين في نجران وأنحاء أخرى من اليمن. فقد كان هناك صراع على جنوب وجنوب غرب الجزيرة بين البيزنطيين وحلفائهم من الأحباش، والفرس وحلفائهم من سبأ وحمير. والصراع سابق على الربع الأول من القرن السادس الميلادي. وقد اتخذ أحياناً سمات قومية ووطنية. فبعد القرن الرابع الميلادي تراجعت قوة الممالك اليمنية وبخاصة تلك المملكة التي كان ملوكها يتخذون لأنفسهم لقب: ملك سبأ وحمير وحضرموت ويَمَنات، فتكررت غزوات الإثيوبيين عليهم تنافساً على محاصيل البلاد، وعلى الطرق التجارية عبر البحر الأحمر، وفي داخل الجزيرة بدءاً باليمن أو انتهاء بها.

ومن الراجح أن المسيحية واليهودية انتشرتا باليمن منذ ما قبل القرن الرابع، وكان مصدرهما الحبشة أو فلسطين. بل يبدو أن بعض اليهود قد قدموا باكراً إلى شمال الجزيرة وجنوبها بعد الدمار الذي نزل بهم من جانب الرومان.

على أن الصراع على اليمن بعد القرن الرابع الميلادي، ما لبث أن اتخذ أبعاداً دولية، وما عاد مقتصراً على جولات الكرّ والفرّ بين الأحباش واليمنيين، بل دخل فيه البيزنطيون والفرس. الأحباش استعانوا بالبيزنطيين، واليمنيون استعانوا للموازنة وزيادة القدرة على الدفاع بالفرس. وفي الفترة التي تتحدث عنها النقوش ورسائل الشهداء بين ٥١٨ و٥٢٥م اتخذ هذا الصراع سمات وطنية وقومية، كما سبق القول. إذ يبدو أن الملك السبئي المتهوّد يوسف أسأر يثأر ذو نواس استطاع دحر الأحباش وقذفهم باتجاه الساحل، ثم انصرف لتنظيف أنحاء البلاد الداخلية من آثارهم.

وكما كانت اليهودية متغلغلة في أوساط الحميريين، كذلك كانت المسيحية فيما يبدو متغلغلة في أوساط قبيلة الحارث بن كعب ومن مواطنها نجران. ويظهر أن ذا نُواس اعتبر بني الحارث النجرانيين المسيحيين أعواناً للأحباش المستعمرين

المنسحبين، فمزج بين التحرير القومي والاضطهاد الديني، وارتكب مذبحة بحقهم، بلغ من هولها أن انتشر خبرها في العالم المسيحي المشرقي آنذاك، فهبّ البيزنطيون لمساعدة الأحباش من ناحية البحر، فاستطاعوا العودة إلى صنعاء وسائر أنحاء اليمن، وصارعوا ذا نُواس وقتلوه.

وفي تاريخها القديم تعرضت نجران دائما لحملات عسكرية عديدة. ويعود ذلك إلى أهمية موقعها الجغرافي، فلقد كانت محطة أساسية في خط المواصلات التجارية ولا سيما بين دول "معين" و"سبأ" و"حضرموت" وتزودنا النقوش والكتابات التي عثر عليها المستشرق جليسر بدليل تاريخي عن أقدم غزوة عسكرية تعرضت لها نجران في عام ٦٦٠ ق.م. أي في فترة حكم "المكرب"(*) وابنه "يثع امربين" تعرضت نجران لحملة عسكرية ضخمة بقيادة الأخير ضد بعض القبائل في نجران، قتل فيها الكثير من أهلها كما دمرت قرى عديدة آنذاك. وتدل النقوش على أن الحياة ما لبثت أن عادت إلى نجران بعد ذلك. ولكنها لم تتمتع طويلاً بهذه الحياة الهانئة، فقد قام آخر ملوك دولة سبأ بحملة عسكرية عليها أدت إلى قتل الكثير من السكان وتدمير عدد كبير من القرى. وقد أشار المؤرخ اليوناني سترابون إلى أن نجران قد تعرضت في عام ١٤ ق.م لحملة عسكرية أخرى حين أراد الرومان في عهد أغسطس قيصر، وبعد احتلالهم لمصر، أن سيطروا على طرق التجارة التي كانت تمتد عبر جبال الحجاز وثغور البحر الأحمر. ويذكر سترابون أنه بمجرد صدور أوامر أغسطس قطع جيشه مسافة ٢٥٠٠ كم وحاصر نجران حصاراً قاسياً، ثم ما لبث أن احتلها ودمرها تدميراً كاملاً بعد أن قام بنهبها. ولقد أكد بعض المؤرخين القدامى والمستشرقين أن نجران انضوت بكامل أجزائها تحت حكم

(*) إن النصف الأول من الألف الأول ق.م. كان عصر الدولة السبئية، بلا منازع - تقريباً -. حينئذٍ كان على رأس الدولة حاكم يدعى؛ "مكرب". فالمكرب هو لفظ من الجذر "كرب"، وقد عرِف المكرب بأنه "لقب رئيس حلف قبلي في العصور المتقدمة"، كما عرف بأنه "مجمع"، وفي رأيٍ ثالث؛ أن "المكرب كلمة مشتقة من الجذر كرب بمعنى: جمع أو حشد، والمكرب المجمع... ويتميز الملك عن المكرب بترؤسه فقط (لشعب) واحد. وفي هذا السياق فإنه يمكن القول: "إن لفظة مكرب، تعني هنا: مجمع الشعوب أو موحدها". ويعتقد أحد المستشرقين؛ أن لقب مكرب يعني رئيس مجموعة من الشعوب. وفي رأينا أن المكرب ظهر في حقبة زمنية معيّنة ارتبط بخصائص هذه المنطقة الدينية والاجتماعية وربما الاقتصادية.

دولة "معين". وقد دللوا على ذلك بالنقوش المعينية التي عثر عليها بعضهم على طول الطريق الممتد من اليمن إلى ثغور البحر البيض المتوسط، حيث القوى الرئيسية الثلاث المؤثرة آنذاك في مجرى الأحداث في جزيرة العرب، وأعني بها: الروم البيزنطينيون والفرس الساسانيون وعرب اليمن. إذ وبالرغم من بروز العديد من الممالك التي حكمتها سلالات عربية في ذلك الحين إلا أنها لم تكن جميعاً ذات شأن يذكر بسبب ضعف سلطانها وخضوعها التام لحكم الفرس أو الروم المنهمكين في صراع دائم من أجل الاستحواذ على مقاطعات جديدة في جزيرة العرب. فبعد أن خسر العرب النبطيون مملكتهم لصالح الروم عام ١٥٠م وفقدت مدينة البتراء أهميتها، أصبحت ممالك اليمن القوى العربية الرئيسية المتحدية لسلطان الروم. وهذا مما اضطر ملوك اليمن أحياناً إلى عقد أواصر صداقة وتحالف مع الفرس الساسانيين لحماية أراضيهم من الغزوات المتكررة للروم البيزنطينيين.

لماذا نجران!!؟؟

تنبع أهميتها بالدرجة الأولى من موقعها حيث تمتلك كل مقومات الزراعة من وفرة المياه وخصوبة التربة وأيدي عاملة وتسويق منتجات، ومعروف أن الاقتصاد في الأزمنة القديمة هو اقتصاد زراعي بالدرجة الأولى. وموقعها كذلك يقع في مركز استراتيجي إذ بها تلتقي شبكة الطرق وخاصة الطرق التجارية بين العربية الجنوبية والعربية الشمالية والتي تفضي إلى كل من الخليج في الشرق والعراق وفارس والشام، ومن ثم تتوقف فيها القوافل التجارية القادمة من الجهتين للراحة والتزود بالماء والغذاء ولتسويق بعض ما تحمله من بضائع، وتتبضع من منتجات نجران المختلفة لتسويقها بأماكن أخرى وربما أن بعض أهلها كانوا يشاركون في هذه القوافل بصفتهم تجاراً أو رجال خدمات. وليس من المستبعد أنه كان فيها مناجم لبعض المعادن الثمينة. وبسبب موقعها المهم واقتصادها المزدهر في أكثر الأزمنة تعرضت للغزو وطمع الطامعين فأصيبت بذلك بأضرار فادحة مراراً.

وعلاقاتها بالقوى المجاورة من ممالك وقبائل لم تكن دائماً على حال واحدة، فهي تتقلب بين التحالف والصراع، والصراع يكون إما على اختلاف مصالح أو

محاولة الأقوى الهيمنة على الأضعف، لكن على ما يظهر أن علاقاتها بالأحباش قديمة وكانت بالمجمل علاقة ودية. ويؤيد ذلك ما ورد في النقش الذي أعطي اسم Jamme 633 أن (يحمد غيل) [Jamme, Sabean Inscriptions] تولى أمر الحميريين المستقرين الذين صاروا بين جيشين وأنه قام بواجبه... وأنه خاض حروباً في منطقة خلف (نجرن) نجران لمحاربة مقاتلي (حبشن) الحبش ومن كان يؤازرهم. ويظهر من هذا النص أن نجران كانت في أيدي الحبشة في هذا الزمن.

ومعروف أن علاقة العربية الجنوبية بصفة عامة بالحبشة علاقة تواصل وتفاعل وصراع كل منهما أثّر بالآخر من حيث اللغة والكتابة وكل وجوه التأثير الأخرى، ولكن الباحث يتساءل: لماذا حظيت نجران بتلك العلاقة الخاصة والتأثير القوي رغم أنها منطقة داخلية بعيدة عن الساحل، ومن هذه العلاقة الخاصة اعتناق كثير من أهل نجران للديانة النصرانية، فإن لم يكن للحبشة يد في هذا فقد جمعتهما وحدة المعتقد ومن ثم بعض العلاقات المشتركة.

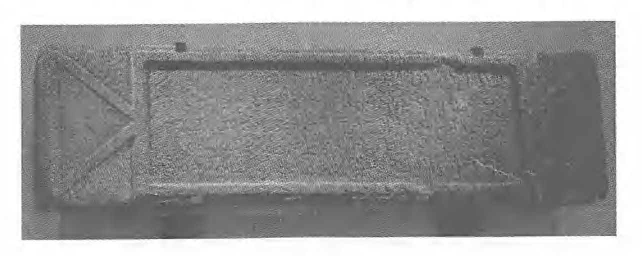
المصادر العربية من خلال عدد من الروايات المتباينة تجعل دخول النصرانية في نجران واليمن بصفة عامة لا علاقة للحبشة فيه وتجعلها نتيجة لجهود أفراد عرب وغير عرب، ووفقاً لهذه الروايات فقد تمّ دخول النصرانية عن طريق الصدفة لا عن طريق التبشير المخطط له والمدعوم إما من حكومة أو مؤسسات كنسية تملك الخطط والوسائل المالية والبشرية لتنفيذ مشاريعها. وهو أمر أرى صحة قبوله بدليل رد الفعل الدولي عند كل من الإمبراطورية البيزنطية والمملكة الحبشية والقوى النصرانية في المناطق العربية في الأطراف الشمالية الشرقية والشمالية على حادثة قتل نصارى نجران من قبل ذي نواس، والذي أتى متأخراً لأكثر من عام وبعد التفكير في كيفية الاستفادة من هذه الحادثة لصالحهم كما سيأتي في تفصيل لاحق.

نقش النمارة:

عثر المستشرقان رينيه دوسو وفريدريك ماكلر سنة ١٩٠١، على شاهد قبر مصنوع من حجر البازلت، على بعد كيلومتر من النمارة القائمة على أنقاض قصر روماني شرقي جبل الدروز. وهو مكان لا يخلو من مؤثرات لغوية غير عربية، لأن النمارة تقع في بلاد الشام التي كانت تغلب عليها الآرامية.

رسم الحروف النبطية وقراءة نقش النمارة عربياً كما نشره المستشرق الفرنسي رينيه دوسو عام ١٩٠٥ (أضيفت الأرقام للتوضيح).

وفي الأسفل كلمات النقش بالحروف النبطية وترجمتها العربية، حسب قراءات وتفسيرات غالبية الذين درسوا هذا النقش في العالم العربي، علماً أن هناك اختلافاً بينهم في قراءة بعض الكلمات العربية أو تفسير معناها:



«تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج
وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجأ
بزجي في حبج نجرن مدينت شمرو ملك معدو ونزل بنيه
الشعوب ووكلهن فرس والروم فلم يبلغ مبلغه
عكدي هلك سنت ٢٢٣ يوم ٧ بكلول بلسعد ذو ولده»

وهذا تفسير القراءة أعلاه بالعربية الحديثة:

«تي نفسُ امْرئ القَيس بن عَمرو ملك العرب كُلّها الذي أسرَ التاجَ
ومَلَكَ الأَسْدِيّين ونـزارَ وملوكَهم، وهرَّبَ مذحجَ عكداً. وجاء
يزجي في حَبَج نجران مدينةِ شمر. ومَلَك مَعَدّ ونـزّلَ بنيهِ
الشعوبَ، ووكّلهم فارس والروم. فلم يبلُغ مِلِكٌ مبلغَه
عكداً. هلكَ سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول. فليسعد الذي ولدَه

وافترض جميع قراء نقش حجر النمارة لأكثر من قرن ومنذ عثور دوسو عليها عام ١٩٠١م أن هذا الحجر المعروض الآن في متحف اللوفر بباريس (انظر الشكل رقم ١٢) كان شاهد قبر أهم ملوك العرب قبل الإسلام: امرؤ القيس بن عمرو. وهنا يقول المؤلف والباحث سعد الدين أبو الحَب:

"إلا أنني وبعد استقصائي المعمّق لحروف النقش النبطية وبعد ترجمتها للحروف العربية توصلت إلى أن هذه الفرضية المعتمدة على قراءة دوسو الأولية، فرضية خاطئة وغير دقيقة.

فبعد إعادة قراءتي لنقش النمارة ولنقشي أم الجمال ورقوش (وهذه النقوش الثلاثة هي النقوش النبطية الوحيدة التي كتبت بلغة عربية، حسب ادعاء المستشرقين)، اكتشفت أن نقش النمارة كان يتحدث عن فارس مجهول اسمه عكدي، وهو قد يكون شخصية قبلية عربية أو أحد المحاربين العرب، ممن استطاع من خلال عمله تحت إمرة قوات الروم أو بالتنسيق معها أن يوقع الهزيمة بقبيلة مذحج القوية والمتنفذة في بلاد اليمن، أوائل القرن الرابع الميلادي. وحسب قراءتي يمكننا تقسيم نص نقش النمارة إلى ثلاثة أجزاء، فقرة المقدمة وهي عبارة قسم وتعظيم لروح الملك امرؤ القيس ليس إلا، وفقرة المتن وهي فقرة طويلة تفصيلية تصف إنجازات عكدي وانتصاراته في معركة واحدة لا غير، والخاتمة التي تعلن وفاة عكدي وتأريخها".

كما يواصل سعد الدين أبو الحب ويقول تكمن أهمية قراءتي لنقش النمارة تحديداً في إثباتها أن لغة هذا النقش، والتي قرأها جمع غفير من الباحثين بعربية ركيكة أعجمية، كانت في واقع الحال لغة عربية فصحى متينة لا تشوبها أية شائبة لغوية أو نحوية. ونظراً لأن نقش النمارة جاء قبل أربعة قرون من الإسلام، فإن قراءتي الجديدة له ستجعله دليلاً مادياً قاطعاً وملموساً ومرجعاً معتمداً، يثبت أن العربية الفصحى، أو كما أسماها المستشرقون بالعربية الكلاسيكية، لم تكن وليدة العصر الإسلامي و لم تكن لغة محصورة في استخدامها عند قوم عربي معيّن أو في موقع جغرافي محدّد؛ إنما هي اللغة الأم التي كتبت وفقها أقوام العرب المختلفة نصوصها وخطاباتها الهامة وتغنّت باستخدامها في تأليف أشعارها الجميلة، قبل وبعد الإسلام.

وفي الختام، أضع بين يدي القارئ الكريم، أدناه، قــراءتي لــنقش النمــارة بالكلمات العربية الحديثة وفقاً لترجمتي الحرفية عن النبطية، بعد إضــافة حــروف الألف والحركات وإزالة حروف الواو النبطية الإضافية وإبــدال الــراء النبطيــة بالنون، وبعد إضافة فوارز ونقاط وكلمات بديلــة داخــل الأقــواس، وذلــك للتوضيح:

{تَيا (قَسماً يا؛ يا) نَفسُ (روحُ؛ دَمُ) امرؤ القيس بن عَمْرو، مَلِــكُ العَــرَبِ كُلِّها، ذو أسَد التاج (كُنية)، ومَلِكُ الأسَديين (قبائل أسد في نَجْدْ) ونَزارٍ (بنــو نَزار في الحجاز) ومُلوكَهُمُ. (لقد) هَرَّبَ مِذْحِج (قبيلة يمانية) عكْدي (اسمُ علم)، وجاء (أي عكْدي) يزُجُّها (يُقاتلها بضراوة) في رُتِجِ (أزقة ؛ طُرُقْ ضَيِّقة) نَجران، مدينة شِمرْ (الملك شِمرْ يَرعشْ)، مَلِكُ مَعَدٍ (بنو مَعَدْ)، وبَيَّنَ (مَيَّزَ بَــيْنَ) بنيهــا الشعوب (فروع قبيلة مِذْحج)، ووكَّلَهُنَّ (وَضَعَهُنَّ تحت حماية) فُرْسانُ الروم، فَلَمْ يبلغْ مَلِكٌ (أي حتى مَلِكٌ) مَبلَغَه (ما بَلَغَهُ عكدي). عكْدي هَلَكَ (مات ؛ قُتِــلَ) سَنَة ٢٢٣ (٣٢٨م)، يَومْ ٧ بكسلولْ (كانون الأول)، يا لِسَعْدِ (يا لســعادةِ) ذو (الذي) وَلَدَه (أَنْجَبَهْ)}.

يقول فاضل الربيعي في كتابه المسيح العربــي إن ربة نجران هي كعبة قديمــة من كعبات العرب، حيث يرى أن دأود هاجم الربة "أي نجران" من اليمن كمــا فعل من بعده ملوك اليمن من اليهود كان آخرهم ذو نواس الحميري من خــلال قصة الأخدود التاريخية الشهيرة.

وأكد الربيعي أن هناك اتفاقية وقّعت تحت مسمى دبلوماسية الكنائس بــين بيزنطة ممثلة في قسطنيوس ابن قسطنطين الكبير وقساوسة نجران لتأمين سلامة طرق القوافل عام ٣٣٠م (كأول اتفاقية سلام في العالم) نقلاً من كتاب شيخو ٥٧.

حيث كانت العلاقات بين بيزنطة ونجران متداخلة بسبب المصالح السياســية والدينية والتجارية خصوصاً في عهد الإمبراطور قسطنيوس والذي كان له رغبــة قوية في توثيق العلاقات مع مسيحي نجران بهدف قطع الطريق على الفرس والحــد من نفوذهم السياسي مستغلاً الصلات العائلية بين الحيرة وبني كعب سادة نجــران وأساقفتها.

ويضيف الربيعي أنه في عام ٣٣٦م أي بعد ست سنوات من الاتفاقية أرسل قسطنيوس وفداً كنسياً ترأسه تاوفيل الهندي من أجل التبشير بالآريوسية في الجزيرة العربية والحصول من سادة نجران وملوك اليمن على الإذن ببناء ثلاث كنائس في ظفار وعدن وباب المندب.

وطبعاً ليس الهدف دينياً كما يرى شيخو وإنما الحصول على طريق تجاري في البحر الأحمر وتضيق الخناق سياسياً على سابور الثاني ٣٠٩-٣٧٩م، وفي عهد جستين الأول ٥١٨-٥٢٧م (وقت وقوع حادثة الأخدود الشهيرة) مثل ذلك لها تحدي رغم أنها وقفت عاجزة عن فعل أي شي لمدة عام كامل مورست فيه جميع أنواع الاضطهاد ضد أساقفة نجران.

كانت تلك الفترة "أي فترة الحرق" تمثّل صراعاً وشدّاً وجذباً بين بيزنطة والفرس، حيث تمثّل هروب دوس ابن ثعلبان من المحرقة واتجاهه إلى ملك الحبشة للدعم وتردد الحبشة في ذلك حتى وجدت الدعم الخفي من بيزنطة للملك الحبشي الصبان على التدخل في اليمن وهي فرصة من ذهب لهم أي بيزنطة لوضع يدها على شواطئ عدن وفرض السيطرة على طرق التجارة الدولية ومن جهة أخرى فرصة كبرى للحبشة للتوسّع في أطماعها بسبب تهوّر الأحمق ذي نواس علماً بأن الحبشة وبيزنطة تعتبران نصارى نجران جماعة مذهبية مارقة.

والجدير بالذكر هنا أن الأحباش سيطرت على اليمن لمدة نصف قرن كتالي:

ارياط من ٥٢٥-٥٣٧م.

أبرهه (أبراهام) من ٥٣٧-٥٧٠م.

يكسوم ابن أبرهه من ٥٧٠- ٥٧٢م.

مسروق ابن أبرهه من ٥٧٢-٥٧٥م.

ونتيجة لذلك اشتد الصراع مرة أخرى بين بيزنطة والفرس من خلال دعم الفرس لحركة تمرّد في اليمن داخلية بقيادة سيف بن ذي يزن (**أي صاحب الأذن**)[١] **كما يصفه الربيعي في كتابه المسيح العربي**، حيث وجد الفرس أنفسهم في وضع صعب حيث قاموا بعملية مزدوجة تتمثّل في خطب ودّ اليمن من

(١) انظر: المسيح العربي، فاضل الربيعي.

جهة، ومن جهة أخرى التنديد بهم لإيقاف اضطهاد اليهود لنصارى نجران، لذلك كانت بيزنطة تضغط على ذي نواس اليهودي الحميري لتصفية مسيحيي نجـــران والذي نتج عنه أكبر محرقة عرفها التاريخ البشري حطّم من خلالها مركزاً روحيـــاً ودينياً مهماً ذُكر في القرآن الكريم من خلال سورة البروج.

فالفرس قدّموا أنفسهم كحماة للنسطورية في البداية ثم بعد مدة من الـــزمن يدافعون عن اليهودية، وهم من عمل على تعطيل الاتفاقيات التي أبرمتها بيزنطة مع نجران واليمن.

علماً بأن الصراع في بيزنطة كان من اتجاهين:

الأول: مونوفيزي (مذهب الطبيعة الواحدة) مذهب أهل الشام ومصر.

والثاني: ديو فيزي (مذهب الطبيعتين {الخلقيدونية} أو {الأرثوذكسية}).

طريق القوافل (انظر الملحق شكل ١٨)

ساعد مناخ اليمن على نمو اللبان في منطقة المهرة وظفار، تميّزت هذه المناطق بإنتاجها أفضل وأجود أنواع اللبان. أسهم اللبان في تجارة ذاك الزمـــان فنشـــطت تجارة التوابل كالمر والكركم وغيرهما من التوابل. كان طريق اللبان يمتد من مينـــاء قنا في مصب وادي ميفعة على بحر العرب إلى غزة على البحر المتوســـط، مـــروراً بمدينة شبوة ومأرب، ثم يمر بوادي الجوف، ومنه إلى نجـــران حيـــث يتفـــرع إلى فرعين. كان طريق اللبان يمر عبر قرية الفاو في وادي الدواسر، ومنه إلى هجـــر في منطقة الخليج، ثم إلى جنوب وادي الرافدين وطريق رئيس يمتد من نجـــران نحـــو الشمال، مارّاً بيثرب، ثم ددان في شمال الحجاز، ومنه إلى البتراء، ويتجه الطريـــق الرئيس من البتراء نحو ميناء غزة. بينما يتجه فرع آخـــر إلى دمشـــق وإلى مـــدن الساحل الفينيقي[١].

شهدت حقبة المكاربة في جنوب شبه الجزيرة العربية أحداثاً مهمة من أجـــل التطور اللاحق، أهمها: التوسع الكبير لأراضي الدولة السبئية في الربع الثاني مـــن

---

(١) انظر: صفة جزيرة العرب للهمداني، ص ٣٠٤-٣٠٥؛ نجران منطلق القوافل، عبـــد الـــرحمن الأنصاري، ص ١٨.

الألف الأول ق.م (من نجران وحتى السواحل الجنوبية لشبه جزيرة العرب ومن سواحل البحر الأحمر حتى حضرموت)، وتوسعت شبكات الري الصناعي وتطورت بشكل ملحوظ. وسيطرت سبأ على المنطقة وعلى التجارة وما يتبعها من تأثيرات اقتصادية وثقافية ونحو ذلك. بمعنى تشكّل جهاز دولة معقد، لعبت بواسطته سبأ، في ما بعد دوراً محورياً في المنطقة. نعتقد أنه على أساس معطيات عدة نقوش عربية جنوبية، فإن هذه الحقبة الزمنية من تاريخ الدولة السبئية تتميز بنمو واضح للعبودية وتطور الملكية الخاصة للأرض، ونمو دور التجارة، على أساس تخصّص كل مقاطعة على حدة، ومن ثم ظهور مراكز تجارية ضخمة، لذلك فقد وضع هذا النهوض الاقتصادي الدولة السبئية، على طريق العلاقات التجارية الدولية، منذ القرن العاشر قبل الميلاد. أي أنها بدأت تقيم علاقات تجارية وربما دبلوماسية مع بلدان شرق البحر المتوسط.

مما سبق أؤكد على أن أهل نجران لديهم ارتباط من نوع خاص بأرضهم وتراب نجران، ولا يمكن أن يقدّموا أي تنازلات في سبيل الذود عن نجران الأرض والإنسان ولنا في مؤمني هذه المدينة أنموذج.

وتشير بعض الدراسات الجادة (مثل: التوراة جاءت من جزيرة العرب/ كمال الصليبي، جغرافية التوراة – مصر وبنو إسرائيل في عسير/ زياد منى، تاريخ سوريا القديم/ أحمد داوود) إلى أن اليهودية هي إحدى الديانات العربية، التي نشأت أصلاً في غرب الجزيرة العربية[١].

يبدو أن شبه الجزيرة العربية قد عاشت في هذه الحقبة التاريخية بالذات عصرها الذهبي وفردوسها المفقود، حيث كانت تحتضن أهم الطرق التجارية العالمية البرية والبحرية. كان الخليج العربي في الشرق والبحر الأحمر في الغرب والبحر العربي في جنوب الجزيرة العربية والموانئ والثغور البحرية العربية المطلة عليها تغص بالسفن، التي تنقل البضائع والتجارة العالمية آنذاك بين حوض البحر الأبيض المتوسط الخاضع للسيادة العربية الكاملة، الأشورية والبابلية والفينيقية والمصرية وبين موانئ الهند والصين. وفي موازاة هذا الممر المائي كان هناك خط

---

(١) انظر: طبيعة اليهودية في الجزيرة العربية.

بري للقوافل يربط بلاد الشام والعراق ومصر عبر نجد والحجاز باليمن وعمان. في ظل هذا الانتعاش الاقتصادي، الذي شهدته الجزيرة العربية في هذه الحقبة، استقر البدو والرعاة وتطورت الزراعة وبنيت السدود. كذلك كثرت الأسواق وازدهرت المدن والثغور وأصلحت الطرق وشيّدت المعابد. استمر هذا العصر الذهبي في جزيرة العرب أكثر من ألف عام. هذا العصر تمجّده التوراة كثيراً وتخلّده بالمزامير ويشير إليه القرآن الكريم في قصص عاد وثمود وإرم وفرعون ومدين وسبأ والأخدود.

بسبب التنافس والنزاع المستمر بين الدول العربية القديمة من الفينيقيين والأشوريين والبابليين والمصريين في السيطرة على هذا الممر التجاري والبحري الهام، في القرون الثامن والسابع والسادس قبل الميلاد، ثم أخيراً صعود الإمبراطورية الفارسية وتدمير الدولة البابلية وإحراق عاصمتها بابل ثم غزو العاصمة الثانية تيماء عام ٥٣٩ ق.م، تعرضت الجزيرة العربية كسائر المشرق العربي القديم آنذاك لاضطرابات وكوارث اقتصادية وسياسية خطيرة، وظلت عقوداً طويلة فريسة للسلب والنهب والسبي، فدمرت القرى والمدن وبادت كثير من القبائل العربية أو وقعت في الأسر أو اضطرت إلى هجر مواطنها الأصلية. ربما كان أخطر هذه الأحداث هي حملة الملك الأشوري سرجون الثاني (٧٢١ ق.م)، حيث دمرت مملكة إسرائيل في الشمال، ثم حملتا الملك البابلي نبوخذنصر (٥٩٧ ثم ٥٨٧ ق.م، غزوة ذات عرق قرب مكة)، حيث تمّ تدمير مملكة يهودا في الجنوب وتخريب عاصمتها أورشليم (القدس القديمة في عسير، التي ربما هي اليوم قرية فرت الواقعة قرب مدينة الطائف[1]، وأخذ كثير من كهنة وأعيان القبائل، ومن ضمنهم بنو إسرائيل (بنو إسرائيل كانوا آنذاك أقرب إلى تحالف قبلي يضم عدداً من قبائل الحجاز في غرب الجزيرة العربية) أسرى إلى نينوة وآشور وبابل. لعل بعض ما تحدّثت به التوراة، وما يرد في القرآن الكريم، وما يرويه المؤرخون المسلمون[2] عن العرب البائدة مثل عاد وثمود وطسم وجديس والعماليق وانهيار سد مأرب،

(١) انظر: د. كمال الصليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب.
(٢) انظر: الطبري، تاريخ الملوك.

وكذلك حملة الملك البابلي نبوخذنصر (غزوة ذات عرق عام ٥٨٧ ق.م مثلاً)، يرتبط بهذا التاريخ المضطرب بالذات وبهذه الكوارث والمحن التي ألمت بهذا الجزء من غرب الجزيرة العربية. إن هذا الفصل من تاريخ العرب القدماء يعطي تفسيراً معقولاً لاندثار حضارات الجزيرة العربية ولاختفاء بني إسرائيل ككيان سياسي واجتماعي وتحالف قبلي من الوجود واندثارهم (العرب البائدة). أما اليهودية، التي كانت في البداية ديناً قبلياً أو قومياً خاصاً بالعرب من بني إسرائيل في الحجاز، فقد واصلت انتشارها واعتنقها كثير من القبائل والشعوب العربية الأخرى في وقت لاحق، فوصلت أولاً إلى اليمن والحبشة، كما بلغت في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد شمال أفريقيا ومصر والشام والعراق. وقبل ظهور النصرانية والإسلام كانت اليهودية ديناً سائداً في الوطن العربي بين جميع الشعوب العربية من الأشوريين والبابليين والكلدانيين والآراميين والمصريين والأحباش. وعند ظهور الإسلام كان كثير من قبائل الجزيرة العربية وحواضرها يدين باليهودية، وكانت مدن تيماء ويثرب ونجران مراكز يهودية معروفة. كذلك كان الشاعر العربي الجاهلي السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي، من بطون قحطان، الذي يضرب به المثل في الوفاء عند العرب يهودي الديانة ويسكن في خيبر القريبة من يثرب.

ولعلّي أخلص إلى أسباب رئيسة أدت إلى هجوم ذي نواس على نجران منها:

١- الدعم البيزنطي والضغط على اليمن لإزالة النساطرة.
٢- نجران بالنسبة لليمنيين قبلتهم التي خرجت من سيطرتهم وعودتها لليمن مسألة حياة أو موت.
٣- القضاء على النصرانية العربية الجديدة هو مدخل لبسط النفوذ على نجران.
٤- زيادة لنفوذها السياسي والاقتصادي في المنطقة.
٥- التعصب الشديد لليهودية العربية وإعادة نشرها.

طريق الرضراض

كان من نجران إلى البصرة طريق الرضراض وكانت المسافة فيما بين هاتين المدينتين سبعة أيام. وقد بني على حدّ كل فرسخ[1] منه ميل بالآجر والجص من بناء عمرو بن معدي كرب الزبيدي، والأصح من بناء النعمان بن المنذر لّما خرج من أرض اليمن طالباً العراق، والأصح إنّه بناء سيف بن ذي يزن لّما خرج إلى ناحية العراق واستنجد بكسرى بن قباذ بن يزدجرد بن هرمز، ملك من ملوك الفرس، والأصح إنّما بنته عرب جاهلية لّما سكنوا أرض نجد لأنهم كانوا في تلك الديار شبه السوس في الأرض والناموس الحفر (وهو مثل محطات الاستراحات الموجودة على الطرق السريعة الآن، فكل ٣٠ كم تقريباً توجد محطة).

حدّثني هشام بن مسعود النجراني في دار الإمارة قال: إنّه كان هذا الطريق ينفذ إلى الكوفة، أو قال: إلى البصرة، وكان أهل اليمن يسافرون إليه بالحمير وعليهم الأدىم إلى إحدى هاتين المدينتين في العام مرتين. قلت: وعلى أي الأمكنة كان مسلكهم؟ قال: على اليمامة والحساء والبصرة. قلت: ومتى كان عهدكم بعمرانه؟ قال: سنة عشرين وخمس مائة وقال:

لّما رأيت سلوى غير متجه ... وإنّ غرب شفاري عاد مفلولا
دخلت بالرغم مني تحت طاعتكم ... ليقضي الله أمراً كان مفعولا

وقال آخر:

سألت الناس عن خل وفيّ ... فقالوا ما إلى هذا السبيل
تمسّك إن ظفرت بود حرّ ... فإن الحر في الدنيا قليل[2]

(١) الفَرْسَخ: وحدة قياس للطول وهو فارسيٌّ معرّب، (مأخوذ من الفرسخ الذي هو السُّكون أو الفُرْجَة والمسافة) ويعادل الفرسخ ثلاثة أميال، وهو يعادل أيضاً ١٥,٨٤٠ قدماً أو ٤,٨٢٨ كم.

(٢) تاريخ المستبصر، ابن المجاور، مصدر الكتاب: موقع الوراق.

جبل صهيون

يقول الأعشى[1]:

أيا سَيِّدَي نَجــرانَ لا أوصِــيَنكُما ... بِنَجرانَ فيمـــا نابَهـــا وَاِعتَراكُمـــا

فَإِن تَفعَــلا خَــيراً وَتَرتَــدِيا بِــهِ ... فَإِنَّكُمـــا أَهـــلٌ لِـــذاكَ كِلاكُمـــا

وَإِن تَكفِيا نَجــرانَ أَمــرَ عَظيمَــةٍ ... فَقَبلَكُمـــا مـــا ســـادَها أَبَواكُمـــا

وَإِن أَجلَبَت صِهيَونُ يَوماً عَلَيكُمـــا ... فَإِنَّ رَحى الحَربِ الدَكوكِ رِحاكُمـــا

{عندما صعد الملك اليمني اليهودي يوسف بن زرعة بن حِمْيَــر الأصــغر، المعروف عند المؤرخين العرب باسم ذي نواس الحميري في العام ٥٢٤م إلى عرش اليمن، إثر مكيدة انقلاب قصر انتزع بواسطتها السلطة من أيدي الأسرة السبئية، أعلن على الفور عن عودة اليهودية إلى اليمن كله ديناً رسمياً داعياً اليمنيين جميعــاً للعودة إلى دين آبائهم وأجدادهم. هذه الواقعة يتوافق عليها كل المؤرخين العرب الكلاسيكيين. إثر ذلك قرّر الملك اليمني اليهودي الزحف على نجران التي كانــت المسيحية الوليدة فيها آنئذ تتطور بسرعة مذهلة حيث تنتشر وتقام علــى أرضــها الكنائس الكبرى. ويبدو أن لانتشار المسيحية الشرقية على المذهبين النســطوري والمونوفيزي في نجران صلة حميمة بتصاعد المشاعر المعادية لها في اليمن. كمــا أن لهذا الانتشار صلة موازية بيقظة مشاعر اليمنيين للعودة إلى اليهودية. وبذلك نشــأ في هذا الوقت، وقبل ظهور الإسلام بأكثر من نصف قرن على الأقل، وضع ديني وسياسي معقّد ساهم في تفاقم التوتّر الديني بين العاصمتين اليمنية والنجرانية. وفي هذا الوقت، وحين كان الملك اليمني المتهوّد يستعد للزحف نحو العاصمة المسيحية في الجنوب الغربــي من جزيرة العرب، كان الأعشى الهمداني، اليمني النصــراني المتعاطف مع أساقفة نجران، يسافر على عجل ويلتقي أساقفتها من بــني كعــب، محذراً من حرب يُعدّ لها يهود اليمن. وفي هذا اللقاء قال الأعشى قصيدته الشهيرة

---

(١) ديوان الأعشى (ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير. من شــعراء الطبقــة الأولى في الجاهلية).

التي حذّر فيها عبد المسيح بن الديان أسقف نجران وشقيقه ومساعده وراعي كنيسته يزيد.

وفي نطاق هذه الحرب وقع الحادث التاريخي الذي سجله القرآن الكريم في آية الأخدود من سورة البروج. قال تعالى: ﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ**﴾. وهي الآية التي سجلت لحظة الاضطهاد اليهودي لنصارى نجران، حيث رُمي ما يزيد على ١٦ ألف نصراني في أخدود من نار، فكانت محرقة عظيمة لم يعرفها التاريخ من قبل. وقد اهتزّ وجدان العرب في الجزيرة والبادية وهم يتلقون أنباء الاضطهاد الذي تعرض له نصارى نجران، ورأوا فيه نذر حرب دينية مخيفة. لذلك فإن رواة الأخبار القدامى ممن رووا القصة - والتي سجّلتها وثائق الكنيسة بدقة، كانوا يعرفون جغرافية الحدث التاريخي، ويعرفون جيداً جبل صهيون الذي هبط منه جنود الملك اليهودي ذي نواس الحميري، ليتجهوا منه مباشرة نحو نجران}[1].

يقول الهمداني أن جبل صهيون يقع في اليمن القديم فهو يصل سلسلة جبال السر بنجران في سرو حِمْير إلى الشرق من صنعاء. وهذا تطابق مذهل بين النصوص التي سجلها الهمداني لجغرافية اليمن ونصوص التوراة حول هذا الجبل[2].

"أيا نجران مدينة بأس، مدينة صهيون، الرصد الثاني، رصد كنت للذين يبشرون بكلمه الله"[3] وهذا نص من كتاب الرواية العربية لاستشهاد القديس حارث بن كعب يتحدث عن جبل صهيون ولا زال يصعب تحديد مكان هذا الجبل على أرض الواقع في مدينة نجران حالياً.

---

(١) فاضل الربيعي، المسيح العربي، مصدر مذكور.

(٢) الهمداني، صفة جزيرة العرب.

(٣) الرواية العربية لاستشهاد القديس حارث بن كعب ورفقائه في مدينة نجران، ص ١١٨.

الفصل الرابع

- فيمون وعبدالله بن الثامر
- فيمون
- رفقه صالح
- الضرير
- الشجرة
- فيمون وصالح ونشر النصرانية في نجران
- عبدالله بن الثامر
- نسب الحارث بن كعب
- إسلام بني الحارث بن كعب
- المباهلة

فيمنون وعبد الله بن الثامر

يعتبر الدّين أحد أهم عوامل التغيير في المجتمعات، وبنظرة سريعة لعمليّات التغيير في تاريخ المجتمعات البشريّة سنرى أن عامل الدين هو من العوامل الرئيسيّة في تكـــوين الحضارات، ويمكن القول أنّه لا توجد دعوة دينيّة إلاّ ولها أتباع يؤمنون بها على النحو الذي يدفعهم للإيمان بصدقيّة هذه الدعوة، "ولاشكّ في أن أثر الدّين الصّــحيح هــو إصلاح القوم الذين خوطبوا به، وانتشالهم من حضيض الانحطاط إلى أوج الســموّ"، ولا يقلّل من أهميّة هذه الدعوة عدم إيمان الآخرين بها، فكلّ قضيّة دينيّة لها من الأتباع كما لها الكثير من المعارضين، وهنا تبرز أهميّة عمليّة التغيير والتي تتمّ من خلال العمــل على تبيان المكاسب الدنيويّة وفي الآخرة عند اعتناق الدّين الجديد.

لذا كان وجود الراهب فيمنون في فترة احتاج الناس فيها إلى دين حقيقـــي ينتشلهم من التشرد والضياع والتشتت العقائدي في ذلك الزمن.

فيمنون

من هو فيمنون!!؟؟[١]

هل هو مبشر بيزنطي؟ أم مبشر عربـــي متأغرق؟ خصوصاً أن كـــثيراً مـــن العرب تأغرقوا وأخذوا أسماء رومانية أو يونانية.

فمرقص وقس اسمان مسيحيان وأصلهما عربـــي فمثلاً مر القيس (المعبـــود القديم) أي امرؤ القيس وهذا يربطنا بالفصل السابق إدد إله الرعد وهو أحد أسماء نجران مدينة الرعد أي إله القوس هذا من مواطن عبادة هذا الإله فالرعد مـــرتبط بعبادة قوس قزح.

(١) فِي الرَّوْض الأنف: «فيمِون»، وفِي الطَّبَرِيّ: «قيمون» بالْقَاف، وَقيل إن اسْمه يحيى، وَكَـــانَ أبوهُ ملكاً فتوفى، وأَرَادَ قومه أن يملكوه بعد أَبِيه، ففر من الْملك وَلزمَ السياحة.

فيمنون رجل صالح مجتهد نصراني زاهد في الدنيا من بقايا أهل دين عيسى بن مريم في نجران. كان رجلاً مجاب الدعاء، وكان يطوف بين القرى المختلفة، ما أن يعرف بقرية، إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف بها. كان لا يأكل إلا من ما يدخله عليه عمل يده. وكان بنّاء يصنع طوب الطين ويبني به. كان يعظّم الأحد. فـإذا كان يوم الأحد توقف عن العمل، وخرج إلى البرية يصلي حتى المساء.

رفقة صالح

وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك متخفياً، ففطن لشأنه رجـل من أهلها يقال له"صالح". فأحبه صالح كثيراً، وكان يتبع فيميون خفيـة دون أن ينتبه، حتى خرج مرة في يوم أحد إلى فلاة من الأرض، كما كان يصنع، وقد تبعه صالح، وفيميون لا يدري، فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً منه، لا يحب أن يعلم بمكانه، وقام فيميون يصلي، فبينما هو يصلي إذ أقبل نحوه التنين – الحية ذات الرؤوس السبعة – فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت، ورآها صالح و لم يدر مـا أصابها، فخافها عليه، فَعِيلَ عَوْلُهُ، فصرخ يا فيميون، التنين قد أقبل نحـوك؛ فلـم يلتفت إليه، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها، وأمسى فانصرف. وعَرف أنه قـد عُرف، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه؛ فقال له: يا فيميون: تعلـم والله أني مـا أحببت شيئاً قط حبك، وقد أردت صحبتك، والكينونة معك حيث كنت، فقال: ما شئت، أمري كما ترى، فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم، فلزمه صالح. وقـد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه، وكان إذا فاجأه العبد به الضر دعا له فشفي، وإذا دعي إلى أحد به ضر لم يأته.

الضرير

كان لرجل من أهل القرية ابن ضرير، فسأل عن شأن فيميون فقيل له: إنه لا يأتي أحداً دعاه، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر. فعمد الرجـل إلى ابنـه ذلك فوضعه في حجرته وألقى عليه ثوباً، ثم جاءه فقال له: يا فيميـون، إني قـد أردت أن أعمل في بيتي عملاً، فانطلق معي إليه حتى تنظر إليه، فأشارطك عليه.

فانطلق معه، حتى دخل حجرته، ثم قال له:

ما تريد أن تعمل في بيتك هذا؟

قال: كذا وكذا؛

ثم انتشط الرجل الثوب عن الصبي، ثم قال له:

يا فيميون، عبد من عباد الله أصابه ما ترى، فادع الله له. فدعا له فيميون، فقام الصبي ليس به بأس.

الشجرة

وعرف فيميون أنه قد عرف، فخرج من القرية وتبعه صالح، فبينما هو يمشي في بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة، فناداه منها رجل،

فقال: يا فيميون.

قال: نعم.

قال: ما زلت أنظرك وأقول متى هو جاء، حتى سمعت صوتك، فعرفت أنك هو، لا تبرح حتى تقوم عليّ، فإني ميت الآن.

فمات وقام عليه حتى واراه، ثم انصرف، وتبعه صالح، حتى وطئا بعض أرض العرب.

اختطافهما وبيعهما

اختطفتهما سيارة من بعض العرب، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران، وهنا مفارقة أنهما وأهل نجران يومئذ على دين العرب، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم، لها عيد في كل سنة، إذا كان ذلك العيد علّقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه، وحلي النساء، ثم خرجوا إليها فعكفوا عليها يوماً. ابتاع فيميون رجل من أشرافهم، وابتاع صالح.

النخلة

"ويعتقد حسب الروايات المحليه أنها في زور وادعه بنجران".

كان فيميون إذا قام من الليل يتهجد (يصلي طوال الليل) في بيت له – أسكنه إياه سيده – يصلي، استسرج له البيتُ نوراً حتى يصبح من غير مصباح؛ فرأى ذلك سيده، فأعجبه ما يرى منه، فسأله عن دينه، فأخبره به، وقال له فيميون:

إنما أنتم في باطل، إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع، ولو دعوت عليها إلهي الذي أعبده لأهلكها، وهو الله وحده لا شريك له.

فقال له سيده: فافعل، فإنك إن فعلت دخلنا في دينك، وتركنا ما نحن عليه.

فقام فيميون، فتطهر وصلى ركعتين، ثم دعا الله عليها، فأرسل الله عليها ريحاً فجعفتها من أصلها فألقتها، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه، فأصبحوا مسيحيين وآمنوا بدين عيسى بن مريم، ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض، فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب(١).

هناك حديث موسّع لفاضل الربيعي في كتابه المسيح العربي عن نخلة نجران والربط بين ولادة مريم لسيدنا عيسى بن مريم عليه السلام مدعماً ذلك بالربط بأحاديث وشواهد عدة منها طلب الرسول ﷺ من خالد بن الوليد مهاجمة وادي نخلة وتحطيم تمثال العزى، حيث إن هناك واديين للنخلة الأول: وادي نخلة الشامية وهو من أودية بني هذيل في طريق مكة وعلى بعد ليلتين.

الثاني: وادي نخلة اليمانية: وهو المقصود منه وادي نجران والذي لا زال يتداول حتى اليوم تحت مسمى وادي نجران.

فيميون وصالح ونشر النصرانية بنجران

قال ابن إسحاق: حدّثني المغيرة بن أبي لبيد مولى الأخنس عن وهب بن منبه اليماني أنه حدّثهم: أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلاً من بقايا أهل دين عيسى بن مريم يقال له فيميون، وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا، مجاب الدعوة وكان سائحاً ينزل بين القرى، لا يُعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يُعرف بها، وكان لا يأكل إلا من كسب يديه، وكان بنّاء يعمل الطين

(١) السيرة النبوية لابن هشام – عبد الملك بن هشام المعافري.

وكان يعظّم الأحد، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئاً، وخرج إلى فلاة من الأرض يصلي بها حتى يمسي.

قال: وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له صالح، فأحبه صالح حباً لم يحبّه شيئاً كان قبله، فكان يتبعه حيث ذهب، ولا يفطن له فيميون: حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض، كما كان يصنع، وقد اتبعه صالح، وفيميون لا يدري، فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً منه، لا يحب أن يعلم بمكانه، وقام فيميون يصلي، فبينما هو يصلي إذ أقبل نحوه التنين – الحية ذات الرؤوس السبعة – فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت، ورآها صالح و لم يدر ما أصابها، فخافها عليه، فَعِيلَ عَوْلُهُ، فصرخ يا فيميون، التنين قد أقبل نحوك؛ فلم يلتفت إليه، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها، وأمسى فانصرف. وعَرَف أنه قد عُرِف، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه؛ فقال له: يا فيميون: تعلم والله أني ما أحببت شيئاً قط حبك، وقد أردت صحبتك، والكينونة معك حيث كنت، فقال: ما شئت، أمرى كما ترى، فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم، فلزمه صالح. وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه، وكان إذا فاجأه العبد به الضر دعا له فشفي، وإذا دعي إلى أحد به ضر لم يأته؛ وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير، فسأل عن شأن فيميون فقيل له: إنه لا يأتي أحداً دعاه، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر.

فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه في حجرته وألقى عليه ثوباً، ثم جاءه فقال له: يا فيميون، إني قد أردت أن أعمل في بيتي عملاً، فانطلق معي إليه حتى تنظر إليه، فأشارطك عليه. فانطلق معه، حتى دخل حجرته، ثم قال له: ما تريد أن تعمل في بيتك هذا؟ قال: كذا وكذا؛ ثم انتشط الرجل الثوب عن الصبي، ثم قال له: يا فيميون، عبد من عباد الله أصابه ما ترى، فادع الله له. فدعا له فيميون، فقام الصبي ليس به بأس.

وعرف فيميون أنه قد عرف، فخرج من القرية واتبعه صالح، فبينما هو يمشي في بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة، فناداه منها رجل، فقال: يا فيميون؛ قال: نعم؛ قال: ما زلت أنظرك وأقول متى هو جاء، حتى سمعت صوتك، فعرفت أنك

هو، لا تبرح حتى تقوم عليّ، فإني ميت الآن؛ قال: فمات وقام عليه حتى واراه، ثم انصرف، وتبعه صالح، حتى وطئا بعض أرض العرب، فعدوا عليهما.

فاختطفتهما سيارة من بعض العرب، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران، وأهل نجران يومئذ على دين العرب، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم، لها عيد في كل سنة، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه، وحليّ النساء، ثم خرجوا إليها فعكفوا عليها يوماً.

فابتاع فيميون رجل من أشرافهم، وابتاع صالحاً آخر.

فكان فيميون إذا قام من الليل يتهجد في بيت له - أسكنه إياه سيده - يصلي، استسرج له البيتُ نوراً حتى يصبح من غير مصباح؛ فرأى ذلك سيده، فأعجبه ما يرى منه، فسأله عن دينه، فأخبره به، وقال له فيميون: إنما أنتم في باطل، إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع، ولو دعوت عليها إلهي الذي أعبده لأهلكها، وهو الله وحده لا شريك له.

قال: فقال له سيده: فافعل، فإنك إن فعلت دخلنا في دينك، وتركنا ما نحن عليه. قال: فقام فيميون، فتطهر وصلى ركعتين، ثم دعا الله عليها، فأرسل الله عليها ريحا فجعفتها من أصلها فألقتها، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم عليه السلام، ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض، فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث وهب بن منبه عن أهل نجران.

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي، وحدثني أيضا بعض أهل نجران عن أهلها:

أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان، وكان في قرية من قراها قريباً من نجران - ونجران: القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلّم غلمان أهل نجران السحر، فلما نزلها فيميون - ولم يسموه لي باسمه الذي سماه به وهب بن منبه، قالوا: رجل نزلها - ابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلّمهم السحر فبعث إليه الثامر ابنه عبد الله بن الثامر، مع غلمان أهل نجران فكان إذا مر

بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته، فجعل يجلس إليه، ويسمع منه، حتى آمن، فوحد الله وعبده، وجعل يسأله عن شرائع الدين، حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم، وكان يعلمه، فكتمه إياه، وقال له: يا ابن أخي، إنك لن تحمله، أخشى عليك ضعفك عنه، والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه، وتخوّف ضعفه فيه، عمد إلى قداح فجمعها، ثم لم يبق لله اسماً يعلمه إلا كتبه في قدح، ولكل اسم قدح، حتى إذا أحصاها أوقد لها ناراً، ثم جعل يقذفها فيها قدحاً قدحاً، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه، فوثب القدح حتى خرج منها لم تضره شيئاً، فأخذه ثم أتى صاحبه فأخبره بأنه قد علم الاسم الذي كتمه؛ فقال: وما هو؟ قال: هو كذا وكذا؛ قال: وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع؛ قال: أيِ ابنَ أخي، قد أصبته فامسك على نفسك وما أظن أن تفعل.

عبد الله بن الثامر[1]

ينسب إليها عبد الله بن الثامر، سيد شهداء نجران؛ قال محمد بن القرطي: كان أهل نجران أهل شرك، وكان عندهم ساحر يعلّم صبيانهم السحر، فنزل بهم رجل صالح وابتنى خيمة بجنب قرية الساحر، فجعل أهل نجران يبعثون أولادهم إلى الساحر لتعلّم السحر، وفيهم غلام اسمه عبد الله، وكان ممره على خيمة الرجل الصالح، فأعجبه عبادة الرجل، فجعل يجلس إليه ويسمع منه أمور الدين حتى أسلم، وتعلم منه الشريعة والاسم الأعظم.

فقال له الرجل الصالح: عرفت الاسم الأعظم فاحفظ على نفسك، وما أظن أن تفعل. فجعل عبد الله إذا رأى أحداً من أصحاب العاهات يقول له: إن دخلت في ديني فإني أدعو الله ليعافيك! فيقول: نعم. فيدخل فيشفى حتى لم يبق بنجران أحد ذو ضربة، فرفع أمره إلى الملك فأحضره وقال: أفسدت على أهل نجران وخالفت ديني ودين آبائي، لأمثّلن بك! فقال عبد الله: أنت لا تقدر على ذلك!

(١) سيرة ابن هشام – عبد الملك بن هشام.

فجعل يلقيه من شاهق فيقوم سليماً ويرميه في ماء مغرق فيخرج سليماً! فقال له عبد الله: لا تقدر على قتلي حتى تؤمن بمن آمنت به. فوحّد الله ودخل في دينه ثم ضربه بعصاً كانت في يده فشجه شجة يسيرة، فمات عليها. فلما رأى أهل نجران ذلك قالوا: آمنا برب عبد الله. فحفر الملك أخدوداً وملأها حطباً وأضرم فيه.

وقال ابن إسحاق وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث أن رجلاً من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته، فوجد عبد الله بن الثامر تحت دفن فيها قاعداً واضعاً يده على ضربة في رأسه ممسكاً عليها بيده فإذا أخذت يده عنها ثعبت دماً وإذا أرسلت يده ردت عليها فأمسكت دمها وفي يده خاتم مكتوب فيه ربي الله فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره فكتب عمر إليهم أن أقروه على حاله وردّوا عليه الدفن الذي كان عليه ففعلوا.

عن صهيب رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: "كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبلَكمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبرَ قَالَ للمَلِكِ: إنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إلَيَّ غُلاماً أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ؛ فَبَعثَ إلَيْهِ غُلاماً يُعَلِّمُهُ، وَكَانَ في طرِيقِهِ إذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعدَ إلَيْه وسَمِعَ كَلامَهُ فَأعْجَبَهُ، وَكَانَ إذَا أتَى السَّاحِرَ، مَرَّ بالرَّاهبِ وَقَعدَ إلَيْه، فَإذَا أتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذلِكَ إلَى الرَّاهِب، فَقَالَ: إذَا خَشيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَني أهْلِي، وَإذَا خَشِيتَ أهلَكَ، فَقُلْ: حَبَسَني السَّاحِرُ.

فَبَيْنَما هُوَ عَلَى ذلِكَ إذْ أتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: اليَوْمَ أعْلَمُ السَّاحرُ أفْضَلُ أم الرَّاهبُ أفْضَلُ؟ فَأخَذَ حَجَراً، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنْ كَانَ أمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إلَيْكَ مِنْ أمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَها ومَضَى النَّاسُ، فَأتَى الرَّاهبَ فَأخبَرَهُ. فَقَالَ لَهُ الرَّاهبُ: أيْ بُنَيَّ أنْتَ اليَومَ أفْضَل منِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أمْرِكَ مَا أرَى، وَإنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإن ابْتُليتَ فَلاَ تَدُلَّ عَلَيَّ؛ وَكَانَ الغُلامُ يُبْرِىءُ الأكْمَهَ وَالأَبْرصَ، ويداوي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأدْوَاء. فَسَمِعَ جَليسٌ لِلملِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فأتاه بَهَدَايا كَثيرَةٍ، فَقَالَ: مَا ها هُنَا لَكَ أجْمَعُ إنْ أنتَ شَفَيتَني، فَقَالَ: إنِّي لا أشْفِي أحَداً إنَّمَا يَشفِي اللَّهُ تَعَالَى، فَإنْ آمَنْتَ بالله تَعَالَى دَعَوتُ اللَّهَ فَشفَاكَ، فَآمَنَ بالله تَعَالَى فَشفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَأتَى المَلِكَ فَجَلسَ

إِلَيْهِ كَما كَانَ يَجلِسُ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَنْ رَدّ عَلَيْكَ بَصرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الغُلامِ، فَجيء بالغُلاَمِ، فَقالَ لَهُ المَلِكُ: أيْ بُنَيَّ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِىء الأَكْمَهَ وَالأَبْرصَ وتَفْعَلُ وتَفعَلُ! فقالَ: إِنِّي لا أَشْفي أحداً، إِنَّمَا يَشفِي الله تَعَالَى. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ؛ فَجِيء بالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارجِعْ عَنْ دِينكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بالمِنْشَارِ فَوُضِعَ المِنْشَارُ فِي مَفْرِق رَأسِهِ،

فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بجَلِيسِ المَلِكِ فقيل لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَوضِعَ المِنْشَارُ فِي مَفْرِق رَأسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالغُلَامِ فقيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينكَ، فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَر مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الجَبَل، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلاَّ فَاطْرَحُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أكْفنيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمُ الجَبلُ فَسَقَطُوا، وَجاءَ يَمشي إِلَى المَلِكِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فَعَلَ أصْحَابُكَ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهمُ الله تَعَالَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ وتَوَسَّطُوا بِهِ البَحْرَ، فَإِنْ رَجعَ عَنْ دِينهِ وإلاَّ فَاقْذِفُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ:

اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينةُ فَغَرِقُوا، وَجَاء يَمْشِي إِلَى المَلِكِ. فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فعلَ أَصْحَابُكَ ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ الله تَعَالَى. فَقَالَ لِلمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتلي حَتَّى تَفعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعيدٍ وَاحدٍ وتَصْلُبُنِي عَلَى جذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبدِ القَوْسِ ثُمَّ قُلْ: بسْم الله ربِّ الغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذا فَعَلْتَ ذلِكَ قَتَلتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعيد واحدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جذْعٍ، ثُمَّ أَخذَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبدِ القَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بسمِ الله ربِّ الغُلامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فوقعَ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِربِّ الغُلامِ، فَأُتِيَ المَلِكُ فقيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحذَرُ قَدْ والله نَزَلَ بكَ حَذَرُكَ. قَدْ آمَنَ النَّاسُ. فَأَمَرَ بالأُخْدُودِ بِأَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وأُضْرِمَ فيهَا النِّيرانُ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرجعْ عَنْ دِينهِ فَأَقْحموهُ فيهَا، أَوْ قيلَ لَهُ: اقتَحِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى جاءت امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فيهَا، فَقَالَ لَهَا الغُلامُ: يَا أُمهْ اصْبِري فَإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ!" رواه مسلم.

وَيُقَال: إِنَّمَا قتل عبد الله بن الثَّامِر قبل ذَلِك، قَتله ملك كَانَ قبل ذِي نواس، هُوَ أصل ذَلِكَ الدِّين، وَإِنَّما قتل ذُو نواس من كَانَ بعده من أهل دينه. (رَاجع الطَّبَرِيّ).

ولعلي هنا أتوقّف أمام عدد من النقاط:

- حين وضع المشار في منتصف رأسه ورفض أن يعود إلى الكفر، هل هذا يعدّ ذروه وسنام الإيمان لدى ابن الثامر!!؟
- بعد أن سقط الجنود من على الجبل، لماذا يصرّ الثامر بأن يعود للملك رغم علمه بما يترقبه من البطش والوعيد!!؟
- إصرار الثامر على أن يجمع الناس!!؟
- أصر ابن الثامر أن يأخذ سهماً من كنانته هو وليس أي كنانة!!؟

والسؤال الأخير الذي يطرح نفسه في خضم هذه الأحداث المتتالية لهذه الحادثة.

ما سر قوله تعالى بعد أن قصّ البارئ جل شأنه علينا هذه القصة ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا...**﴾؟؟؟ هل عرض الرب على هذه الفئة فرصة التوبة...؟؟؟؟

وهل هذا مجال للتوبة بعد هذه العملية الإجرامية بحرق المؤمنين المؤمنات...؟؟

وماذا نفهم من هذا العرض الرباني...؟؟

وقد كان لعبد الله بن الثامر قبر بجوار مدينة الأخدود مرتفع عن الأرض بحوالي المتر وبجواره شجرتي سدر وكان الناس يمرون بهذا القبر ويزورونه من وقت إلى آخر حتى هدم في بدايات العقد السابع بعد ألف وأربعمائة من الهجرة، وأكد على ذلك أمير نجران السابق تركي الماضي في كتابه"[١] ويوجد حي إلى الآن باسم أبو ثامر[٢] (انظر رسم فلبي لخارطة الأخدود وتحديده للقبر في الملحق شكل ٣).

---

(١) من مذكرات تركي بن محمد الماضي عن العلاقات السعوديه اليمنيه ١٣٤٢-١٣٧١، ص ٤٢٦.

(٢) ومن الرائج في نجران أسطورة خدم عبد الله بن ثامر وكان الناس عامه يقدمون لهم الأكل والشرب ويعطفون عليهم ويعتقدون انهم من خدم قبره والذين استمروا فترة طويلة وقد قابلت شخصياً أحد هؤلاء قبل عدة عقود.

نسب الحارث ابن كعب ورجالها

بنو الحارث بن كعب بطن من بطون قبيلة مذحج العريقة التي كانت تحتل في عصر ما قبل الإسلام بقعة كبيرة من الأرض وكانت قبيلة مذحج تحتل بقاعاً شاسعة من الأرض، فقد امتد نفوذها من نجران إلى شبوة وسيف البحر في أقصى الجنوب، وهذا ما يفسر نجاح الأسود العنسي المذحجي في احتواء اليمن من نجران إلى حضرموت في غضون شهر، ولولا أن دعوته كانت باطلة ما زاحمه عليها أحد، ولا دافعه عن رئاستها ابن أنثى.

ومذحج قبيلة عربية قحطانية عدّها ابن الكلبي جمجمة من جماجم العرب، وهي قبيلة ذات شأن في الجاهلية والإسلام، وقد تفرّع من هذه القبيلة خلق عظيم كانوا بطوناً وأفخاذاً وجمراتٍ العرب، ومن بطون هذه القبيلة، مراد بن مذحج، وعنس بن مذحج، ولميس بن مذحج، وسعد العشيرة، وبنو الحارث بن كعب الذين سكنوا نجران، وكان منهم شعراء وقادة وغير ذلك.

نسب الحارث بن كعب وقبائلها ورجال بني الحارث[1]

وَلَدَ مَالِك بن أُدَد: خَالِداً، وسَعْد العَشِيرَةِ؛ وإنما سُمَّي سَعْد العَشِيرَةِ لأنه طالَ عمُره فكان وَلَدِه وَوَلَدَ وَلَدِه ثَلَثْمائَةَ رَجُل، فكان يَركبُ فيهم، فيُقالُ: منِ هَؤُلاءِ معك؟ فيقولُ: عَشِيرَتِي مَخَافَةَ العين عَليهم.

ويَحَابِرَ، وَهْوَ مُرَّاد، سُمَّي مُرَّاد لأنه تمرّد من اليَمَنِ.

وزَيْداً، وَهْوَ عَنْسُ؛ ولَمْساً، أهلَ بيتٍ مع عَنْسُ؛ أُمَّهُم: سَلْمَى بِنْت مَنْصور بن عِكْرِمَةَ بن خَصْفَةَ بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر.

فَوَلَدَ خَالِد بن مَالِك بن أُدَد: عُلَة.

فَوَلَدَ عُلَة بن خَالِد: عَمْراً، وحَرْباً.

فَوَلَدَ عَمْرو بن عُلَة: كَعْباً، وجَسْراً، وَهْوَ النَّخَعُ وعَامِراً، أُمَّهُم: المهَنَّاة بِنْت مَالِك بن الأَوْس بن تَغْلِب؛ وَوُعَيْلاً بَطن مع بَني الحَارِثَ بالبَصْرَةِ.

---

(١) نسب معد واليمن الكبير لهشام أبو المنذر بن محمد السائب الكلبي المتوفى عام ٢٠٤هـ.

وهَؤُلاء بَنو الحَارِثَ بن كَعْب.

فَوَلَدَ الحَارِثَ بن كَعْب: كَعْباً ورَبِيعَةَ، أُمَّهُما هِنْدُ بِنْت النَّخَع.

فَوَلَدَ رَبِيعَةَ بن الحَارِث: كَعْباً.

فَوَلَدَ كَعْب بن رَبِيعَةَ: مَالِكاً، ورَبِيعَةَ، ومُوَيْلِكاً؛ أُمَّهُم: مَاوِيَةُ بِنْت الحَارِثَ بن كَعْب بن أَوْد بن صَعْب بن سَعْد العَشِيرَة.

فَوَلَدَ مُوَيْلِكُ بن كَعْب: رَبِيعَةَ، وَهْوَ مُجعِثٌ، وأُبَيًّا، أُمَّهُما: عُقْدَةُ بِنْت بأهلَة، بها يُعرَفون.

منهم: حُوَيْصُ بن أبي مُوَيْلِكُ، كان فيمن سَارَ إلى مكَّة مع الفيلِ فَهَلَكَ؛ ولبَنِي عُقْدَةَ بَقِيةٌ قَلِيلة.

وَوَلَدَ مَالِك بن كَعْب: الحَارِثَ، ورَبِيعَةَ، وعَمْراً.

فَوَلَدَ الحَارِثَ بن مَالِك: مُعَاوِيَةَ، وظَالِماً، وصَلاَةَ، ورِزَاماً؛ أُمَّهُم من جَنْب.

منهم: المحَجَّلُ، واسْمُه مُعَاوِيَةَ بن حَزْن بن مَوْأَلَة بن مُعَاوِيَةَ بن الحَارِثَ؛ وأُمَّهُ: نُسَيْبَةَ بِنْت مُعَاوِيَةَ بن رَبِيعَةَ بن ظَالم بن الحَارِثَ بن مَالِك بن كَعْب.

فَوَلَدَ المحَجَّلُ بن حَزْن: يَزِيْد، وقَنَافَةَ، وصَامِتاً، أُمَّهُم: هِنْدُ بِنْت مُعَاوِيَةَ بن عَمْرو بن عَبْدَ يَغُوث مِن جَنْب.

وحَزْناً، ومِحْصَناً؛ أُمَّهُم: كَبْشَةُ بِنْت خَالِد بن مُعَاوِيَةَ بن كِلاَب بن رَبِيعَةَ بن عَامِر، وأُمَّهُا الزَاهِرِيَّة بِنْت رِيَاح بن أبي رَبِيعَةَ بن نَهِيل بن هِلاَل بن عَامِر.

فَوَلَدَ يَزِيْد بن المحَجَّل: سَعْيداً، وأُمَامَة، أُمَّهُما: هِنْدُ بِنْت مُرَّةَ بن هَاعَان.

فَوَلَدَ سَعْيد بن يَزِيْد: يَزِيْداً، وَفَد عَلَى النَّبيِّ ﷺ.

والأَسْوَدُ، وعَبْدَ اللَّهُ، وعَبْدَ الرَّحمَان وقَيْساً، وحَسَناً؛ أُمَّهُم: أُم قَيْس بِنْت عَأَسَرَ بن ثُمَامَة.

وطَلْقَ، وأبا حَيَّان، والقَعْقَاعَ؛ أُمَّهُم من بَني وَقَّاص من بَني المَعْقِل.

وَوَلَدَ الأَسْوَدُ بن سَعْيد: زواً، وعَلِيّة، وأسَيَّداً ويَزِيْد؛ أُمَّهُم: عَوانَةُ بِنْت مِحِصْن بن حَزْن بن المحَجَّلُ.

وَوَلَدَ قَنَافَةَ بن المحَجَّلُ: مَوْأَلَة؛ أُمَّهُ الرِبَابُ بِنْت بياض من بَني نَهد بن زَيْد.

وَوَلَدَ عَبْدَ الله بن سَعِيد: عُثْمَانُ، أُمّهُ أم وَلَدٍ وَوَلَدَ قُنَافَةَ بن المحَجَّل: مَوْأَلَةَ أُمّهُ الرِبَابُ بنت مِنْ بني نَهْد بن زَيْد والأَسْوَدُ، وأُمّهُ من عَتِيك نحوان.

وَوَلَدَ حَزْن بن المحَجَّلُ: مِحصْناً، والحُرَّ، وعَلَيًّا، وسَعْيداً، ومُعَاوِيَةَ؛ أُمَّهُم لَمْيسُ بنْت سَلَمْان بن أَبَان بن عَمْرو بن حَزْن؛ وأُمَّهُما: كُبَيْشَةُ بنْت مُخَرَّمُ، وأُمَّهُما: أُميَمَةُ بن أبـــي غَنْمُ بن حَبيب بن حَبْتَر من خُزَاعَةَ. فَوَلَدَ مِحصْن بن حَزْن: قَيْساً، وخُزَيمَةَ، وحَزْناً أُمَّهُم: أُم حَكِيم بِنْت قَيْس بن مُعَاوِيَةَ بن مَالِك بن الحَــارِثَ بــن رَبِيعَةَ بن صَلاَءَةَ بن مُعَاوِيَةَ بن الحَارِثَ بن مَالِك بن كَعْب؛ وأُمَّهُما: أَسَمْاءُ بِنْــت يَزَيْد بن الحَارِثَ بن سَلَمَةُ بن رَبِيعَةَ بن صَلاَءَةَ بن مُعَاوِيَةَ[1].

ودلَهُماً، وجَعْفَراً؛ أُمَّهُما: خُزَيمَةَ بِنْت زِيَادَ بن الحَارِثَ بن مُخَرَّمُ؛ وأُمَّهُما: أُم الناس بنْت عُبَيْدة من بَني زِيَاد.

خُلَيْساً، والتَمْرَسَ؛ أُمَّهُما: لَيْلى بنْت رَبَيعَةَ بن عَمْرو بن دُرَاع.

وَوَلَدَ الحُرَّ بن حَزْن: السَّرِيَّ، وجُمَانةَ، ومغَيْرة، والصَّلْتَ، وعَبْدَ اللّهُ، وأبــا ماسِحَة، والطويل؛ أُمَّهُم: الوَرْدَاءُ بن صَامِتْ بن سَلَمْى بن أَبَان بن عَمْـــرو بـــن زِيَاد بن الحَارِثَ.

وَوَلَدَ سَعْد بن حَزْن: هشَّاماً، وعَمْراً، أُمَّهُما: هِنْدُ بِنْت سَعْيد بن يَزَيْد بـــن المحَجَّلُ.

وَوَلَدَ عَليّ بن حَزْن: أبا يَزَيْد، ومُحَمَّداً؛ أُمَّهُما: لَمْيسُ بِنْت سَلَمْى بن عَبْــدَ شَمْس بن عَمْرو بن رَبِيعَةَ بن مَالِك.

وَوَلَدَ مِحْصَنُ بن المحَجَّل: يَزَيْد، ومُطَرِفاً، أُمَّهُما: هِنْدُ بنت عَبْدَ شَمس بـــن عَمْرو بن رَبِيعَةَ.

هَؤُلاء بَنو المحَجَّلُ، وإنما سُمَّي المحَجَّلُ لِبَياضٍ كان به، وقد رَأَسَ.

وَوَلَدَ عَمْرو بن مَالِك بن كَعْب: الحَارِثَ وحُمَيضَةَ، وعَبْدَ شَمْس، قَتَلَته جُعْفيّ.

وَوَلَدَ رَبِيعَةَ بن كَعْب بن رَبِيعَةَ بن الحَارِثَ بن كَعْب: مَالِكاً، وعَامِراً، وَهْــوَ الحِمَاس بَطن، والحَارِثَ وَهْوَ خَيْثَمةُ، بَطن؛ وكَعْباً، وَهْوَ الأَرَتُّ، بَطن؛ أُمَّهُم: رُهْم بِنْت مَالِك بن النَّخعُ.

(١) نسب معد واليمن الكبير، مصدر سابق.

فَوَلَدَ مَالِك بن رَبِيعَةَ: الحَارِثَ، أُمَّهُ من بَني زَيْد.

فَوَلَدَ الحَارِثَ بن مَالِك: زِيَاداً، بَطن، ويَزَيْد وَهْوَ النَّار، بَطن، قيل فيه:

ما سُمِّيَ النَّار إلَّا مِنْ صَرَامَتِه   وضَرْبهِ الهَامَ بالمصْقُولَةِ الشُّطُبِ

ولأياً، بَطن.

فَمِنْ بَني زِيَاد: عَبْدَ المدَان، واسْمُه عَمْرو بن الدَّيَّان، واسْمُه يَزَيْد بن قَطَن بن زِيَاد.

وأَنَسُ بن الدَّيَّان.

ومَالِك بن الدَّيَّان

وجَبْر بن الدَّيَّان.

أُمَّهُم: أم جَبْر بنْت سَيْحان من عَنْزَةَ وهم مع أَخْوَالَهُم باليَمَامَة.

فَوَلَدَ عَبْدَ المدَان بن عَبْدَ الدَّيَّان بن قَطَن بن زِيَاد بن الحَارِثَ بن مَالِك بن رَبَيعَةَ بن كَعْب بن رَبِيعَةَ بن الحَارِثَ بن كَعْب: عَبْدَ اللَّهُ الشَّاعِر، وَهْوَ عَبْدَ الحُجْر وَفَد عَلَى النّبيّ ﷺ فَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهُ، قَتَلَهُ بُسْرُ بن أبـي أَرْطَاة حين توجه إلى اليَمَنِ، فبمن كان في طاعة عَليّ بن أبـي طَالِب عليه السلام[1].

وقَتَلَ ابْنَه مَالِكاً، ويَزَيْد بن عَبْدَ المدَان، كان شَرِيفاً شَاعِراً، وَفَد أيضاً والحَارِثَ بن عَبْدَ المدَان، قَتَلَهُ وعُلَة بن الحَارِثَ الجَرْميّ، وكانت جَرْم حِلْفاً لبَني الحَارِثَ بن كَعْب؛ فوَقَع بينهم شر فَفَارَقَهُم جَرْم في الجَاهِلِيَّة؛ ودَعْوتَهم مَعَهُم للحِلْف الأول في الإسلام.

وزِيَاد بن النَّضْر بن بِشْرُ بن مَالِك بن الدَّيَّان، كان شَرِيفاً، شَهِدَ المشاهد مع عَليّ بن أبـي طَالِب عليه السلام وبَعَثَهُ عَلَى مقدمته يَوْمَ صَيْفِيْن ومَعَهُ شُرَيْح بن هَانِي الحَارِثِي، فاختلَفا وكَتَبا إلى عَليّ بن أبـي طَالِب فَكَتَبَ أن يُصَلي كل واحِدٍ منهم عَلَى حَالَهُ، وإن جَمَعَتهم الحَرْب فزيَاد عَلَى شُرَيْح.

وأُذَيْنه بن النَّضْر، شَرِيفُ بالشَّام.

والرَبِيعُ بن زِيَاد بن أَنَسُ بن الدَّيَّان الَّذي ولي خرَاسَان، وفَتَحَ بَعضَها، وكان

---

(١) نسب معد واليمن الكبير، مصدر سابق.

أمير المؤمنين عمر بن الخَطَّاب يقولُ: "دُلُّوني عَلَى رَجُل إذا كان في القَوْمِ وَهْوَ أمِيرٌ فَكَأنهُ وَلَيْسَ بأمِير، وإذا كان فيهم ولَيسَ بِأمِير فكَأنهُ أميرٌ بعَيْنه" وكان مُتَواضِعاً خَيِّراً.

والمهَاجَرَ أخُوهُ قَتَلَ مع أبو مُوسى الأشْعَرِيّ بتُسْتَر، ولَهُ يقولُ القائل:

ويَوْمَ قَامَ أَبو مُوسى بخُطبَتِه   رَاحَ المهَاجَرَ في حِلٍ بأجْمَالِ
فالبَيْتُ بَيْت بَني الدَّيَّان نَعْرِفُه   في آلِ مَذْحِج مثل الجَوْهِرِ الغَالي

والحَارِثَ بن زِيَاد بن الرَبِيعُ بن زِيَاد، لَمْ يَكُن في الأَرْضِ عَرَبِيٌّ أبْصَر منه بنَجْمٍ، وكان مع أبي جَعْفَرُ، وكان يَتَحَرَّج أن يَقْضي.

وشَدَّادُ بن الحَارِثَ بن زِيَاد بن أنَسُ بن الدَّيَّان، كان سَخِيًّا، ولَهُ يقولُ الشَّاعِر:

ا لَيْتَنَا عِنْد شَدَّادُ فَيُخبِرنا   ويُذْهِبُ الفَقْرَ عَنَّا سِيبُه الغَرِقُ

ومُخَرَّمُ بن جحَزْن بن زِيَاد، وقد رَأسَ؛ وَهْوَ ابن فُكَيْهَةَ، وهي أمةٌ، كانت سَبيَّة، وكان شَاعِراً.

والهَجْرسُ بن الحُرَّ بن مَالِك بن عَبْدَ اللَّهُ بن شُرَيْح بن مُخَرَّمُ، وكان لَهُ شرفاً وسَخَاءً.

ويَزَيْد وَهْوَ النَّابِغَةُ، النَّابِغَةُ بَني الحَارِثَ بن كَعْب وَهْوَ ابن أبَان بن حَزْن بن زِيَاد.

وَوَلَدَ عَبْدَ اللَّهُ بن عَبْدَ المدَان: بِشْراً، ومَالِكاً الّذي قَتَلَ بشْرُ بن أرْطَاة.

وعَبْدَ اللَّهُ؛ وعَائِشَةَ تَزَوَّجَهَا عَبْدَ اللَّهُ بن عَبَّاس فَوَلَدِت لَهُ عَبَّاساً، وعَالِيَةَ، وكانت عند عَرَابَةَ الأوْسي ثم خَلَف بن عُثْمَانُ بن عَفَّان.

فَوَلَدَ عُبَيْد اللَّهُ بن عَبْدَ اللَّهُ بن المدَان: رَبِيعاً، ومَالِكاً، ويَزَيْد، ورَيْطَة، أم العَبَّاس، وزِيَاداً.

فَوَلَدَ رَبِيعُ بن عُبَيْد اللَّهُ: عَبْدَ اللَّهُ لأم وَلَدِ، وعَلِيًّا، أُمَّهُ من بَني عَقِيلُ، والحُبَابُ لأم وَلَدِ[1].

---

(١) نسب معد واليمن الكبير، مصدر سابق.

وَوَلَدَ يَزَيْد بن عُبيْد اللَّهُ بن عَبْدَ اللَّهُ بن عَبْدَ المدَان: مُحَمَّداً، ورِزَاماً، وبِشْراً، وسُلَيْمان؛ أُمَّهُم: بِنْت النَّضْر بن يَزَيْد بن الحُصَيْن بن يَزَيْد.

وَوَلَدَ مَالِك بن عُبيْد اللَّهُ: جعْفراً؛ أُمَّهُ: بِنْت السمَال بن طَارِق من بَنِي زُبَيْد.

وَوَلَدَ بِشْرُ بن عُبيْد اللَّهُ بن عَبْدَ اللَّهُ بن عَبْدَ المدَان: أبا عَلِيّ، أُمَّهُ: أُمَيَّةَ بِنْت عَبْدَ اللَّهُ بن قُرَادٍ، من بَنِي زِيَاد.

هَؤُلاء بَنو عَبْدَ اللَّهُ بن عَبْدَ المدَان أَخْوَال أبي العَبَّاس السَّفَّاح.

ومِنْ بَنِي الشَّاعِر بن الحَارِثَ بن مَالِك بن رَبِيعَةَ بن كَعْب بن الحَارِس بن كَعْب: مُرْسُوعُ بن الحَارِثَ بن النَّار، قَتَلَهُ بَنو أَسَدِ بن خُزَيمَةَ في الجَاهِلِيَّة، ولَهُ يقولُ عَمْرو بن شَأْس الأَسَدِي:

وَيَوْمَ بَني كَعْب أَصَابتْ رِماحُنَا مَقَاتِل يَرْبُوعٍ ونَحْنُ بِهِ نَدْلي

وَوَلَدَ الحَارِثَ بن النَّار: مَعْشَر، وتَمِيماً، والحَارِثَ فَوَلَدَ مَعْشَر بن النَّار بن الحَارِثَ: خَالِداً، وَهْوَ مُبَاي الرِّيحِ، ولَهُ يقولُ القائل:

تَمَنَّتْ حَال خَالِد بن النَّار المطْعِم الشَّحْمَ في الاصْفَارِ
مَانحُ جُودَ النُّوق في الأَضرار مِنْ عَصَبٍ مَاجِدَةٍ أَحْرَارِ

فَوَلَدَ خَالِد بن مَعْشَر: مَعْشَر، وهم من بَني تَمِيم.

ورِزَاحُ بن خَالِد، أَصَابَتْهُ بَنو أَسَدِ بن خُزَيمَةَ يَوْمَ صِفَاق، فلَهُ يقولُ مُرْسُوعُ:

مَنْ كان يَرْجو في المغِيبِ رِزَاحَةُ فَان رِزَاحي عِنْدَ مُنْقَطِعِ الصَّفْقِ

فَوَلَدَ مَعْشَر بن خَالِد: صَفْوَاناً فوأُدَد صَفْوَانُ بن مَعْشَر: عَمْراً، وَهْوَ مِصْرَف، وإنما سُمَّي في مَنَام، وأُمَّهُ من بَني عَمْرو بن تَمِيم.

ونُعَيْماً، أصابَتْهُ ذُبْيَان فَقَال المهرب:

أَتَانا زِيَاد يَطلبُ الصُّلْحَ عِنْدَنا وَقَدْ جَمَعَتْ ذُبْيَان جَمْعَ المَحَارِبِ
فَقُلنا لَهُم لاَ صُلْح حَتَّى نَزُوكَم وحَتَّى تَمِيلَ الخَيْلِ فَوْقَ المَنَاقِبِ
فَزَوناهُمُ لَمْ نَعْطِ عَهْداً وعَمَّها مِنْ القِوْم عيل الجَوْف صَحْم المنَاكِبِ
فَلَمْا رَأَوْنا نَشْجُر القَوْمَ بالقَنا وتُشْتَجَرِ الأَبْطَال مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَتَنْعى أَبا عَمْرو وتَيْم بن مَعْشَر ونَضْرِبُ غِبَ النَّقْعِ فَوْقَ الحَواجِبِ

تَيْم بن مَسْعُود، ووَقَّاص بن المَعْشَر[1].

فَوَلَدَ وَقَّاص بن مَعْشَر: المنذر فَوَلَدَ المُنْذِر بن وَقَّاص: عَمْراً، وَهْوَ الَّذي يقولُ:

قَالَــتْ بَنُــو ذُبْيَــان إنــا مَعْشَــر نَحْمِــي ونَمْنَــع صَــعْبَةَ النُّسْــوَان

وحِصْن بن مَعْشَر.

فَوَلَدَ حِصْن بن المَعْشَر: الأَحْوَص.

وَوَلَدَ تَمِيم بن النَّار: مَعْشَر، وزِيَاداً، وعَمْراً فَوَلَدَ مَعْشَر بن تَمِيم النَّار: تَمِيماً.

وَلَدَ تَمِيماً بن مَعْشَر: ثَابتاً، وكَعْباً، ومَعْبَداً، بَنو تَمِيم بن مَعْشَر بن تَمِيم بن النَّار، كان في السَبَعَة الَّذين طعنوا عَلَى عُثْمَانُ رضي الله عنه فَبَعَثَ إليهم فَقَيْدَهُم حتى قَتَلَ عُثْمَانُ بن عَفَّان.

وَوَلَدَ مُرْسُوعُ بن الحَارِثَ بن النَّار: مَعْشَر، والحَارِثَ، وَهْوَ تُومَة.

فَوَلَدَ مَعْشَر بن مُرْسُوعُ: صَفْوَانُ.

فَوَلَد صَفْوَانُ بن مَعْشَر: عَمْراً، وَهْوَ الَّذي يقولُ لَهُ مُخَارِقُ الهِلاَلي أبياتٍ.

وَوَلَدَ تُومَة بن مُرْسُوعُ: عَبْدَ اللَّهُ.

من وَلَدِه: النَّضْر بن عَبْدَ اللَّهُ بن سُفيان بن مَالِك بن عَبْدَ اللَّهُ بن تُومَة، كان شَرِيفاً بالكُوفَةِ.

وَوَلَدَ الحِمَاس بن رَبِيعَةَ بن كَعْب بن الحَارِثَ بن كَعْب: خَدِيجاً، ومَالِكاً.

فَوَلَدَ خَدِيجُ بن الحِمَاس: الحَارِثَ، ومُعَاوِيَةَ، ومَالِكاً، وعَبْدَ اللَّهُ.

فَوَلَدَ مَالِك بن خَدِيجُ: دَاعِراً، والرَّافِغيَّ.

ومنهم: النَّجاشِيُّ، واسْمُه قَيْس بن عَمْرو بن مُعَاوِيَةَ بن خَدِيجُ بن الحِمَاس.

وأَخُوهُ خَدِيجُ بن عَمْرو، وكان شَاعِراً.

وَوَلَدَ كَعْب بن رَبِيعَةَ بن كَعْب بن الحَارِثَ بن كَعْب: رَبِيعَةَ، وَهْوَ المَعْقِل، بَطن، ودُهْنِيًّا بَطن؛ أُمَّهُما: هِنْدُ بِنْت مُعَاوِيَةَ بن الحَارِثَ بن مُعَاوِيَةَ بن ثَــوْر بن مُرْتِع.

فَمِنْ بَنِي المَعْقِل: مَرْثِدُ، ومُرَيثِدُ، ابنا سَلَمَةُ بن المَعْقِل، وهم يدعَوْنَ: المَرَاثِد.

---

(١) نسب معد واليمن الكبير، مصدر سابق.

قال وعُلَة الجَرْميّ:

صُبّحت بها المرَائِـد مـن قَرِيـب   وحتَّـى دِغْبَـل وبَـني زِيَـاد

والمأمور، وَهْوَ الحَارثَ بن مُعَاوِيَةَ بن قَيْس بن كَعْب بن المَعْقِل الكَاهِن، لَمْ يَكُن فِي العَرَبِ أحدُ أَكْهَن منه، بأمْرِهِ مَذْحِجٍ، كانت تَتَقْدَمُ أو تَتَأَخَرَ؛ اجتَمَعَتْ عَليه مَذْحِج.

وسَلَمَةُ، وَهْوَ ذُو المروّة بن صَلاَءَةَ بن كَعْب بن مَعْقِل، ومَعْقِل، وقد رَأس، وإنما سُمّي ذا المروّة لأنه رَمَى رَجُل بمُرّوة فقَتَلَه.

وجَعْفَرُ بن عُلْبَةَ بن رَبِيعَةَ بن الحَارِثَ بن عَبْدَ يَغُوث بن الحَارِثَ بن مُعَاوِيَةَ بن صَلاَءَةَ، كان فَارِساً شَاعِراً يُغَيْر عَلَى بَنِي عَقِيلُ فَيُكثِر، وأُخذ بعد فقَتَلَ، صَبراً بالمدِينَةِ.

ومُزَاحِمُ بن كَعْب بن حَزْن بن مُعَاوِيَةَ بن صَلاَءَةَ، كان فَارِساً، ولَهُ يقـولُ عَامِر بن الطُفَيْلُ:

ولَقَـدْ رَأَيـتُ مُزَاحِـاً فَكَرِهتـهُ   وَلَقَدْ حَفَظَتُ وَصَـايَا أُمّ الأَسْـوَدُ

وطُفَيْلُ اللّجْلاَج بن يَزَيْد بن عَبْدَ يَغُوث بن صَلاَءَةَ بن المَعْقِل، كان فَارِساً شَرِيفاً، وقد رَأسَ، وَهْوَ المثمل وما يدري، وقد تَولّع هَرِماً.

وأَخُوهُ مُسْهِرُ بن يَزَيْد بن عَبْدَ يَغُوث بن صَلاَءَةَ بن المَعْقِل، واسْمُه رَبِيعَةَ بن كَعْب بن رَبِيعَةَ بن كَعْب بن الحَارِثَ، الّذي فَقَأ عين عَامِر بن الطُفَيْلُ يَوْمَ فَيْـفِ الرِّيحِ، ولَهُ يقولُ عَامِر بن الطُفَيْلُ:

لَبِئْسَ الفَتى إن كُنْت أَعْوَرَ عَاقِراً جَبَاناً   فَمَا أَغْنَـى لَـدى كُـلّ مَحْضَـرِ

لَعَمْري، ومَا عَمْـرِي عَلَـيّ بِهَـيِّن   لَقَدْ شَأنَ حُرَّ الوَجْهِ طَعْنَـةُ مُسـهِرِ

وعَبْدَ يَغُوث بن الحَارِثَ بن وَقّاص بن صَلاَءَةَ، قَتِيـل التَمِـيم، وكان عَلَى مَذْحِج يَوْمَ الكِلاَب وَهْوَ الّذي يقولُ:

يـا رَاكِبـاً إمَّـا عَرَضْـتَ فَبَلِّغـا   نَـدَامَايَ مِـنْ نَجْـرانَ أَلاّ تَلاَقِيـا

أَبَا كَـرِب والأيْهَمَـيْنِ كِلاَهُمـا   وقَيْساً بأَعَلَى حَضْـرَمَوْت اليَمَانيـا

وحَجْوَانُ بن الحَارِثَ بن وَقّاص بن صَلاَءَةَ بن المَعْقِل، الّذي قَتَلَتـهُ مُـرّاد بالجَاهِلِيَّة.

وأَصْعَرُ بن الحَارِثَ بن وَقَّاص، صاحب بَنِي الحَارِثَ يَوْمَ القَادِسِيَّةَ.

ويَحيى بن بِشْرُ بن حَجْوَانُ بن أَصْعَرُ، ولي شُرَطَ الكُوفَةِ لَهُاشم بن سَعْد بن مَنْصور.

وَوَلَدَ خَيْثَمةُ بن رَبِيعَةَ: أبا رَبِيعَةَ والأَسْوَدُ، وسَاعِدَةَ.

فَوَلَدَ أبا رَبِيعَةَ بن خَيْثَمةُ: الشَّيْطَانَ.

ذكر القلقشندي في نهاية الأرب نسب بني الديان كالتالي:

بنو الديان - بفتح الدال المهملة وتشديد الياء المثناة تحت ونون في الآخرة بطن من بني الحارث بن كعب من القحطانية وهم بنو الديان واسمه يزيد بن قطن بن زيادة الحارث بن كعب بن الحارث بن كعب والحارث قد تقدم نسبه في الألف واللام مع الحاء.

قال في العبر: وكان لهم الرئاسة بنجران من اليمن والملك على العرب بها وكان الملك منهم في عبد المدان بن الديان وانتهى قبل البعثة إلى يزيد بن عبد المدان ووفد أخوه على النبي ﷺ على يد خالد بن الوليد.

قال ابن سعيد: و لم يزل الملك بنجران في بني عبد المدان ثم في بني أبي الجود منهم ثم انتقل إلى الأعاجم الآن.

قال أبو عبيدة: ومن بني عبد المدان هؤلاء الربيع بن زياد أمير خراسان في زمن معاوية وشداد بن الحارث الذي يقول فيه الشاعر:

يا ليتنا عند شدادٍ فينجزنا ويذهب الفقر عنا سيبة الغدق

انتهى ما ذكر القلقشندي.

وكان بهم عدد كبير من الشعراء ومن أشهر هؤلاء الشعراء باعتبارهم سكنوا نجران في العصر القديم، وكانت لهم صولات مع قبائلهم وشاركوا في كثير من الأيام والوقائع:

- أبو النضر يزيد بن عبد المدان الحارثي
- أبو الحارث يزيد بن المخرِّم الحارثي
- عبد يغوث بن وقاص بن الحارث الحارثي (الشاعر والفارس المشهور قتلة بنو تميم بعد أسره)

- الحارث بن كعب المذحجي أبو يزيد عبد المدان بن الديان الحارثي
- الديان بن قطن الحارثي
- مسهر بن يزيد الحارثي
- الحارث بن سعد الحارثي
- اللجلاج الحارثي
- مخرِّم بن حزن الحارثي
- هوبر الحارثي
- المأمور الحارثي
- المحجَّل بن حزن الحارثي
- عمرو بن جابر الحارثي الكعبي
- أبو عمير الحصين بن يزيد الحارثي
- مرسوع بن الحارث الحارثي

جعفر بن علبه الحارثي (شاعر وفارس سيد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية)

- عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي
- الشميدر الحارثي
- سويد المرائد الحارثي (شاعر وفارس)
- ابن البيلمان (شاعر عباسي)
- النجاشي الحارثي

ويتكوّن سكان نجران من عرب صرحاء النسب ومن موالي، والموالي على ما يظهر منهم من يشاركون الصرحاء في القتال والحروب بدليل قول الشاعر عبد يغوث بن صلاءة الحارثي:

جزى الله قومي بالكُلاب ملامةً صريحَهُم والآخرين المواليا[1]

(١) الأب حارث إبراهيم، الرواية العربية لاستشهاد القديس حارث بن كعب ورفقائه في مدينة نجران، بيروت، منشورات جامعة البلمند، ٢٠٠٧م، ص ٩.

ومنهم من يشتغلون بالحرف والخدمات المتنوعة. ويشكل الرقيق فئة مهمة من السكان (انظر الفصل الأول والقوانين الإدارية ووجود الرقيق في نجران) فالملك ذو نواس الحميري عندما اجتاح نجران فرض على أفراد الرقيق رجال ونساء من سكانها ضريبة مساوية لضريبة الأحرار فنص في شروط استسلام المدينة وفرضه الخراج عليهم: "على أن أُصيِّر على رأس كل رجل وامرأة حر كان أو عبد... اجعل عليهم خراج مثقال واحد"[1].

إن الحركة الشعرية في نجران لم تكن مقصورة على الشعراء الذين كانوا يفدون إليها لنيل عطاء وجهائه الذين كان لهم صيت كبير غطى أرجاء الجزيرة العربية وخارجها، بل إن مستوى النص الشعري كان أيضاً للشعراء الذين هم من أهل نجران الأصليين، وكان من أولئك قبيلة بني الحارث بن كعب التي لها شعر غزير في "المدونة الشعرية العربية" وكان من ذلك ما دوّنه الشاعر الناقد في كتاب الحماسة لتلك القبيلة، على أن نص شعر شعراء نجران حظي بمكانة لدى كثير من النقاد القدامى واستشهد به كثير في طيات "المدونة النقدية"، فهذا الأفوه الأودي، لا يكاد كتاب بلاغي أو نقدي إلا ويستشهد بشيء من شعره، خذ مثلاً قوله:

سود غدا ثرها بلج محاجرها كأن أطرافها لما اجتلى الطنف

إسلام بني الحارث بن كعب

إن نجران فتحت صلحاً على يد خالد بن الوليد، وفرض عليهم الجزية وهي أول جزية في الإسلام.

(روي أن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه إلى اليمن فسار إليها وقرأ كتاب رسول الله ﷺ على أهل اليمن فأسلمت همدان في يوم واحد وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فسجد شكراً لله، ثم أمر علياً بأخذ صدقات أهل نجران وجزيتهم ففعل وعاد فلقي رسول الله ﷺ بمكة في حجة الوداع)[2]، ثم أرسل رسول الله ﷺ علياً عليه السلام إلى أهل نجران يجمع صدقاتهم

(١) الأب لويس شيخو، شعراء النصرانية، بيروت، دار المشرق، ١٩٩٩م، ج ١، ص ٧٨.
(٢) مختصر أخبار البشر، ج ١، ص ١٥٠.

وجزيتهم، أي جزية من لم يسلم منهم[1] (وهي فئة قليلة وظلت محافظة على دينها ومتمسكة بوطنيتها حتى القرن السادس الهجري)[2] وذكر إسلام بنو الحارث بن كعب بن هشام في كتابه سيرة ابن هشام[3]. وكذلك ابن كثير ذكر إسلام بنو الحارث بن كعب نقلاً عن ابن إسحاق البداية والنهاية[4]. وقال د. محمد حسين هيكل[5]:

قال البيهقي عن البراء: إن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه ثم إن رسول الله ﷺ بعث علياً بن أبي طالب.. ثم تقدم علي بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جميعاً فكتب إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خرَّ ساجداً ثم رفع رأسه فقال "سلام على همدان سلام على همدان ورواه البخاري مختصرا"[6].

"على أن جماعة من نصارى نجران احتفظوا بدينهم، مخالفين في ذلك الأكثرية من قومهم بني الحارث الذين أسلموا من قبل. إلى هؤلاء وجه النبي خالد بن الوليد يدعوهم إلى الإسلام كي يسلموا من مهاجمته و لم يلبثوا حين نادى فيهم خالد أن أسلموا فبعث خالداً وفداً منهم إلى المدينة لقيه النبي فيها بالترحيب والمدة".

المباهلة

ينتمي نصارى نجران للمذهب الأرثوذكسي وبالتالي كان هناك ثلاثة أصناف حينما جاء الإسلام:

---

(١) طبقات ابن سعد، ج ١، ص ٢٦٦.
(٢) انظر سيرة الهادي بن حسين وكتاب نجران الحديثة. وذكر بعث علي (ع م) إلى نجران ابن الأثير، ج ٢، ص ٢٠٥.
(٣) ابن هشام، ص ٢٨١.
(٤) ج ٥، ص ٩٨/٩٩.
(٥) محمد حسين هيكل، كتاب حياة محمد، ص ٤٨٨.
(٦) كتاب البداية والنهاية ص ١٠٤/١٠٥.

أ- **مونوفيزيون – يعاقبة ديوليانيون** (مذهب الطبيعة الواحدة وهو مذهب يقول بتأليه المسيح ويقول: "الرحمن وابنه المسيح" وكان ذلك هو المذهب المسيحي الرسمي للدولة الرومانية وللمسيحيين في الشام ومصر وأكسوم. وكان الراهب (أذكر عرفة) يدعو إلى ذلك المذهب في نجران فقتله شرحبيل يكمل ملك حمير، فكان المذهب المسيحي النسطوري التوحيدي هو السائد في كنائس اليمن الأربعة بظفار وصنعاء ونجران وعبدان)

ب- **ملكاثيون.**

ج- **نساطرة** (المذهب المسيحي النسطوري: وهو مذهب توحيدي يتمثل في عبادة الله الرحمن ذي له السماء والأرض، وليس فيه تأليه المسيح).

فحين قدم سفير رسول الله ﷺ إلى نجران سلّم كتابه المبارك إلى أسقف نجران، فقرأ ذلك الكتاب بعناية ودقة متناهية، قال اليعقوبي كان نصه: {بسم الله، من محمد رسول الله إلى أسقفه نجران: بسم الله فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، أما بعد ذلك فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية وأن أبيتم آذنتكم بحرب والسلام} ثم شكّل جماعة للمشاورة وتداول الأمر واتخاذ القرار مكوَّنة من الشخصيات البارزة الدينية وغير الدينية، وكان أحدُ أعضاء هذه المجموعة «شرحبيل» الذي عُرف بعقله ونُبله، وتدبيره وحكمته، فقال في معرض الإجابة على استشارة الأسقف إياه: قد علمتُ ما وعَد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوّة، فما يؤمِنُك أن يكون هذا الرجلُ، ليس لي في النبوة رأي، لو كان أمر من أمور الدنيا أشرتُ عليك فيه وجَهدتُ لك.

فقرر المتشاورون أن يبعثوا وفداً إلى المدينة للتباحث مع رسول الله ﷺ، ودراسة دلائل نبوته، فاختير لهذه المهمة ستون شخصاً من أعلم أهل نجران وأعقلهم، وكان على رأسهم ثلاثة أشخاص من أساقفتهم هم:

{**الأسقف**}: أبو حارثة بن علقمة البكري أسقف نجران الأعظم والممثل الرسمي للكنائس الروميّة في الحجاز[1].

---

(١) الأسقُف معرب كلمة يونانية هي إيسكوب وتعني الرقيب والمناظر وهو اليوم منصب أعلى من منصب القسيس.

{العاقب}: عبد المسيح بن دارس الكندي رئيس وفد نجران المعروف بعقله ودهائه، وتدبيره[1].

{السيد}: الأيهم هو صاحب رحلهم وكان من ذوي السن ومن الشخصيات المحترمة عند أهل نجران[2].

وشمل الوفد {أوس، الحارث، زيد، قيس، يزيد، نبيه، خويلد، عمرو، خالد، عبد الله، يحنس}[3] أغلبهم من بني الحارث بن كعب ومن قبائل أخرى تسكن نجران مثل بني الأفعى[4].

قدمَ هذا الوفد المسيحيُّ المدينة ودخلُوا المسجد على رسول الله ﷺ وهم يلبسون أزياءهم الكنسيَّة ويرتدون الديباج والحرير، ويلبسون خواتيم الذهب ويحملون الصلبان في أعناقهم، فأزعج منظرُهم هذا وخاصة في المسجد رسول الله ﷺ فشعروا بانزعاج النبي ولكنّهم لم يعرفوا سبب ذلك، فسألوا «عثمان بن عفان» و«عبد الرحمن بن عوف» وكانت بينهم صداقة قديمة، فقال الرجلان لعلي بن أبي طالب: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟

قال: أرى أن يضَعوا حُللَهم هذه وخواتيمهم ثم يعودون إليه.

ففعلوا ذلك ثم دخلوا على النبي ﷺ فسلّموا عليه فرد عليهم السَّلام، واحترمهم، وقبلَ بعض هداياهم التي أهدوها إليه ﷺ، ثم إن الوفد - قبل أن يبدأوا مفاوضاهم مع النبي ﷺ قالوا: إن وقت صلاقم قد حان واستأذنوه في أدائها، فأراد الناسُ منعهم ولكن رسول الله ﷺ أذن لهم وقال للمسلمين: دعوهم فاستقبلوا المشرق، فصلّوا صلاقم[5].

---

(١) ذكر الياقوت الحموي في معجم البلدان: ج ٥، ص ٢٦٦-٢٧٧ علل اعتناقهم للمسيحية.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٢٨٥.

(٣) ابن هشام السيرة النبوية، الجزء الأول، ص ١٦٠؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٦٦.

(٤) كان بنو الأفعى من سكان نجران قبل حلول بني الحارث بن كعب فيها. إلى أفعى نجران مضى أولاد معد بن عدنان وهم مضر وإياد وأنمار وربيعة ليحكم بينهم في قسمة ميراث أبيهم، وهي قصة مشهورة.
انظر الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٣٢١.

(٥) السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٢١٢.

مفاوضاتُ وَفد نجران مع النبي

لقد نقَل طائفة من كتّاب السيرة، والمحدثين الإسلاميين نصَّ الحوار الذي دار بين وفد نجران المسيحي ورسول الله ﷺ، ولكن ابن طاووس نقل نص هذا الحوار وقضية المباهلة بنحو أدقّ وأكثر تفصيلاً ممّا ذكره الآخرون من المحدثين والمؤرخين.

فقد ذكر جميع خصوصيات المباهلة من البداية إلى النهاية نقلاً عن كتاب المباهلة لمحمد بن المطلب الشيباني[1]. وكتاب عمل ذي الحجة للحسن بن إسماعيل[2]، غير أن نقل جميع تفاصيل هذه الواقعة التاريخية الكبرى التي قصّر حتى في الإشارة إليها إشارة عابرة بعض أصحاب السيَر أمر خارج عن نطاق هذا الكتاب، ولهذا فإننا نكتفي بنقل جانب من هذا الحوار الذي نقله رواه الحلبي في سيرته[3].

عرض رسول الله ﷺ على وفد نجران وتلا عليهم القرآن، فامتنعوا وقالوا: قد كنّا مُسلمين قبلك.

فقال رسول الله ﷺ: كَذِبتُم، يمنعكم من الإسلام ثلاثٌ: عبادتكم الصليب، وأكلكم لحمَ الخنزير، وزعمُكُم أنّ لله ولداً.

فقالوا: المسيح هو الله لأنه أحيا الموتى، وأخبر عن الغيوب، وأبرأ من الأدواء كلّها، وخلَق من الطين طيراً.

فقال النبي ﷺ هو عبد الله وكلِمته ألقاها إلى مريم.

فقال أحدُهم: المسيح ابن الله لأنّه لا أبَ له.

فسكتَ رسولُ الله ﷺ عنهم فنزل الوحيُ بقوله تعالى: **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ...﴾**[4].

---

(١) هو محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن عبيد الله بن البهلول بن همام بن المطلب المولود عام ٢٩٧ هجري والمتوفى عام ٣٨٧ هجري.

(٢) من أراد الوقوف على خصوصيات هذه الواقعة التاريخية فليراجع كتاب الإقبال للمرحوم السيد ابن طاووس، ص ٤٩٦-٥١٣.

(٣) السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٢٣٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

فقال وفد نجران: إنا لا نـــزدادُ منكَ في أمر صاحبنا إلا تباُيناً، وهذا الأمـــر الذي لا نقرّه لك، فهلمَّ فلنلاعنك أيّنـــا أولى بـــالحق فنجعـــل لعنـــة الله علـــى الكاذبين[1].

فأنـــزلَ الله عزّ وجلّ آية المباهلة على رسول الله ﷺ: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَـــاءَنَا وَنِسَـــاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[2].

فدعاهُم إلى المباهلة، فقبلوا، واتفق الطرفان على أن يقوما بالمباهلة في اليـــوم اللاحق.

خروجُ النبي للمباهلة

تُعتبر قصة مباهلة رسول الله ﷺ مع وفد نجـــران مـــن حـــوادث التـــاريخ الإسلاميّ المثيرة والجميلة، وهي وإن قصّر بعض المفسّرين والمـــؤرخين في روايـــة تفاصيلها، وتحليلها، إلا أنَّ ثلة كبيرة، مِن العلماء كالزمخشـــري في الكشـــاف[3] والإمام الفخر الرازي في تفسيره[4] وابن الأثير في الكامل[5] أعطوا حق الكلام في هذا المجال وها نحن ننقل هنا نصَّ ما كتبَه الزمخشريُ في هذا المجال:

حان وقت المباهلة... وكان النبـــي ﷺ ووفد نجران قد اتفقا على أن يُجريا المباهلة خارج المدينة، في الصحراء... فاختار رسول الله ﷺ من المسلمين ومـــن عشيرته وأهله أربعة أشخاص فقط وقد اشترك هؤلاء في هذه المباهلة دون غيرهم، وهؤلاء الأربعة لم يكونوا سوى علي بن أبـــي طالب عليه السلام وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ والحسن والحسين لأنه لم يكن بين المسلمين من هُوَ أطهر من هؤلاء نفوساً، ولا أقوى وأعمق إيماناً.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٣٢٠. ولكن آية المباهلة، وكما يستفاد من السيرة الحلبية تفيـــد أن النبـــي هو الذي اقترح المباهلة ابتداء كما تفيدُ عبارة (تعالوا ندع أبناءنا...).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٣) ج ١، ص ٣٨٢ و٣٨٣.

(٤) مفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٤٧١ و٤٧٢.

(٥) ج ٢، ص ١١٢.

طوى رسولُ الله ﷺ المسافة بين منـــزله، وبين المنطقة التي تقرر التباهلُ فيها في هيئة خاصة مثيرة، فقد غدا محتضناً الحسين[1] آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشـــي خلفَه وعلي خلفَها، وهو يقول: إذا دعوتُ فأمِّنوا.

كان زعماء وفد نجران ورؤساؤهم قد قال بعضهم لبعض - قبل أن يغدو رسول الله ﷺ إلى المباهلة: انظروا محمَّداً في غد، فإن غدا بولده وأهله فاحذَروا مباهلته، وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه ليس على شيء. وهم يقصدون أن النبـــي إذا جـــاء إلى ساحة المباهلة محفوفاً بأُبهة مادية، وقوة ظاهرية، تحفُّ به قادة جيشه وجنـــوده فـــذلك دليل على عدم صدقه، وإذا أتى بوُلده وأبنائه بعيداً عن أيّة مظاهر مادية وتوجه إلى الله بهم وتضرع إلى جنابه كما يفعل الأنبياء دلّ ذلك على صدقه لأنّ ذلك أكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه، حيث استجرأ على تعريض أعزته، وأفـــلاذ كبـــده، وأحبَّ الناس إليه لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه له، وعلى ثقته بكذب خصمه.

وفيما كان رجال الوفد يتحادثون في هذه الأمور إذ طلـــع رســـولُ الله ﷺ والأغصانُ الأربعة من شجرته المباركة بوجوه روحانية نيّرة فأَخذ ينظر بعضهم إلى بعض بتعجب ودهشة، كيف خرج رسول الله ﷺ بابنته الوحيدة، وأفلاذ كبـــده وكبدها المعصومين للمباهلة، فأدركوا أن النبـــي ﷺ واثق من نفســـه ودعوتـــه وثوقاً عميقاً، إذ إن المتردد غير الواثق بدعوته لا يخاطر بأحبائه وأعزته ويعرّضـــهم للبلاء السماوي.

ولهذا قال أسقف نجران: يا معشر النصارى إني لأرى وُجُوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتُهْلَكوا، ولا يبقى على وجـــه الأرض نصراني إلى يوم القيامة[2].

---

(١) جاء في بعض الروايات أن النبـــي غدا آخذاً بيد الحسن والحسين تتبعه فاطمة وبين يديه علـــيّ (بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٣٣٨).

(٢) يروي العالم الشيعي الكبير السيد ابن طاووس في كتاب «الإقبال»: أقبلَ الناسُ من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار، وغيرهم من الناس في قبائلهم وشعاراتهم من راياتهم وأحسن شاراتهم وهيئتهم... ولبث رسول الله ﷺ في حجرته حتى متع النهار ثم خرج آخذاً بيد علي والحســـن والحسين أمامه، وفاطمة عليها السَّلام من خلفهم فأقبل بهم حتى أتى الشجرتين فوقف بينـــهما من تحت الكساء على مثل الهيئة التي خرج بها من حجرته، ثم أرسل إلى وفد نجران ليباهلهم.

انصراف وَفد نجران عن المباهلة

لما رأى وفد نجران هذا الأمر (وهو خروج النبـي بأحبَّته وأعزته) وسمعوا ما قاله أسقفُ نجران تشاوروا فيما بينهم ثم اتفقوا على عدم مباهلة النبـي ﷺ، معلنين عن استعدادهم لدفع الجزية للنبـي كل سنة، لتقوم الحكومة الإسلامية في المقابل بالدفاع عن أنفسهم وأموالهم، فقبل النبـي ﷺ بذلك، وتقرَّر أن يتمتع نصارى نجران بسلسلة من الحقوق في ظل الحكومة الإسلامية لقاء مبالغ ضئيلة يدفعونها سنوياً، ثم قال النبـي ﷺ: (أما والّذي نفسي بيده لقد تَدلّى العذابُ على أهل نجران، ولو لاعَنُوني لَمُسِخُوا قردة وخنازير ولأضرم الواديُ عليهم ناراً ولاستأصل اللّه تعالى نجران وأهله).

عن عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ خرج (أي يوم المباهلة) وعليه مرط[1] مرجَّل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمة، ثم عليّ، ثم قال: ﴿... **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[2].

ثم يقول الزمخشري في نهاية هذا الكلام: وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السَّلام، وفيه برهان على صحة نبوة النبـي ﷺ.

صورةُ العهد النبويّ لأهل نجران

سأل وفد نجران النبيَّ ﷺ أن يكتب مقدار الجزية التي اتفق على دفعها من قِبَل أهالي نجران إلى النبـي ﷺ في كتاب، وأن يضمن النبيُّ ﷺ أمن نجران في ذلك الكتاب، فكتب أمير المؤمنين عليّ بن أبـي طالب بأمر النبـي كتاباً هذا نصه:

{بسم اللّه الرحمن الرحيم. هذا ما كتبَ النبيُّ محمَّد رسولُ الله لنجران وحاشيتها، إذ كان لهُ عليهم حِكمَة في كل ثَمرة وصفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فأفضل عليهم وترك ذلك لهم: ألفي حلة من حلل الأواقي[3] في كل رجب ألف

---

(١) كساء.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٣) الأواقي: جمع الأوقية، والأوقية وزن يعادل وزن أربعين درهماً (أي ثمانون ألف درهم في العام وهو مبلغ مهم وكبير في ذلك الوقت).

حلة، وفي كل صفر ألف حلة، كل حلة أُوقية، وما زادت حلل الخراج أو نقصت عن الأواقي فبالحساب، وما نقصوا من درع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بالحساب، وعليهم في كل حرب كانت باليمن ثلاثون درعاً، وثلاثون فرساً، وثلاثون بعيراً عارية مضمونة لهم بذلك، وعلى أهل نجران مثواة رسلي (واستضافتهم) شهراً فدونَه، ولهم بذلك جوارُ الله وذمة محمَّد النبي رسول الله على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وبيعهم ورهبانيتهم على أن لا يعشّروا ولا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به فَمن أكل الربا منهم بعد ذلك فَذِمَّتي منهُ بريئة}[1]. شهد على ذلك عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وكتب علي بن أبي طالب[2].

تأريخ المباهلة عاماً وشهراً ويوماً

إن حادثة المباهلة من قضايا التاريخ الإسلامي المعروفة المتواترة التي جاء ذكرها في كتب التفسير، والتاريخ والحديث بصورة مبسوطة ومفصَّلة لمناسبة وأُخرى، واختلف المفسرين والمؤرخين في موعد المباهلة ولكن أجمع عدد منهم على أنه بين الحادي والعشرون أو الرابع والعشرون أو الخامس والعشرون أو السابع والعشرون من شهر ذو الحجة من السنة العاشرة من الهجرة وقيل السنة التاسعة من الهجرة، وأرى أن هذه التواريخ لا تزال تحتاج إلى مزيد من التمحيص والتدقيق وربطها بالأحداث المؤكدة باليوم والشهر والسنة، لكن المؤكد أن الجزء الأكبر من سورة آل عمران نزلت في نصارى نجران.

---

(١) فتوح البلدان، ص ٧٦؛ إمتاع الأسماع، ص ٥٠٢؛ وأعلام الورى، ص ٧٨ و٧٩. انظر لارشاد، ١: ١٦٧-١٦٩، وهو المصدر الوحيد لنصّ المعاهدة.

(٢) بلاذري، فتوح البلدان، ص ٧٤-٧١، ترجمه فارسي، ص ٩٣-١٠٠.
تاريخ اليعقوبي ٢: ٨٣، وقال محمد بن سعد في الطبقات ١: ٢٦٦، وفي ط١، ق ٢: ٢١؛ كتب المغيرة (ابن شعبة الثقفي) بلا إشهاد، وتبعه ابن القيم الجوزية في زاد المعاد ٣: ٤١. وفي الخراج لأبي يوسف، ٧٢؛ وفي ط٧٨: كتبه عبد الله بن أبي بكر. وفي الأموال لأبي عُبيد، ٢٧٢ نقل الكتاب عن أبي المُليح وقال: شهد بذلك عثمان بن عفان، ومُعيقب، وكتب. ثم نقله عن عروة بن الزبير، ٢٧٥، ولم يذكر الكاتب وزاد في الإشهاد: أبا سفيان، والأقرع بن حابس الحنظلي التميمي، ومالك بن عوف النصري، وغيلان بن عمرو.

القبائل التي استوطنت نجران:

تعدّ نجران موطناً للعديد من القبائل والتي استوطنت فيه ومن تلك القبائل:

١- جرهم وهي أقدمها[١].

٢- قبائل قحطان.

٣- حمير.

٤- بنو مذحج[٢] ومنهم أ- سعد العشيرة، ب- زبيد، ج- النخع، د- بنو صداء، هـ- الحارث بن كعب، و- أود.

وكان نصيب الحارث بن كعب أن سكنت نجران وأصبح بنو الحارث حكامها وقد شاركهم عدد من القبائل مثل قبلية جرهم[٣] ويعد بني جرهم أقدم من بني الحارث، حيث هاجر عدد من القبائل إلى نجران بعد سيل العرم مثل:

أ- الأزد: وتحاربوا هم والمذحجين وتم طردهم من نجران وتبقّى منهم بني ذهل واستقروا في نجران ومنهم أسقف نجران إيليا[٤].

ب- حارثة وعشيرته: وهم من بني الأزد[٥] وشاركوا المذحجين في الحكم.

٥- سعد العشيرة.

٦- كهلان.

٧- فروع مذحج من همدان ويام.

٨- جرم من قضاعة[٦].

وقد كان هذا الخليط من القبائل يخضع لسلطة وسيادة بني الحارث بن كعب.

---

(١) تاريخ الطبري، ٣٠٦/٢.

(٢) حركة الشعر في نجران في الجاهلية وصدر الإسلام، فائزة العتيبي، ص ٣٦.

(٣) تاريخ الطبري، ٢٩٥/٢.

(٤) جمهرة النسب، للكلبي، ص ٦٣؛ وجمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص ٣٣٦.

(٥) تاريخ ابن خلدون، ٣٠٦/٢.

(٦) معجم ما استعجم، البكري، ٣٢/١-٤٣.

ومن المهم أن نبيّن أهم قبائل بني الحارث بن كعب ومنهم[1]:

- بنو الحماس
- النجاشي
- بن وقنان بن سلمة
- زعبل
- مزاحم بن كعب والذي ينسب لهم يغوث بن صلاة
- بنو الضبيان
- بنو المعقل بن كعب ومنهم المرائد ومنهم بنو عبد المدان بن الديان (بيت مذحج وعمادها)[2].

وهم من كانت له سلطة حكم نجران حتى المائة السادسة، ومنهم عبد القيس بن أبي جواد، حيث كان لهذه الأسرة دور بارز في الحركة الأدبية والشعرية (انظر ملحق الصور شكل ٦، ٧).

---

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربه، ٣٩٩/٣.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٤٠.

الفصل الخامس

- ديانات نجران قديما
- عبادات أهل نجران
- كعبة نجران

ديانات نجران قديماً

لم يكن سكان الجزيرة العربيّة جميعهم على دينٍ واحد إبّان ظهور الإسلام، فكانت الديانة الغالبة آنذاك هي عبادة الأصنام، كما كان هناك أتباع ديانات أخرى كالمسيحيّة واليهوديّة والحنيفيّة والمانويّة والصابئة، يقطنون في بقاع شتّى من الجزيرة.

ومن الثابت تاريخياً أن الوطن العربي هو مهد التوحيد، وأن الديانات التوحيدية الثلاث: اليهودية والنصرانية والإسلام بالطبع ديانات عربية، وكل رسلها وأنبيائها من العرب. فالأمة العربية هي أمة الإسلام كما هي أمة اليهودية وأمة النصرانية على السواء، أي أن الأمة العربية هي حاضنة هذه الديانات التوحيدية الثلاث ومنبعها. من المفيد هنا فيما يتعلق بالديانات العربية الإشارة إلى عالمية التفكير وشموله، وكذلك إلى المبادئ الأساسية، التي تجمع هذه الديانات العربية وتميّزها عن غيرها من ديانات العالم، ولم يَسْلَم أيّ من تلك الأديان من التشويش والتحريف اللّذين طرآ عليها عبر الزمن، فانطوت على كثير من المغالطات والتضليل فنفرت النفوس منها.

وفيما يلي شرحٌ موجزٌ عن الأديان المعروفة والمتَّبعة في الجزيرة العربية آنذاك:

الموحّدون

الموحّدون أو الحنفاء، هم الذين كانوا يرفضون عبادة الأصنام، ويُؤمنون بوحدانية الله تعالى، وأحياناً بالبعث والحساب ويوم القيامة، وكان قسمٌ من هذه الجماعة من أتباع الديانة المسيحيّة، ومنهم: ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وقُسّ بن ساعدة الأياديّ، وزهير بن أبي سلمى...

ونـــزوع هؤلاء الأشخاص إلى التوحيد يرجع إلى سلامة فطرتهم، والفـــراغ الدينيّ في ذلك المجتمع، وفقدان الديانتين المسيحيّة واليهوديّة لأصـــالتهما وعـــدم قدرتهما على بثّ السكينة في النفوس، ولذلك كان الموحِّدون يبحثون عن الديانة الحقّة، ويقطعون المسافات للقاء علماء من النصارى واليهود، للتحقُّق منهم حول العلامات الواردة في الكتب السماويّة عن بعثة رسول الإسلام ﷺ. وغالبـــاً مـــا كانوا يَصِلون إلى نتيجة مفيدة.

المسيحيّة

انتشرت المسيحيّة في بعض أجزاء جزيرة العرب، ففي الجنوب عـــن طريـــق الحبشة، وفي الشمال عن طريق سورية، وشبه جزيرة سيناء، إلاّ أنّهـــا لم تجتـــذب إليها أنصاراً كُثُر، وكان من هؤلاء النصارى: قيس بن ساعدة، وحنظلة الطـــائي، وأُميّة بن أبـــي الصلت.

وتغلغلت المسيحيّة في اليمن منذ القرن الرابع الميلاديّ. وعند ظهور الإسلام كانت بعض أحياء العرب في اليمن على دين النصرانيّة. وأهمّ مواطن النصرانيّة في جزيرة العرب كان نجران، وهي مدينة خصبة عامرة بالسكان والتجارة.

وبقيت النصرانيّة رائجة في اليمن إلى أن حَكَـــمَ ذو نـــوّاس أرض الـــيمن، فوقع بالنصارى وقتلهم إرغاماً لهم على ترك دينهم، وعندما رأى ثباتهم أحـــرقهم في أخدود نارٍ حفره لهم. وقد استنجد النصارى بالحبشـــة فأنجـــدوهم، وغـــزوا بلاد العرب سنة ٥٢٥م، وهزموا ذا نوّاس، وعاد المســـيحيّون إلى الحُكـــم مـــن جديد.

وكذلك انتشرت المسيحيّة في الحِيرة قرب الكوفة، بواسطة أسرى الحـــرب الرومانيّين... وأهمّ دليل يشهد على وجود هذا الدين في زمن نـــزول القـــرآن في جزيرة العرب، هو مباهلة رسول الله ﷺ قساوسة وفد نجران.

اليهوديّة(*)

انتشرت اليهوديّة في جزيرة العرب قبل ظهور الإسلام لا سيّما في اليمن، وخيبر ويثرب، حيث بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع. وكان لليهود وزنهم السياسيّ والعسكريّ والاقتصاديّ، واستطاعوا أن يستهلكوا من الدولة الإسلاميّة فيما يُقارب سبع سنوات من الحروب والغزوات، حتّى استطاع الإسلام أن يقضي عليهم سياسيًّا وعسكريًّا. وقد كان اليهود هم المحرِّضين الفعليين للمشركين على حرب رسول الله ﷺ، وهم المتآمرين الأكثر خبثاً ودهاءً مع الفرس على الدولة الإسلاميّة وعقيدتها.

لقد كان اليهود يعتبرون أنفسهم شعبَ الله المختار، وأنّهم القادة الذين رشّحهم الله تعالى لقيادة البشريّة، ولذلك كانوا يَرَون بعثة الرسول ﷺ من العرب - لا من بني إسرائيل - انتزاعاً للقيادة من أيديهم وتسليمها لغيرهم، ولذلك كانت عداوتهم عنيفة، وكان حقدهم شديداً.

نشر اليهود في جزيرة العرب تعاليم التوراة (المُحرَّفة) وما جاء فيها حتّى تهوّد كثيرٌ من قبائل اليمن. ومن أشهر المتهوِّدين ذو نوّاس - ملك اليمن - وقد اشتُهر بتحمُّسه لليهوديّة واضطهاده لنصارى نجران، وإعلانه اليهوديّة ديناً رسميًّا.

واختلف يهود الجزيرة العربية عن بقية يهود الشرق العربي القديم وحوض البحر المتوسط، في أنهم اقتصروا على التاناخ، أي العهد القديم، ولم يأخذوا بالتلمود، سواء البابلي أو الأورشليمي، رغم أن التلمودين المذكورين تم الانتهاء منهما قبل ظهور الإسلام بوقت طويل يكفي لوصولهما إليهم، خاصة أن سكان الجزيرة العربية لم يكونوا معزولين عن العالم، نتيجة مرور طرق التجارة العالمية

(*) التوراة أو (التورة) كلمة عبرية معناها الهداية والإرشاد، ويقصد بها الأسفار الخمسة (التكوين والخروج واللاويون والعدد والتثنية) والتي تنسب إلى موسى عليه السلام وهي جزء من العهد القديم والذي يطلق عليه تجاوزاً التوراة من باب إطلاق الجزء على الكل، وتحدث التوراة في كثير من أجزائها عن العرب وعلاقتهم بالإسرائيليين وخصوصاً من جانب الأماكن والقبائل العربية ذات العلاقة باليهود الاقتصادية، وللمزيد يمكن الرجوع إلى كتاب معالم تاريخ العرب قبل الإسلام، د. أحمد عليم سليم، مكتب كريدية أخوان، بيروت.

بأرضهم وفي البحار المحيطة بجزيرتهم. لهذا فمن الممكن أن نعدّهم أقرب لليهودية في صورتها الأولى منهم لليهودية الحديثة التي يعتنقها أغلب يهود اليوم والتي تقوم على التاناخ، أي العهد القديم، مع التلمود. وأقرب الطوائف اليهودية الحالية إلى يهود الجزيرة العربية الأقدمين، هي طائفة اليهود القراؤون. أما حالياً فإن يهود الجزيرة العربية في اليمن والبحرين من اليهود الربانيين الذين يأخذون بالتلمود مع التاناخ. ويلاحظ أن يهود أثيوبيا المعروفين بالفلاشا، أيضاً لا يأخذون بالتلمود وإلى اليوم، ولا شك في أن اليهودية انتقلت لأثيوبيا قادمة من اليمن، لكن يهود الفلاشا حافظوا على طبيعة عقيدتهم بخلاف يهود اليمن الذين تحولوا إلى اليهودية الربانية التي تأخذ بالتلمود مع التاناخ.

ذكر ابن قتيبة في حديثه عن أديان العرب في الجاهلية: أن اليهودية كانت في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة وبعض قضاعة. وذكر نفس الأمر ابن حزم الأندلسي الظاهري في جمهرة أنساب العرب عند حديثة عن نفس الموضوع، وبالمثل ياقوت الحموي في معجمه.

الوثنيّة

كانت الوثنيّة منتشرة في جميع أنحاء الجزيرة العربيّة، فكادت تُعتبر الديانة الأكثر اتباعاً وانتشاراً فيها، وهنا لا بدّ من ذكر النقاط التالية:

١- نشأة الوثنيّة: يُنقل أنّ أوّل من أدخل عبادة الأصنام إلى مكّة عمرو بن لُحيّ الخُزاعي، الذي أُصيب بمرض الحكّة في جلده، فَوُصِفَ له الاغتسال بماء حارّة في بلاد حوران، فذهب واغتسل بها فشفاه الله، ووجد الناس هناك يعبدون الأصنام، فحمل معه صنماً فنصبه في الكعبة الشريفة، وقيل غير ذلك.

٢- أصنام العرب: من أصنامهم مناة، اللاّت، العُزّى، هُبل (وهو الذي جاء به عمرو بن لُحيّ)، إساف ونائلة، ودّ، يغوث، يعوق، نَسر...

٣- إيمان الوثنيّين بالله تعالى: كان الوثنيّون يؤمنون بالله العليّ الأعلى، وأنّه هو الخالق البارئ المصوّر، وقد حكى القرآن الكريم إيمانهم هذا بقوله

تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّـهُ...﴾ الحالة الدينيّة في الجزيرة العربيّة.

وهم لا يعبدون هذه الأصنام إلاّ لتكون وسيلتهم إلى الله، كما قال تعالى على لسانهم ﴿... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى...﴾، وبذلك وقعوا في مفارقات غريبة لا يقبلها عقل، ولا يُقرُّ بها منطق.

الصابئة

ظهرت هذه الديانة في عهد حكم طهمورث، ومؤسّس هذه الديانة وقيل عنهم بأنّهم أُناسٌ يوحّدون الله ويُنـزِّهونه عن القبائح ويصفونه بالسلب لا بالإيجاب، كقولهم: لا يُحدّ ولا يُرى ولا يَظلم ولا يجور، وينسبون التدبير إلى الفلك وأجرامه، ويقولون بحياتها ونطقها وسمعها وبصرها، وكانت لهم هياكل وأصنام بأسماء الشمس معلومة الأشكال؛ مثل هيكل بعلبكّ لصنم الشمس، وهياكل في حرّان منسوبة إلى القمر. وقد آلت هذه الديانة في عصرنا إلى الانقراض.

هذا بالإضافة إلى الديانة المانويّة والزردشتية التي تُقدِّس النار (المجوسيّة) والمزدكية. وقال بعضٌ: بأنّ هذه الديانات لم تكن منتشرة في الجزيرة العربيّة باستثناء المانويّة.

كما وكان قسم من أهالي الجزيرة العربيّة يعبدون الجنّ والملائكة والنخلة.

عبادات أهل نجران

وهنا سأستعرض عبادات أهل نجران خلال الحقب الزمنية التي سبقت الإسلام.

كان المعتقد السائد في نجران كما في غيرها من بلدان الجزيرة العربية، في حدود ما نعرف، هو عبادة الأصنام. ومن أقدم الأصنام:

١ – ذو سماوي.

٢ – يغوث(*).

عبد قسم من (بني الحارث بن كعب) الصنم (يغوث)[١]، وهو مشتق من الإغاثة[٢] أو ربما يشير اسمه إلى أرواح حافظة[٣]. وورد ذكره في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[٤].

وحدث نزاع قبلي على الصنم يغوث، إذ ذكر (ابن حبيب) أنه كان في (أنعم – من قبيلةمراد –) فقاتلتهم عليه (غطيف – من قبيلة مراد –) حتى هربوا به إلى نجران، فأقروه عند بني النار من قبيلة الحارث بن كعب، واجتمعوا عليه جميعاً[٥]. وفي رواية أخرى سجلها (ياقوت الحموي) أن الصنم يغوث بقي في (أنعم وأعلى) من قبيلة مراد إلى أن اجتمعت وقالوا: ما بال إلهنا لا يكون عند أعزنا وأشرفنا وذوي العدد منا! وأرادوا أن ينتزعوه من (أعلى وأنعم) ويضعوه في أشرافهم، فبلغ ذلك من أمرهم إلى (أعلى وأنعم) فحملوا الصنم يغوث وهربوا به، حتى وضعوه عند (بني الحارث بن كعب)، ووافق ذلك أن قبيلة مراد كانت في صراع مع بني الحارث بن كعب، وطالبت (مراد) (بني الحارث بن كعب) تسليم الصنم يغوث وتسوية أمر الديات، فاضطرت مراد إلى أن تقاتل بني الحارث التي استنجدت بقبائل همدان، فدارت بينهما وقعة الرزم (يوم الرزم)[٦] تسميته جاءت من الموضع الذي اقتتلوا فيه في مواطن قبيلة مراد، الذي وافق حدوثه معركة بدر

---

* يغوث اسم مشتق من الغوث أو النجدة وهو يشبه اسم الإله العبري يعوش، استقر عند بني النار من الضباب من بني الحارث بن كعب، وكان من سدنته: العوامل بن جهيل الهمداني المسلمي.

(١) اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، ص ٨١.

(٢) ينظر: تفصيلات أكثر عن الصنم يغوث سعد عبود سمار، قبائل مذحج، ص ١٢٣ وما بعدها.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٣٩.

(٤) سورة نوح، الآية: ٢٣.

(٥) اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، ص ٨١.

(٦) ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ص ٦٥٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٢٩٧.

(٦٢٣م)، فهزمت (بنو الحارث) (مراد) وظل الصنم يغوث قائماً في بني الحارث[١]، ولكن يستبعد قبول هذه الرواية لأن يوم الرزم، لم تشر المصادر إلى أن سبب وقوعه هو النزاع على الصنم يغوث، إضافة إلى أن حدوثه كان قبل الإسلام[٢]. وأورد (الطبرسي) و(القرطبي) رواية حول الصراع الدائر من أجل الاحتفاظ بالصنم يغوث، مفادها أن (أنعم وأعلى) وهما من طيء، وأهل جرش من (مذحج) أخذوا يغوث فذهبوا به إلى مراد فعبدوه زمناً، ثُمَّ إن بني ناجية أرادوا أن ينتزعوه منهم، ففروا به إلى بني الحارث بن كعب[٣]. ومهما يكُن من أمر الصراع الدائر من أجل الاحتفاظ بالصنم يغوث، إلا أنه كان في بني غطيف من مراد[٤]، ونازعتهم عليه بنو الحارث بن كعب واحتفظوا به.

وأشار (ابن الكلبي) إلى أن الصنم يغوث قد حملته بني أنعم من مراد لما اتجهت لقتال غطيف، ونقل قول أحد الشعراء:

وسار بِنَا يغُوثَ إلى مراد   فَنَاجزنَاهم قَبلَ الصباح[٥]

ويفهم من هذه الإشارة أنهم حملوه لاعتقادهم أنه سيمدهم بالنصر، وهم في صراعهم من أجل الاحتفاظ به، مما يزيدهم إصرارًا على كسب المعركة لصالحهم. ولا نرجح ما ذهب إليه (د. محمد عبد المعيد خان) في ذكره لأسطورة متأخرة بأن العربي رأى الإله يغوث يدافع عن (قبيلته في ساحة القتال، استناداً إلى اعتقاده أن الطوطم يدافع عن قبيلته في ساحة القتال[٦] لأن الصنم يغوث لم يكن طوطماً، كما أن العرب لم يعتقدوا أنهم ينحدرون من الحيوانات. وينفرد (ابن حبيب) فيما

---

(١) معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٣٩.

(٢) ينظر: ابن هشام، السيرة، ج ٤، ص ١٦٨- ١٦٩؛ الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ١٣٤؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٥، ص ٢٠٣؛ البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ص ٦٥٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٢٩٧-٣٠٩، ١٢٥؛ مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٦٤؛ الجامع لأحكام القرآن، ج ١٨.

(٣) الطبري، جامع البيان، ج ٢٩، ص ١٦٢.

(٤) الأصنام، ص ١.

(٥) الأساطير والخرافات عند العرب، ص ٩١.

(٦) ذو الخلصة: مروة - الحجارة - بيضاء منقوشة، عليها كهيأة التاج، ينظر: ابن الكلبي، الأصنام، ص ٣٤-٣٥.

ذكره بأن الصنم (ذو الخلصة)[1] كانت تعبده بنو الحارث بن كعب[2]. ويستبعد ذلك لأن (ذو الخلصة) كان يعبد خارج مواطن (الحارث بن كعب) في تبالة، بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليالٍ من مكة[3] إضافة إلى ديانتهم الوثنية، فقد شاعت بينهم الديانة النصرانية بقول (الجاحظ): (إن أكثر بني الحارث بن كعب قد تنصّر، وبهذا خالفوا دين المشركين من العرب)[4]؛ ومن الشواهد على تنصّر (بني الحارث) ما ذكره (قدامه بن جعفر) حول أخذ النبي من أهالي نجران الجزية وهم من (بني الحارث بن كعب) لأنهم نصارى من أهل الكتاب[5] الذي كانت تعبده مَذْحِج ومن والاها فقاتلتهم عليه بنو عُطَيف حتى هربوا به إلى نجران فأقروه عند بني النار من الضباب فاجتمعوا عليه. ويبدو أن صنم "يغوث" يُعبد في جنوب الجزيرة وشمالها فهل لكل من أهل الجنوب وأهل الشمال صنمه؟ و لم يذكر أن أهل الشمال كانوا يفدون إلى نجران لممارسة طقوس زيارة "يغوث". وكان له مكانة رفيعة جداً في معتقد أهل نجران والدليل على ذلك كثرة من يحملون اسم "عبد يغوث". وكانت للعرب حجارة منصوبة يطوفون بها ويَعْتِرون عندها، يسمونها الأنصاب، ويسمون الطواف بها الدَّوَار، وفي ذلك يقول عمرو بن جابر الحارثي ثم الكعبي:

حَلَفتْ عُطَيفٌ لا تُنَهْنِهُ سِرْبَها وحلفتُ بالأنصابِ أن لا يُرْعِدوا[6]

٣- المدان:

وبه سمي عبد المدان وهو أبو قبيلة من بني الحارث، وعبد المدان اسمه عمرو، وعبد الله ابنه كان يسمى عبد الحجر، ذكر ذلك ابن دريد والزبيدي والأستاذ أحمد زكي محقق كتاب الأصنام عند العرب.

---

(١) المحبر، ص ٣١٧.
(٢) ابن الكلبي، الأصنام، ص ٣٤.
(٣) الحيوان، ج ٧، ص ٢١٦.
(٤) الخراج وصناعة الكتابة، ص ٢٢٤
(٥) أبو فرج الأصفهاني، المصدر السابق، ج ١٢، ص ١١. وينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٦٨.
(٦) ابن الكلبي ص ٤٢.

٤- نسر:

كان لحمير، بنجران.

٥- ذو الخلصة:

كان لبجيلة، وخثعم، والحارث بن كعب، وجرم، وزبيد، والغوث بن مر بن أد، وبني هلال بن عامر. وكان بين مكة واليمن.

٦- معبد الشمس:

ذكره فلبـــي في كتابه نجود الجزيرة العربية يبعد حوالي ٨ أميال عن الحصينية (انظر الملحق للتعرف على الصورة والمكان).

٧- عبادة الكواكب:

إله ألمقه وتالب وريام، ومرفق صورة ومخطـــط لمعبـــد الشـــمس في المنقـــع بنجران.

٨- كعبة نجران:

بنى (بنو الحارث بن كعب) في نجران كعبة كبيرة لهم يعظّمونهـــا، ذكرهـــا الشاعر الأعشى "قيس بن ثعلبة" الذي كان على اتصال تام مع أساقفة نجـــران في كل سنة وذكر أسماء أصحابها الثلاثة وهم: يزيد بن عبد المدان، وعبد المسيح مـــن قبيلة الحارث بن كعب، وقيس بن معد يكرب من كِندة في شعره بقوله:

وكَعبـــةُ نَجـــران حـــتْم عليـــك حتّـــــى تنـــــيخ بأبوابِهـــــا
تـــزور يزيـــدا وعبـــد المســـيحِ وقيســـاً، هـــم خَـــير أربابهـــا
إذا الحـــبرات تلـــوت بهـــم وجـــروا أســـافل هـــداها[1]

والحبرات نوع من البرود (الأثواب) الفخمة كان يلبسها الأقيال وكبار القوم (حيث كان البرد النجراني مشهور وقد تزيّن النبـــي ﷺ ببرد نجراني).

(١) أبو الفرج الأصفهاني، المصدر نفسه، ج ١٢، ص ١١.

وكان عبد المسيح سادن الكعبة من أهل نجران[١]، وجاء وصفها عند (ابن الكلبي) على أنها لم تكن كعبة عبادة، وإنما كانت غرفة لأولئك القوم الذين ذكرهم الأعشى في شعره[٢] وفي رواية أخرى لـ (ابن الكلبي) سجّلها (أبو الفرج الأصفهاني) و(ياقوت الحموي) جاء فيها وصف مفصّل للكعبة النجرانية، إذ ذكر أنها قبة من آدم من ثلاثمائة جلد (أي ثلاثمائة من الجلد مخيطة) وكانت هذه القبة على نهر بنجران يقال له (النحيردان) وكان لهذا النهر مورد مالي يبلغ (عشرة آلاف دينار) يغطي نفقات القبة وسدنتها. ولعظمتها عندهم أطلقوا عليها كعبة نجران، إذا جاءهم الخائف أمن أو طالب حاجة قضيت أو مسترفد أرفد[٣].

ويورد (ياقوت الحموي) رواية تتحدث عن مبنى في اليمن يسمى (دير نجران) كان لآل المدان ابن الديان من (بني الحارث بن كعب)، وقد بنوه مربعاً مستوي الأضلاع والأقطار مرتفعاً من الأرض يصعد إليه بدرجة، على مثال الكعبة فكانوا يحجّون هم وطوائف من العرب ممن يحلّ الأشهر الحرام ولا يحج الكعبة، وتحجه (خثعم) قاطبة، وكان أهل ثلاثة بيوتات يتبارون في بناء البيع، وهم: آل المنذر في الحيرة، وغسان في الشام، وبنو الحارث بن كعب في نجران، وبنوا دياراتهم في المواضع النزهة الكثيرة الشجر والرياضة والغدران وجعلوا في حيطانها الفسافس، وفي سقوفها الذهب والصور، وكان (بنو الحارث بن كعب) يخرجون إليها كل يوم أحد، وفي أيام أعيادهم، وقد لبسوا الديباج المذهب والحرير، وبعدما يقضون صلاتهم ينصرفون إلى نزهتهم[٤]، ويسميها (ابن منظور) (الربة) بقوله:

"كعبة كانت بنجران لمذحج وبني الحارث بن كعب يعظّمها الناس، ودار ربة ضخمة..."[٥] ولعل من المفيد أن نقرأ مناقشة (الدكتور جواد علي) لموضوع (كعبة نجران)، إذ يرى أن رواية (ابن الكلبي) عن أصل (كعبة نجران)، إنها قبة

---

(١) الأصنام، ص ٤٥.

(٢) الأغاني، ج ١٢، ص ١١؛ معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٦٨-٢٦٩؛ معجم البلدان، ج ٢، ص ٥٣٨.

(٣) لسان العرب المحيط، ص ١٥٩٩، مادة (ربّ).

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ص ٦١٦.

(٥) في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٣٤٢-٣٤٣.

من آدم مشابهة لما نعرفه عن (خيمة يهوه) إله العبرانيين، واعتقادهم أنها خيمة مقدّسة، وبما نعرفه من خيم القبائل المقدّسة، وذلك لأنها كانت بيوتاً توضع فيها الأصنام ليتعبد بها أفراد القبيلة، فإذا ارتحلوا إلى مكان جديد نقلوا خيمتهم معهم، والظاهر أن (كعبة نجران) المذكورة إن صحت رواية (ابن الكلبي) كانت من هذا النوع، خيمة مقدّسة في الأصل وذلك قبل دخول أهل نجران في النصرانية فلما دخلوها لم تذهب عنها قدسيتها، بل حوّلوها إلى كنيسة ثم بنوا ربيعة في موضعها فيما بعد[1].

أما (الدكتور سعد زغلول) فيرى أن كعبة نجران لم تكن على غرار كعبة مكة، ويمكن أن تكون مشابهة لما كان يحدث في الحرم القريشي في مكة، ويستند إلى ما ذكره (ابن الكلبي) (إذا جاءها الخائف أمن...) ولما كان بنو الحارث بن كعب ومن لاذ بهم من القبائل يتقاتلون في السنة (٢هـ - ٦٢٣م) من أجل الاستئثار بصنمهم "يغوث"، فالذي يستنتج أن دخول النصرانية في نجران لم يمنع من بقاء عبادة الأصنام فيها، فلا بأس أن تكون كعبة نجران وثنية نصرانية[2]. ولكن من الصعب قبول احتمال أن تكون كعبة نجران (وثنية - نصرانية)، فكيف تمارس طقوس الديانة المسيحية وإلى جانبهم من يمارس عبادة الأصنام في مكان واحد؟

ويمكن أن نستخلص أن كعبة نجران كانت على شكل قبة من جلد، وظفت لغرض حشد الناس وليس للعبادة على وفق ما جاء بنص (ابن الكلبي): "إذا جاءهم الخائف أمن أو طالب حاجة قضيت أو مسترفد رفد". وكانت هذه الكعبة

---

(١) بيوتروفسكي، اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، ص ٢٥٣.
را ف، ج ١ ساب الأش بلاذري، ان ١٤١؛ ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٣٣٩؛ ابن هشام، السيرة، ج ٤، ص ١٧٧؛ ال: ص ٣٨٤.
اسنوهرب الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ١٢٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٢٩٣؛ علي بن الحسن بن أبي البلك الخزرجي.
الزبيدي، الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن في الإسلام، مخطوطة في مكتبة المجمع العلمي العراقي، برقم (٤٨ تاريخ). ورقة ٥.

(٢) ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٣٨٤؛ الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ١٢٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٢٩٣.

معظّمة عند أهالي نجران. كما يخيّل إلينا أن هناك مبنى آخر في (نجران) على هيئة (كنيسة) ذكره (ياقوت الحموي) بناه نصارى بني الحارث بن كعب لتمارس فيه الطقوس النصرانية وعثر علية أيضاً أثناء عملية التنقيب داخل القلعة الحالية المسماة بالأخدود كما أشار إلى ذلك ريكمانز.

ومما يجدر ذكره أن الكعبة النجرانية لم تذكر في القصص المتعلّقة بنشر الإسلام في اليمن، ومن المحتمل أن الخيمة النجرانية لم تكن موجودة حين وصول المسلمين[١]. كذلك فيما يخص الكنيسة النجرانية إذ لم تشر المصادر إلى أخبارها بعد ظهور الإسلام، ويعتقد بأن مكانها هو على جبل يسمى تصلال شرق منطقة نجران.

لو صحّ أن كعبة نجران تُعْبَدُ كما تُعْبَد الأصنام لصار أهل نجران يخلطون بين النصرانية والوثنية، والذي أميل إليه أن كعبة نجران ربما أنها كانت "كاتدرائية" أو كنيسة عادية، والأعشى على معرفة جيدة بالنصرانية، وبعض الدارسين يصنفه على أنه هو نفسه نصراني[٢]. ونلحظ من الشعر اسم عبد المسيح فكيف يعبد الصنم؟ ويذكر ياقوت الحموي، خلافاً لما ذكره ابن الكلبي، أن "كعبة نجران هذه بيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة للكعبة وسمّوها كعبة نجران، وكان فيها أساقفة مُعْتَمّون وهم الذين جاءوا إلى النبي ﷺ ودعاهم إلى المباهلة، ثم يضيف ياقوت معلومة نقلاً عن ابن الكلبي تخالف معلومته السابقة التي دوّنها في كتابه "الأصنام": إن كعبة نجران كانت قبة من ثلاثمائة جلد، كان إذا جاءها الخائف أمِن، أو طالب حاجة قُضَيت، أو مسترفد أُرفِد، وكانت على نهر بنجران، وكانت لعبد المسيح بن دارس بن عدي بن معقل. ولكن يستغل من ذلك النهر عشرة آلاف دينار، وكانت القبة تستغرقها. ثم كان أول من سكن نجران من بني الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جَلْد بن مالك بن أُدَد بن زيد بن يشجُب بن عريب بن زيد بن كهلان يزيد بن عبد

(١) الأعشى بن قيس، ديوانه، تحقيق حنا نصر الحتي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٦٩.

(٢) شيخو، ج.

المدان، وذلك أن عبد المسيح زوّجه ابنته دُهيمة فولدت عبد الله بن يزيد ومـــات عبد الله بن يزيد فانتقل ماله إلى يزيد فكان أول حارثي سكن نجران[1].

ونلحظ أن رواية ابن الكلبـــي الأخيرة تناقض في بعض معلوماتهـــا روايـــة ياقوت الأولى، ولعل منشأ هذا التناقض أن رواية ابن الكلبـــي هـــذه تعرضـــت لبعض الاضطراب والخلل. ويعطي ابن الكلبـــي رواية أخرى عن ديانة أهل نجران فينسب إلى يزيد بن عبد المدان الحارثي قوله: أن الديّان إذا أصبح قـــال: آمنـــت بالذي رفع هذه يعني السماء، ووضع هذه يعني الأرض، وشقّ هذه يعني أصابعه، ثم يخرّ ساجداً. ويقول: سجد وجهي للذي خلقه وهو عاشم، وما جشمني من شيء فإني جاشم، فإذا رفع رأسه قال:

إن تغفـــرِ اللـــهم فـــاغفر جَمّـــا وأي عبـــدٍ لـــك مـــا ألَمّـــا

وهذا النص يستنتج منه أن الديان كان على دين الحنيفية، إذ ليس فيه من أثر لا للنصرانية ولا للوثنية.

وكان بنو الحارث بن كعب مثل غيرهم من عرب الجاهلية يحتـــل الكهـــان منهم موضعاً مهماً، فعندما تجمعت قبيلة مذحج لغزو قبيلة بني تمـــيم استرشـــدوا برأي الكاهن المأمورِ الحارثي، فقالوا له: ما ترى؟ فسجع لهم هذه العبـــارات: لا تغزو بني تميم فإنهم يسيرون أعقاباً، ويَرِدون مياهاً جِباباً، فتكون غنيمتكم ترابـــاً. لكنهم لم يأخذوا بوصيته فساروا إلى بني تميم في شرقي الجزيرة العربيـــة فوقعـــت عليهم هزيمة منكرة على ماء الكُلاب، ومن بين رؤوس قتلاهم قائدهم الشاعر عبد يغوث بن صلاءة الحارثي والكاهن ابن لبيد الحماسي، فهل الكاهن ابن لبيد نصح قومه نصيحة مخالفة لنصيحة الكاهن المأمور الحارثي وأخذوا بها؟ لا ندري، ولكن ما يعنينا هنا هو توضيح موقع الكهانة عند عرب نجران قبل الإســـلام، ولا مجـــال لفهم النص في السياق على أن المقصود بـــ "الكاهن" رجل الدين الكنسي.

يقول جون فلبـــي (أصبح اسمه عبد الله بعد إسلامه) في وصفه لكعبة نجران حين اكتشفها:

---

(١) ياقوت بن عبد الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ج ٥، ص ٢٦٨.

{أستطيع أن أرى تل تنصب الداكن - البعض يسميه خطا جبل صله (سله) إلى البعيد في الصحراء، عند الطرف الشرقي لتصلال، ويعتبر أقصى بقعة شـــرقية للحدود اليمنية السعودية، وصلنا إلى الطرف الشرقي من تصلال بعد قيادة سريعة وجيدة لمسافة أربعة أميال عبر سهل الدرة، الذي يندمج هنا في جذيم بما عليه مـــن شجيرات خفيضة وهضبات رملية عليها شجيرات الأراك. يتخذ ســـهل جـــذيم، الذي يمتد من وادي نجران مظهراً يدل على أنه جزء لا يتجزأ من دلتـــا الأخـــير، وربما يكون هذا هو الحال. تنهي صخرة تصلال تجاه الشرق عند جدار عمـــودي ارتفاعه حوالي (١٥٠) إلى (٢٠٠) قدم ويبلغ طوله ما يربو على ربع ميل. يتجـــه الصخر إلى الخلف من عند نهايته الجنوبية وهي أقل اعتدالاً وأكثر مصـــادمة، وفي اتجاه جنوب غربـــي ولمسافة (٢٠٠) ياردة، عند الزاوية الجنوبية الغربية للصخرة، والتي يمتد سطحها الآن تجاه الشمال الغربـــي مسافة (١٣٠) يـــاردة إلى حيـــث توجد أكثر السمات إثارة ولفتاً للنظر في تل تصلال. وفجأة وجـــدنا أنفســـنا في مواجهة ما يمكن أن نعدّه (الطريق الموكبـــي) أو بالطريق الجنائزي. كانت قمتـــاه المستدقتان منحنيتين على قاعدة الصخرة على كلا الطرفين في شبه دائرة ذات قطر يقارب (١٧٤) خطوه (قل ١٤٥) ياردة. يجري المطاف (الطريق الموكبـــي) على الحافة الخارجية لشبه الدائرة كانت معلّمة ببلوكات متوسطة الحجم أو صغيرة من حجارة موضوعة على جانب الممشى، الذي كان عرضـــه أربـــع خطـــوات في المتوسط، غير أنها، هنا وهناك قد اختل ترتيبها بسبب السيول أو بفعل الإنسان.

كان الشكل العام للطريق الموكبـــي، على أية حـــال، واضـــحاً بمـــا فيـــه الكفاية - يوجد عند طرفه الغربـــي وعلى مسافة (٢٥) خطوة (قل ٢٠ يـــاردة) من عند قاعدة التل، مساحة مستطيلة تقريباً، طولها ثلاث وتصف خطوه على خط اتجاه شرق - غرب، وخمس خطوات اتجاه شمال جنوب، وكانت محاطة ببلوكات حجرية، بدا هذا وكأنه مكان محجوز أو غرفة خاصة أو قد يكون معبـــداً. علـــى الرغم من أنه لا يوجد دليل على أنه كانت هناك مبانٍ من أي نوع. قـــد تكـــون هذه السمة هي النهاية الطرفية للقمة المستدقة الغربية (للطريق الموكبـــي) والـــذي كانت قمته المستدقة الشرقية متناثرة بسبب الصخور المتساقطة وآثـــار تشـــويش

أخرى عليها، مما لم يدعم قناعتي باحتمال وجود (غرفة) مماثلة أخرى عند تلك النهاية.

لاحظت على أية حال في حينها، أن هناك مساحة محجوزة أو حجرة متطابقة عند هذا الطرف أيضاً. وداخل شبه دائرة مساحتها (٣ × ٥) خطوات. علماً بأن الحجارة المكوّنة للشكل العام قد اختل ترتيبها بشكل كبير. لاحظت على أية حال من عند (الغرفة) الأخرى أنه وعلى بعد مسافة (٥٠) خطوة من نقطة الملاحظة والتي تكون زاويتها شمال غرب تمس طرف الطريق على خط يجري شرق الجنوب الشرقي، ويكون بذلك، موازياً تماماً لقاعدة التل، كان هناك جلمود ضخم ارتفاعه تسعة أقدام، وطوله أربع خطوات ونصف وعرضه خطوتان وطرفه الشمالي يبعد (٣٨) خطوه من عند قاعدة التل. ويقع من حوله، على الجانب الغربي، وعلى النصفين الغربيين للجانبين الشمالي والجنوبي - ولكن ليس على الأجزاء الشرقية إطلاقاً - شريط ضيق من صخور صغيرة غير مشذبة، لم يعد لديّ أية شكوك بأني، حقيقة، قد اكتشفت كعبة نجران المفقودة منذ القديم وبها نصف المطاف. إن الصور التي التقطت في ذلك الوقت تؤكد هذه الصفة للمنظر، وفي إحدى هذه الصور يبدو من المؤكد أن وجه جلمود الكعبة قد كان يحمل في تلك الأزمان القديمة، شكلاً مرسوماً أو منحوتاً بصوره بسيطة لإله ما. والذي ربما كان هو ما قد لاحظته في حينها كضرب من لون متغيّر على سطح الصخرة. توجد ثلاث كعبات معروفة للعرب أيام الوثنية القديمة، قبل ظهور الإسلام - كعبة مكة وهي أعظم الثلاث وكعبة صنعاء، قيل إنها لا تزال موجودة في مسجد غمدان غير أني لم أسمع تأكيداً لهذا من شاهد عيان ذي صلاحية وسلطة وأخيراً كعبة نجران التي اكتشفتها أنا في ٢٥ يونيو ١٩٣٦م}[١].

٩- النخلة:

أهل نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد في كل سنة، فإذا كان ذلك العيد علّقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلي النساء،

(١) نجود الجزيرة العربية، ARABIAN HIGHLANDS جون فلبي.

ثم خرجوا إليها وعكفوا عليها يوماً، ولعلي أذكر هنا قصة فيمنون وسيّده حينما وجده يتعبّد فسأله عن دينه فقال له فيمنون سأخبرك لكن هذه النخلة لا تنفعكم ولا تضرّكم وإن دعوت عليها ربي، فتوضّى وصلى ثم دعا ربه فأرسل عليها ريح صرصر عاتية اقتلعها من جذورها وآمنوا برب فيمنون.

هناك ربط بين ولادة المسيح ونجران من خلال تأكيد فاضل الربيعي في كتابه المسيح العربي وأن مولد النصرانية الأولى أتى من نجران حيث إن "إيكولوجيا التوحيد" ويقصد من هذا المصطلح أن المراكز الدينية أتت متسلسلة كالتالي: اليمن التوراة ونجران النصرانية والإسلام الحجاز وأن هذه المراكز الدينية الكبرى (اليمن، نجران، الحجاز) شكلت بيئة تاريخية حاضنة متناسقة جغرافياً وثقافياً.

حيث إن النصرانية العربية الأولى كانت ديناً زراعياً، ارتبطت بفكرة فلاحة الأرض (كانوا يسمونهم أكارين)، بينما اليهودية كانت ديناً بدوياً ارتبط بالرعاة والمهاجرين.

ولعله من المناسب ذكر كعبة الحبشي أبرهة "لكي لا يتم الخلط بينها وبين كعبة نجران" الذي جعل صنعاء عاصمته حيث بني كاتدرائية فخمة عرفت بكاتدرائية القليس واستخدم في بنائها الأحجار المأخوذة من خرائب مدينة مأرب السبئية. وكنيسة القليس هذه بناها أبرهة الحبشي حوالي (٥٧٠م) لتكون مركز القوة السياسية والدينية للحبشة بالإضافة إلى الفائدة الاقتصادية من حركة الحجاج التي تصاحبها حركة تجارية كبيرة محاولاً بذلك أن يجعلها مركزاً يضارع الكعبة المشرّفة. كانت الكنيسة مستطيلة الشكل لها مداخل بأبواب نحاسية تؤدي إلى غرفة محمولة على أعمدة من خشب الساج مزخرفة بالذهب والفضة وتؤدي هذه الغرفة إلى إيوان أقواسه مزخرفة وبالإيوان مدخل للقبة، بهذا الجزء صلبان من الذهب، وكانت القبة من الألبستر بحيث تسمح بدخول أشعة الشمس والقمر من خلالها. ويقول المؤرخون أن أبرهة أخذ الأحجار الألبستر من قصر بلقيس في مأرب، ومن الملاحظ أن أبرهة صمّم الكنيسة بحيث تكون حولها مساحة فضاء تكون بمثابة المطاف تشبيهاً بحرم الكعبة في مكة المكرمة.

١٠- إدد:

(انظر ملحق الصور) إله الرعد وهو أحد أسماء نجران مدينة الرعد أي إله القوس، هذا من مواطن عبادة هذا الإله فالرعد مرتبط بعبادة قوس قزح، وبالتعريج على إدد في القواميس نجد الآتي:

أدد (لسان العرب)

الإِدُّ والإِدَّةُ: العَجبُ والأمر الفظيع العظيم والداهية، وكذلك الآدّ مثل الفاعل، وجمعُ الإِدَّة إِدَدٌ؛ وأمر إِدٌّ وصف به؛ هذه عن اللحياني.

وفي التزيل العزيز: لقد جئتم شيئاً إِدًّا؛ قراءة القراء إِدًّا، بكَسر الألف، إلا ما روي عن أَبي عمر وأنه قرأ: أَدًّا. قال: ومن العرب من يقول لَقد جئت بشيء آدّ مثل مادّ، قال: وهو في الوجوه كلها بشيء عظيم؛ وأنشد ابن دريد: يا أُمّنا ركبتُ أمراً إِدًّا، رأيتُ مشبوحَ الذّراع نَهْداً، فنلتُ منه رَشْفاً وبَرْداً والإِدّ: الداهية تئدّ وتؤدّ أَدًّا. قال ابن سيده: وأرى اللحياني حكى تأَدُّ، فإما أن يكون بني ماضيه على فعل، وإما أن يكون من باب أَبى يأْبى.

وأَدّه الأَمر يؤُدّه ويئدّه إذا دهاه. الليث: يقال أَدّت فلاناً داهية تؤده أَدًّا، بالفتح؛ قال رؤبة: والإِدَدَ الإِدادَ والعَضائِلا والإِدّ، بكسر الهمزة: الشدَّة.

وفي حديث عليّ، رضى الله تعالى عنه، قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: ما لقيت بعدك من الإِدَدِ والأَوَدِ؛ الإدد، بكسر الهمزة: الدواهي العظام، واحدها إِدّة، بالكسر والتشديد، والأَوَدُ: العوج.

والأَدُّ: الغلبةُ والقوّةُ؛ قال: نَضَوْنَ عنّي شدّةً وأَدًّا، من بعدِ ما كنتُ صُمُلاًّ نَهْداً وأدّت الناقة: والإبل تؤدّ أدًّا: رجَّعت الحنين في أجوافها..

وأَدَدُ الطريق: دَررُه.

وأُدَد وأُدَد: أبو عدنان وهو أُدّ بن طابخة (* قوله «وهو أدّ بن طابخة إلى قوله بمنزلة عمر» كذا في نسخة المؤلف وعبارة القاموس وشرحه وأدد كعمر مصروفاً وأدد، بضمتين، لغة فيه عن سيبويه أبو قبيلة من حمير وهو أدد، بن زيد بن كلان بن سبأ بن حمير وأدّ، بالضم، ابن طابخة بن الياس بن مضر أبو قبيلة أخرى). بن الياس ابن مضر؛ قال الشاعر: أُدُّ بن طابِخةٍ أبونا، فانسبُوا يومَ الفَخارِ

أباً كأُدٍّ، تُنفَروا قال ابن دريد: أحسب أنّ الهمزة في أُدّ واو لأنه من الودّ أي الحب، فأُبدلت الواو همزة، كما قالوا اقتت وأرخ الكتاب.

وأُدَد أبو قبيلة من اليمن وهو أُدَدُ بن زيد بن كهلان بن سبأ بن حمير؛ والعرب تقول أُدَداً، جعلوه بمنزلة ثُقَب ولم يجعلوه بمنزلة عمر؛ الأزهري: وكان لقريش صنم يدعونه وُدًّا ومنهم من يهمز فيقول أُد:

الإِدُّ (القاموس المحيط)

الإِدُّ والإِدَّةُ، بكسرهما: العَجَبُ، والأَمْرُ الفَظيعُ، والدَّاهِيَةُ، والمُنْكَرُ، كالأَدِّ، بالفتح،

ج: إِدَادٌ وإِدَدٌ.

والأَدُّ والإِدُّ والآدُّ: الغَلَبَةُ، والقُوَّةُ.

والتأدُّدُ: التشدُّدُ.

وأُدَدٌ، كعُمَرَ مَصْروفاً، وبضَمَّتَيْنِ: أبو قَبيلَةٍ.

وأُدُّ بنُ طابخَةَ: أبو أُخْرى.

أدد (الصّحّاح في اللغة)

أَدَّتِ الناقة تَؤُدُّ أَدًّا، إذا رَجَّعَتْ الحنينَ في جوفها.

والأديدُ: الجلبةُ.

وشديدٌ أديدٌ أتباع له.

والإدُّ بالكسر والإدَّةُ: الداهيةُ، والأمر الفظيع.

ومن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾، وكذلك الآدُّ مثل فاعل.

وجمع الإدَّةِ إِدَدٌ.

وأَدَّتْ فلاناً داهية تَؤُدُّهُ أَدًّا، بالفتح.

والأَدُّ أيضاً: القوة. قال الراجز:

مِن بعدِ ما كنتُ صُمُلاًّ نَهْداً نَضَوْتُ عني شِرَّةً وأدَّا

١١- أفعى نجران وسليمان:

لعل أفعى نجران القلمس[١] بن عمرو بن قطن بن همدان بن سار بن زيد بن وائل بن عبد شمس بن وائل بن حمير بن سبأ كان داعياً من دعاة سيدنا سليمان عليه السلام على نجران وولّي على نجران وكان أحكم العرب في وقته حيث ولّي على نجران من بلقيس قبل أن يولّيه سيدنا سليمان عليه السلام على نجران، وكان ممن حسن إسلامه.

وقصته المشهورة مع عساكر سليمان لما رأى طوالعهم، وجمعه لأهل نجران (وهي دار علم أي نجران) حيث قال يا أهل نجران: أنتم أهل العلم الأول فهل عندكم من هذا العلم!!!؟

قالوا له: ما لم يكن عندك يا سيدنا وأنت جهبذ العالم فيكون عندنا.

فقال لهم: إني ألبس لهم مسحاً وعباءة وأسير إليهم بثلاث: (كهانة، وطب، وحكمة).

فإن كان فيهم نبي لم يحتاجوا لطبي وحكمي لأن فيهم طباً أبلغ من طبي، ولا يسمعون من حكمتي لأن فيهم من حكمة الوحي أصدق من كهانتي، فلبس المسح وتعرّض الجند بالكهانة فلم يتعرضوه وعرض الحكمة فلم يلتفتوا إليه وعرض الطب فلم يسمعوا منه فتركهم ومضى إلى سليمان فرأى الريح تقلّه والطير تظلّه فرأى ملكاً عجيباً، فدنا من سليمان فقال سليمان:

يا آصف (كاتب سليمان) سبحان قاصف الجبابرة ذلك عميد نجران المبتكر ادعه.

فقال له آصف: هلمّ الرجل، فلما وقف بين يدي سليمان سبّح سليمان فسبّحت الجبال فقال أفعى نجران بطلت حكمتي، ثم نظر إلى البقل بين يدي سليمان فكلّ بقله تقول له: اسمي كذا وكذا.

فقال أفعى نجران: بطل طبي.

ثم قال لسليمان: إن هذا عميد نجران له من الأمر أمران بين ظلال وبيان، فآمن أفعى نجران وصدق بما أتى به سليمان.

---

(١) صبح الأعشى في صناعه الإنشاء، للقلقشندي ٤٣/٥؛ نجران في أطوار التاريخ، محمد العقيلي، ص ٤٠-٤١؛ المفصل، جواد، مرجع سابق، ٥٣٦/٣.

وقد خطب في قومه (مؤمنو نجران) فقال:

{أيها الناس إن الدهر أنذركم والموت أدّبكم فهل تجدون من ذلك مجيراً وعنه محيداً، إن الله لم يشرك أحداً في ملكة خلهم للفناء واستأثر بعدهم بالبقاء.

جعل الموت منهلاً ليس عنه مزحل، أن سليمان نبـــي الله مات أعطاه الله ما لم يعط أحد قبله ولا بعده، فلم يك بذلك يدفع المقدور ولا يصرف المحذور، ولمـــا قرب الأجل اضمحل الأمل ونـــزل الموت عليه بالفوت، فهو لكم عاريه وأنتم له تراب فأضحى لكم نوراً وكنتم له مناراً، فمن استمسك فقد أصاب ومن الحد فقد أخطأ.

دعا فأصاب ودعي فأجاب، غاب وشهدتم فأدوا ما سمعتم وعلمـــتم، أيهـــا الناس هيهات والله هيهات أصبحتم بين طبقتين من الأموات تسابقون الســـاعات وتنتظرون الميقات، خلقتم قبل الوعد والوعيد وتقدمتم النبأ وجـــاءكم الخطـــاب وغاب عنكم الثواب وإلى الله المآب - خلقتم قبل كل شيء ولكم نفع كل شيء وعليكم ضر كل شيء فعليكم الشكر ولكم النصر.

أيها الناس سمعتم وأبصرتم والسمع والبصر للفؤاد، فمن سمع وأبصر نجا ومن لها هفا وعهد الدهر لكم هباء وثأركم جبار ولتعودن أخباراً، ثم من بعد من أيـــن إلى أين}[1].

وأفعى نجران هو من احتكم إليه أبناء نـــزار بن معد بعد موت أبيهم تنفيـــذاً لوصية والدهم أن تنازعوا في الإرث أن يذهبوا إلى كاهن نجران ليحكم بينهم[2].

مما سبق يؤكد على إيمان أهل نجران المستمر من قبل النصرانية واستمرار ذلك إلى سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام والذي استمر هذا اليمان وبدأ يتناقص حتى عـــاد مرة أخرى إلى دين النصرانية وما تلا ذلك من محرقة الأخدود المشهورة والتي سبق وتم إيضاحها في ما سبق.

يقول الربيعي نقلاً عن كتاب الرحالة السوري نـــزيه المؤيد العظم (رحلة في بلاد العربية السعيدة، سبأ ومأرب الجزءان الأول والثاني، مؤسسة فادي بـــريس،

(١) (كتاب التيجان في ملوك حمير، وهب بن منبه، ١٣٤٧هـــ، الطبعة الأولى)، ص ١٦٣-١٧٨.

(٢) حركة الشعر في نجران في الجاهلية وصدر الإسلام، فائزة رداد العتيبـــي، ١٤٣٠.

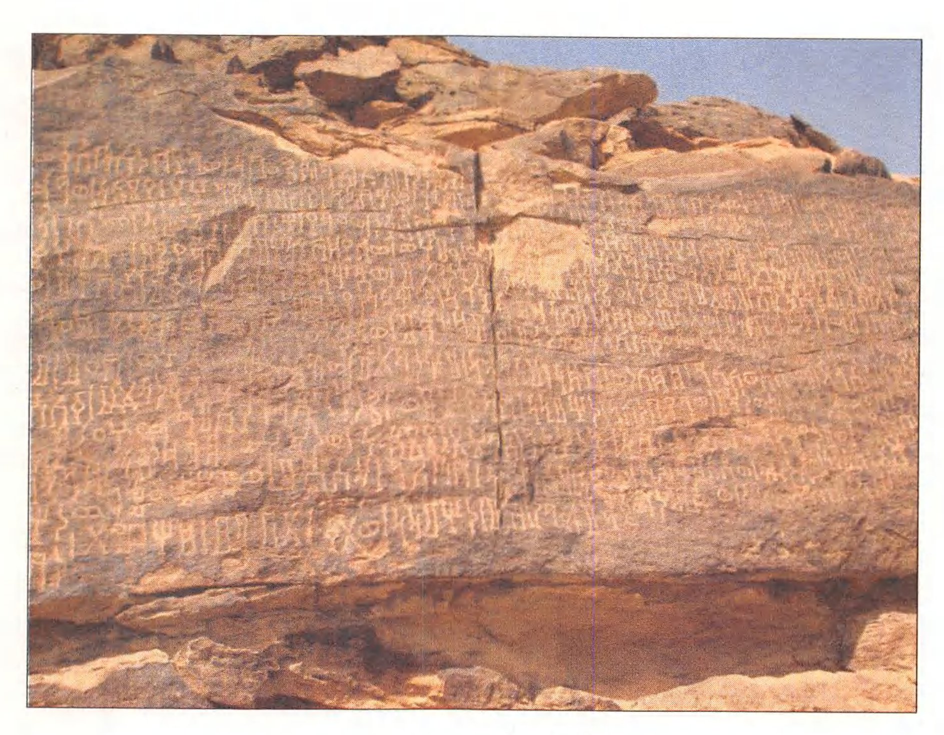
لندن، الطبعة الثانية، ١٩٨٥، ص ١٤٠-١٤١)، والذي استقى منه الشهبندر معلومته ويجد فيه نصاً عن مقابلة مع الحاخام باليمن عام ١٩١٦م:

تقابلت في القاع - قاع اليهود في اليمن - مع عدة أشخاص من كبار اليهود وعيونهم وسألتهم أسئلة متعددة عن أصل اليهود اليمانيين وعن أحوالهم وأشغالهم، وها أنا أنقل حديثاً جرى بيني وبين حاخامهم الأكبر المدعو يحيى بن إسحق في داره. سألته ماذا تعرف عن أصل اليهود في اليمن وعن مدنيتهم؟ فقال "كانت لليهود مدينة عظيمة وكان لهم ملك فخيم في شرقي صنعاء. وقد أسس ذلك الملك وتلك المدينة الملك سليمان بن داوود (..) وهل قامت تلك المملكة في نجران؟ لا أعلم بالضبط ولكنني لا أشك أنها كانت في شرقي صنعاء ومن المحتمل أنها كانت في نجران"[1].

---

(١) فاضل الربيعي في مؤلفه "فلسطين المتخيلة" [دار الفكر - دمشق ٢٠٠٨] الصادر في مجلدين وستة أجزاء ضمن ١٢٠٠ صفحة، (ج ١، ص ١٤-١٦).

ملحق الصور والخرائط



النقش في آبار حمى (شكل ١)

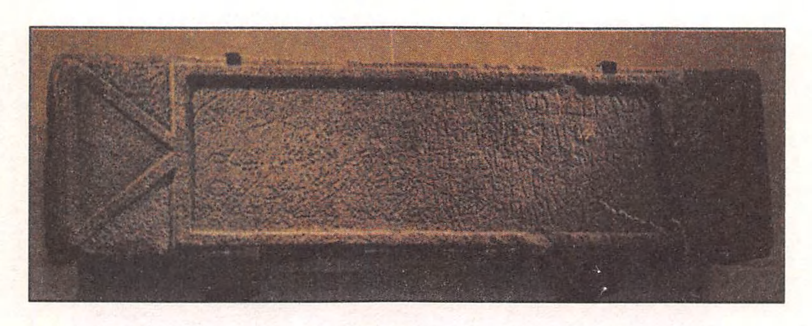
هذا النقش في عام ٥١٨م موجود في آبار حمى وهو يتحدث عن حرق لكنيسة ظفار قبل حرق مدينة الأخدود بست سنوات وهو في اثني عشر سطراً والترجمة الحقيقية لهذا النص هي:

{ليباركن ألن (إلهنا) ذي له السموات والأرض الملك يوسف أسأر يثأر ملك كل الشعوب، وليباركن الأقيال لحيعث يرخم وسميفع أشوع وشرحئيل أشوع وشرحيل أسعد بني شرحبيل يكمل ذوو يزن وجدن، الذين عاضدوا (خصروا) سيدهم الملك يوسف أسأر يثأر عندما دمر حرقا (دهر) كنيسة ظفار (قليسن) وقتل الأحباش بظفار. وعاضدوه في محاربتهم في الأشعار والركب وفرسان والمخا (مخون) والمرابطة في نجران. وفي تقوية دفاع (تصنع) ساحل وجزر المندب (سسلتن مندب). وعندما التفتوا حوله (كجمع عمهو) وأمدهم بجيش، وظفر وغنم الملك في هذه الغزوة (١٢٥٠٠) قتيل و(١١) ألف أسير و(٢٩٠) ألف من الإبل والبقر والضان وكتب هذا النص القيل شرحيل ذي يزأن عندما حارب ضد نجران بشعب

همدان حضر وبدو وصفوه يزأن وأعرب كندة ومراد ومذحج والأقيال إخوان مع الملك (يرابطون) في البحر من حبشه ويقومون بتحصين أراضي المنـــدب الرمليـــة وكل ما ذكر بهذا النص من انتصارات والغنائم والحملات الحربية حدثت قبل أن يعودوا إلى ديارهم بثلاثة عشر شهراً وليبارك الرحمن أبناء لحيعت ويجات يزهم ابن سوما أيضاً ومارشاد ايلاي بحر ابن شرحبيل هؤلاء من ياسان في شهر مـــادران في ثلاثة وثلاثين وستمائة (وكتبه) بحماية السماء وولاء وقوة الإيسين (القادة الكبار).

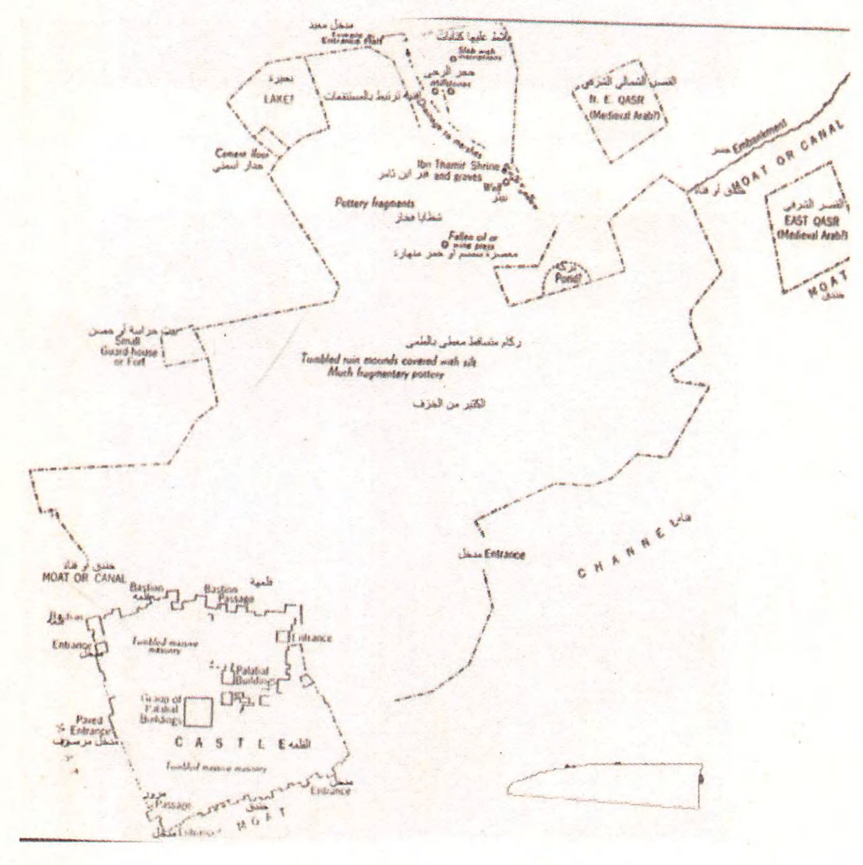
هذا المسند (النص) من كل خسيس ومخادع (يحميه) من كل مخادع يحـــاول مسحه صاغ وسطر وقدم بأسم الرحمن صاغه تميم ذحظيت رب هود بالحمد}[1].

(١) تاريخ اليمن القديم، د. محمد بافقيه، ص ١٦٢-١٦٤، سلسله آثار المملكة (منطقـــة نجـــران) ص ٩٧.

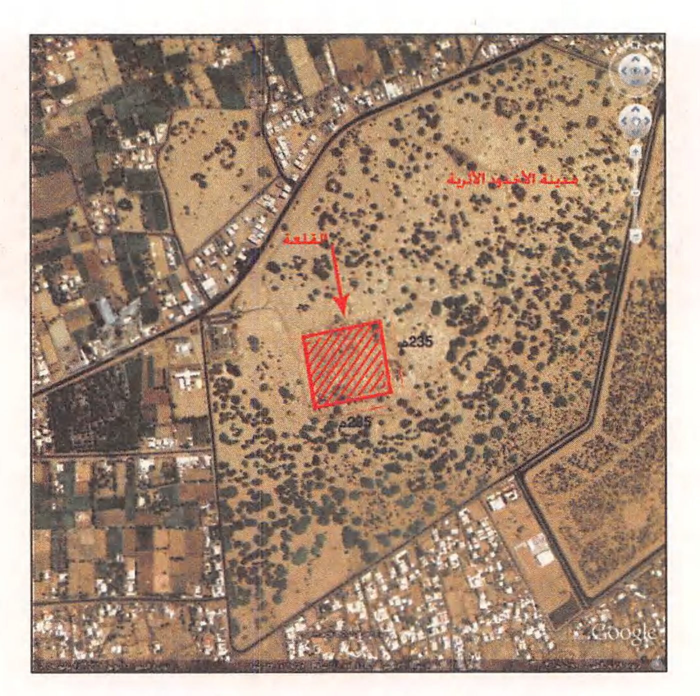


(شكل ٢) نقش النمارة

شاهد – قبر ملك العرب كُلّها، مصنوع من البازلت، وُجد في نمارة في حوران، جنوب سوريا. معروض الآن قرب الآثار الشرقية في متحف اللوفر – غرفة ١٩. كما توجد قطعة أصلية منسوخة في متحف الخط العربـــي في دمشق القديمة.



(نقش ٣): مخطط فلبي للقلعة



(شكل ٤): موقع القلعة من منظر جوي من google



(شكل ٥): صورة أخرى للقلعة من منظر جوي من google



(شكل ٦): صورة من لوحة معروضة في متحف الأخدود بنجران
تتحدث عن أهل نجران قبل الإسلام



(شكل ٧): موقع أصحاب الأخدود بالنسبة إلى قبائل الجزيرة العربية



(شكل ٨): رأس الأسد

صورة من تنقيب في مدينة الأخدود الأثرية رأس أسد وهو من (مكتشفات فلبي مع كف حيوان وقطعة من ميزاب معبد وقد أخذها إلى المتحف البريطاني) والآن موجود في المتحف الوطني في الرياض، وقد أشار معظم الباحثين إلى أن يغوث يمثّل الأسد وهو "طوطم" مذحج في المعارك حيث كان يحمل في كل معاركهم.

{يقول الدكتور رائيلنز عن مصادر قديمة أن مثل هذه الرؤوس كانت توضع عند زوايا سقف المعبد لحجز الرياح، والتي حين تعبر داخل تجويف الرأس تصدر صوتاً يشبه الزئير}.



(شكل ٩): صورة لكفّ منقوش داخل مدينة الأخدود (القلعة)



(شكل ١٠): صورة أخرى لنقوش داخل مدينة الأخدود (القلعة)



(شكل ١١): صورة لنقش الحصان على جدران القلعة



(شكل ١٢): بيوت الأخدود (منقول من رسم تخيلي من متحف الأخدود)

رقم	النظير المسند: تحريري	النظير المسند: رسمي	النظير العربي	النظير اللاتيني
١	[illegible]	𐩱	ا	ʾ
٢	[illegible]	𐩨	ب	b
٣	[illegible]	𐩩	ت	t
٤	[illegible]	𐩻	ث	ṯ
٥	[illegible]	𐩴	ج	ǧ
٦	[illegible]	𐩢	ح	ḥ
٧	[illegible]	𐩭	خ	ḫ
٨	[illegible]	𐩵	د	d
٩	[illegible]	𐩹	ذ	ḏ
١٠	[illegible]	𐩧	ر	r
١١	[illegible]	𐩸	ز	z
١٢	[illegible]	𐩪	س	s
١٣	[illegible]	𐩦	ش	š
١٤	[illegible]	𐩮	ص	ṣ
١٥	[illegible]	𐩳	ض	ḍ
١٦	[illegible]	𐩷	ط	ṭ
١٧	[illegible]	𐩼	ظ	ẓ
١٨	[illegible]	𐩲	ع	c
١٩	[illegible]	𐩶	غ	ġ
٢٠	[illegible]	𐩰	ف	f
٢١	[illegible]	𐩤	ق	q
٢٢	[illegible]	𐩫	ك	k
٢٣	[illegible]	𐩡	ل	l
٢٤	[illegible]	𐩣	م	m
٢٥	[illegible]	𐩬	ن	n
٢٦	[illegible]	𐩠	هـ	h
٢٧	[illegible]	𐩥	و	w
٢٨	[illegible]	𐩺	ى	y

(شكل ١٣): حروف الخط الحميري العام وما يقابله بخط المسند وبالخط العربي الحديث وبالخط اللاتيني

خط المسند

{كان عرب جنوبي الجزيرة العربية يتحدثون في الألف الأول ق.م. لغةً عربيةً مكتوبة، تنقش على الأحجار أو المعدن بخط أطلقوا عليه اسم "خط المسند" لأنهم اعتادوا إسناد نقوشه المكتوبة على ألواح حجرية أو معدنية بشكل أفقي في

مبانيهم الدينية والدنيوية؛ أو تحفر بخط تحريري مشتق من المسند على عسب النخل وأعواد الخشب يسمون كتاباتها "زبور حمير". وفكرة الكتابة بخط المسند مستمدة في الأصل من تلك الأبجديات الهجائية التي انتشرت في بلاد الشام وصحراء سيناء (الأبجدية الأوجاريتية والسينائية..) خلال النصف الثاني من الألف الأول ق.م، إذ أدى اتصال عرب جنوب الجزيرة العربية بالأمم والشعوب في تلك المناطق إلى إطلاعهم على أبجدياتها الهجائية، فابتكروا على هديها خطاً جديداً يتألف من تسعة وعشرين حرفاً صامتاً، تكتب منفصلة عن بعضها بعضاً، وتمثل أشكالاً هندسية غاية في الجمال والتناسق على شكل دوائر منتظمة وزوايا قائمة ومنفرجة، بالإضافة إلى وجود رمز آخر هو خط رأسي استخدم للفصل بين كلمات النصوص. وقد تركز استخدام خط المسند في جنوب الجزيرة العربية، ثم انتشر ليشمل جهات عُمان ومناطق متفرقة من وسط شبه الجزيرة العربية وشرقها، إضافة إلى وجود أمثلة له في دادان (العلا) الواقعة في شمالي غرب المملكة العربية السعودية.

وتمثل الرسوم والنقوش الصخرية قيمة فنية وثقافية على قدر كبير من الأهمية؛ ذلك أن هذه الرسوم تجسّد مرحلة مهمة من حياة الإنسان شهدت تحولات في نمط الحياة ومستوى الثقافة. ولعل أهم ما يميّز هذه الرسوم هو أنها كانت بمثابة المرحلة التمهيدية لنشأة وتطوّر الكتابة، التي اجتازت مراحل عدة ابتداءً من المرحلة التصويرية، ثم المرحلة المقطعية، وصولاً إلى مرحلة الأبجدية التي تمثّل نهاية عصور ما قبل التاريخ، وبداية العصور التاريخية.

وقد أثمرت نتائج المسح الأثري الشامل في منطقة نجران عن توثيق عدد كبير جداً من مواقع الرسوم الصخرية، والتي تحتوي على نماذج متنوعة من الرسوم الصخرية الآدمية والحيوانية والنباتية، ورسوم القبائل، والكتابات الثمودية، وكتابات المسند، والكتابات الكوفية. وتتركز هذه المواقع في المنطقة الممتدة من بئر حما، باتجاه جبال الكوكب وجبال القارة، مروراً بوادي يدمة حتى وادي تثليث. وبالرغم من أن معظم هذه الرسوم الصخرية تعود إلى العصر الحجري الحديث (من ١٠٠٠٠-٤٠٠٠ سنة ق.م) فإن بعض منها ربما يعود إلى أواخر العصر الحجري

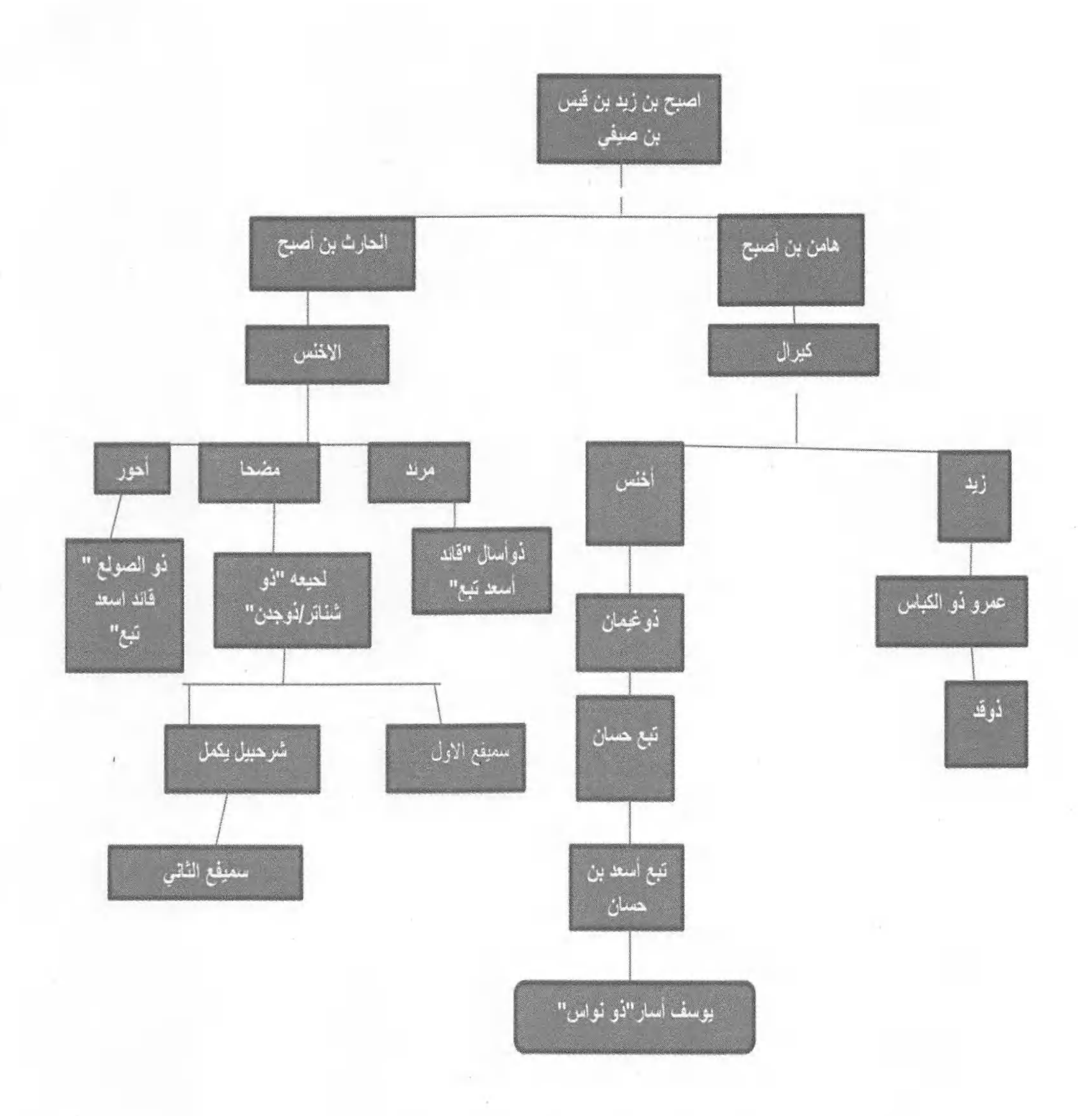
القديم (من ۰۰۰۰٥-۱۰۰۰ سنة ق.م)، في حين أن عدداً كبيراً من النقوش التي يصاحبها غالباً كتابات مسند أو كتابات ثمودية ترجع إلى الفترة اللاحقة أي من بداية الألف الأولى قبل الميلاد حتى الفترة الإسلامية، على أن العصر الإسلامي تكثر فيه الكتابات الكوفية، وتختفي الرسوم الصخرية الآدمية والحيوانية إلى حد ما.

وقد بلغ عدد النصوص العربية الجنوبية القديمة (نصوص المسند) التي أمكن حصرها من منطقة نجران حتى الآن نحو ۱٥۰۰ نص موزعة في مواقع مختلفة من أهمها: موقع الأخدود، وادي حاجة، جبال الكوكب، جبال النظيم، آبار حمى، جبل عان جمل، وجبل عان ذباح، وجبل الحصينية.

النقوش الثمودية (خط البادية):

عثر في منطقة نجران على عدد كبير من النقوش المكتوبة بخط البادية المعروف بالخط الثمودي الذي عرف في شمال الجزيرة العربية، وقد بلغ مجموع النصوص الثمودية التي أمكن حصرها من منطقة نجران نحو (۳۰۰) نقش.

وعلى الرغم من وفرة النصوص الثمودية فإنها قصيرة، ومعظمها أسماء أعلام إضافة إلى ورود أسماء بعض المعبودات، كما ترد كثيراً كلمة (ودد) بمعنى (أحب)، أو (ود)؛ ومن أهم المواقع في منطقة نجران التي عثر فيها على نقوش ثمودية هي: جبال ثعر، المسمّاة، جبل أم رقيبة، جبل عان النعام، جبل واسط، نجد سهي، النظيم، جبال الكوكب، جبال قارة}..... من بحث منشور للبروفسور سالم طيران.

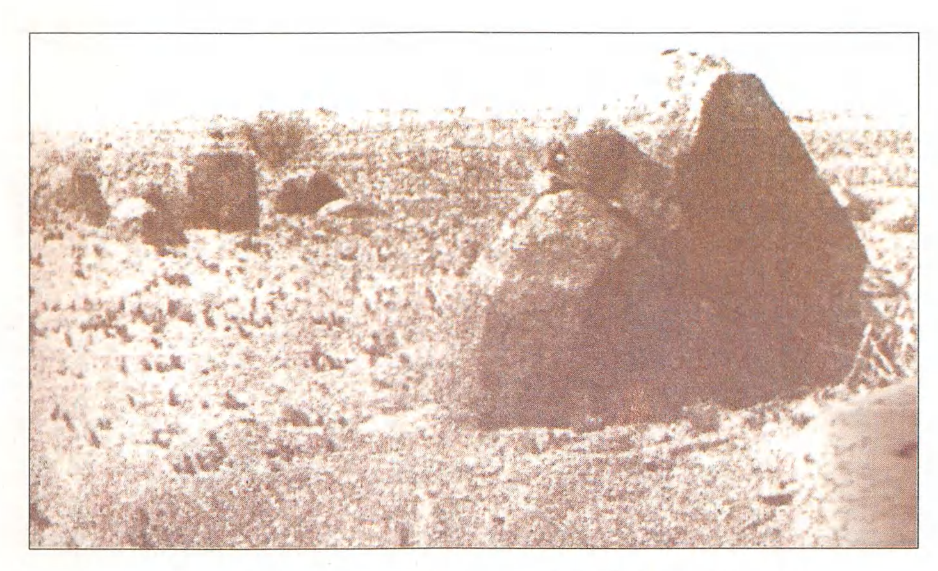


(شكل ١٤): نسب يوسف أسار ذو نواس الحميري

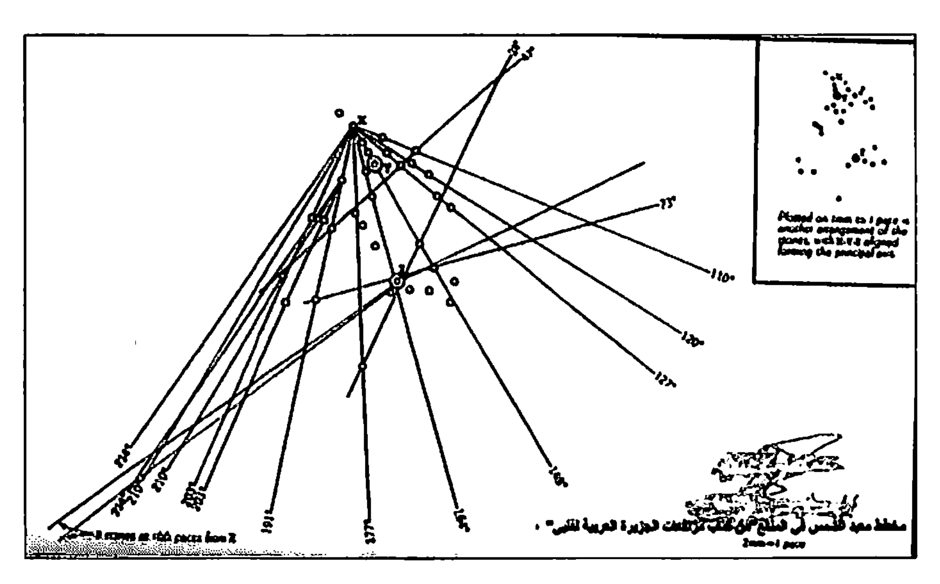
نسب ذو نواس الجديد في تاريخ دوله وحضارة سبأ وحمير - محمد حسين الفرج، المجلد الثاني، ص ٩٩٨.



(شكل ١٥): إدد إله السماء



(شكل ١٦): صورة لمعبد الشمس من كتاب مرتفعات الجزيرة العربية لفلبي



(شكل ١٧): مخطط معبد الشمس لقلبي

{هبطنا بلطف من هذا الموقع إلى سهل واسع منخفض يسمى المنقعة أو منقعة التربيث والتي كان سطحها البركاني مغطى بكثافة بنبات النجعة الجاف، ويبدو السهل وكأنه يكون خط صرف لتلال سابل ووريك. سرنا فوق هذه الأرض لمسافة ثلاثة أميال، حينما جذب انتباهي تجمع غريب لصخور جرانيتية اضطررت للتوقف لفحصها. يلاحظ وفرة الصخور البارزة في هذا المكان، غير أنه لم يساورني الشك بعد فحص مطوّل لهذه المجموعة من الجلاميد خاصة، أن ترتيبها هذا هو من عمل الإنسان، ربما كانت موقعاً لتجمّع قبليّ بدائي للعبادة أو أية أغراض أخرى، في الحقيقة فقد كان الموقع معبدا!

يمكن استيعاب الترتيب الفعلي للجلاميد وذلك بالرجوع إلى المخطط رقم (١)، غير أنه يمكن شرحه إذ إن المحور الرئيس للمجموعة كان يمر بالحجارة الرئيسية (x-y-z)، بزاوية تتراوح بين ٣٤٤ إلى ١٦٤ درجة، أو تقريباً تجاه شمال الشمال الغربي إلى جنوب الجنوب الشرقي. كان الجلمود (x) جلموداً منفرداً، بينما كان الجلمود (y) مكوناً من مجموعة من جلمودين كبيرين يبعدان عن بعضهما بخطوتين ونصف الخطوة، ومعهما اثنان آخران أصغر منهما يقعان فيما بينهما. ويبدو أن الجلمود (z) كان العنصر الرئيس للمجموعة كلها، ربما قام مقام

المذبح للقرابين وكان مكوّناً من حجر واحد كبير وآخر موضوع أعلى منه ومـــن فوقه. لا يوجد ما يشير إلى أن الترتيب دائري لهذا العدد المعتبر من الحجارة المكونة للمجموعة.

يحتوي التجمّع عند طرفه الشمالي على ثلاثة جلاميد (x), (x1), (x2)، تمتد على زاوية ١١٠ درجة من عند (x) لمسافة ١١ خطوة، أو قل ٢٧،٥ قدم. امتدت ثلاثة خطوط بالأسلوب نفسه من الحجارة من عنـــد (x) بزاويـــة ١٢٠ درجـــة (١٥ خطوة)، و١٢٧ درجة (١٧ خطوة)، و١٤٨ درجة (٣٤ خطوة) ليتكون من هذا الخط المركزي من عند (x) عبر الفجوة في (y) إلى (z) بزاوية ١٦٤ درجـــة (٣١ خطوة). امتد بعد ذلك، خط من عند (x) بزاوية ١٧٧ درجة (٣٩ خطوة) وآخر بزاوية ١٩١ درجة (٢٩ خطوة) وعليه فإن إجمالي عدد الحجارة كان أربعة.

كان الحجر الثاني منها – يقع على بعد تسع خطوات من (x) – هو لنقطـــة البؤرة لثلاثة خطوط أخرى على زاوية ٢٠٣ درجة (٢٢ خطوة)، ٢١٠ درجـــة (١٩ خطوة) و٢١٤ درجة (٧ خطوات)، بالتتالي. يمكن القول بصفة عامـــة، أن كل الأشعة من عند (x)، مركز الإشعاع، تقع بين ١١٠ درجـــة و٢١٤ درجـــة، شاغلة أكثر من ربعية البوصلة بقليل}. جـــون فلبــــي – مرتفعـــات الجزيـــرة العربية.

{عبدت الشمس في مواقع مختلفة من الجزيرة العربية، وهناك نـــص قـــرآني يؤكد على وجود هذه العبادة في القرن العاشر قبل الميلاد وذلـــك قصـــة ســـيدنا يوسف عليه السلام مع ملكة سبأ وأنها وقومها كانوا يعبدون الشمس (حكم ســـليمان من ٩٦٠–٩٢٢ ق.م) وما يؤكد اللقاء مع أفعى نجران والتي سبق شرحها}.

ويتجه قدماء النصارى في صلواتهم إلى الشرق، لأن الشمس ترمز عندهم إلى السيد المسيح المعروف بشمس العدل والموصوف بالشـــرق. وفي ذلـــك يقـــول "صرمة بن أنس" قبل الإسلام يصف صلاة النصارى إلى مطلع الشمس:

"وله شمس النصارى وقاموا كل عيد لهم وكل احتفال".

حيث إن المسلمين الأوائل كانوا يولّون وجـــوههم قبلـــة القـــدس، ثم ولاه الخطاب القرآن قبلة يرضاها وهي الكعبة في مكة.

ومن المعروف أن ألفاظ: "المسجد" و"المصلّى" و"المعبد" و"المنسك" قد سبقت الإسلام واستخدمها أهل الجاهلية ولا سيما قدماء النصارى في الجزيرة العربية ومنها نجران للدلالة على دينهم. بل إن كلمة "مسجد" ترادف كلمة "صومعة". ومما رواه سيبويه عن بعض الشيوخ في قوله[1]:

وأولو النهي أوصوا معه أوصاك ربك بالتقى
تخلو به أو صومعة فاختر لنفسك مسجداً

وقال: "الصومعة بيت النصارى. فذكر المسجد معها إشارة إلى أنها في معناها شائعة أيضا عند النصارى".

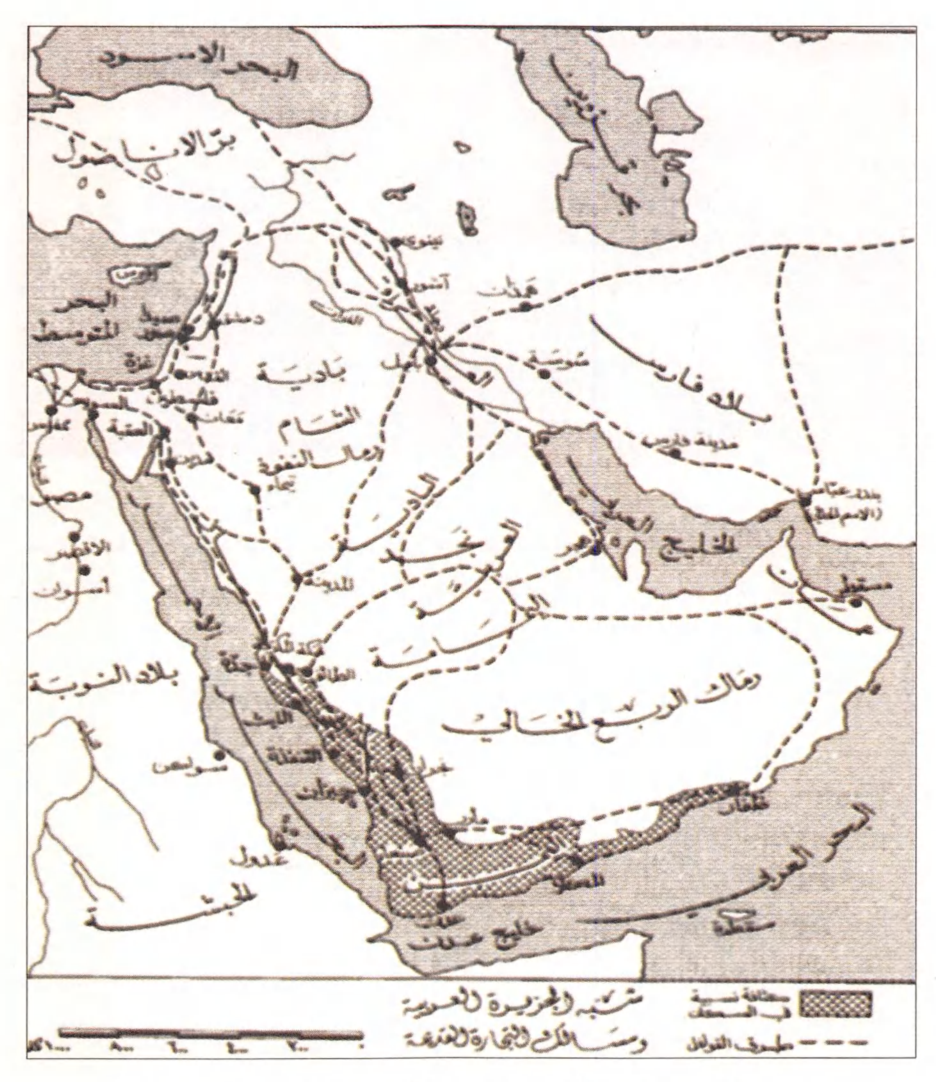
و"المحراب" كان يراد به مطلق المسجد. وكانت محاريب بني إسرائيل مساجدهم التي كانوا يصلون فيها[2]، وكذلك النصارى قد سموا صدر كنائسهم المحراب كما دل بها المسلمون بعد ذلك على صدور مساجدهم. وأنبأ البيان القرآني عن زكريا أنه كان يدخل المحراب على العذراء مريم. ﴿... كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا...﴾[3].

والمحراب شأنه شأن القبلة التي هي وجهة المسجد وقد وردت في الشعر الجاهلي – كما روي عن عبد المطلب قوله[4]:

مستقبل القبلة وهو قائم عذت بما عاذ به إبراهيم

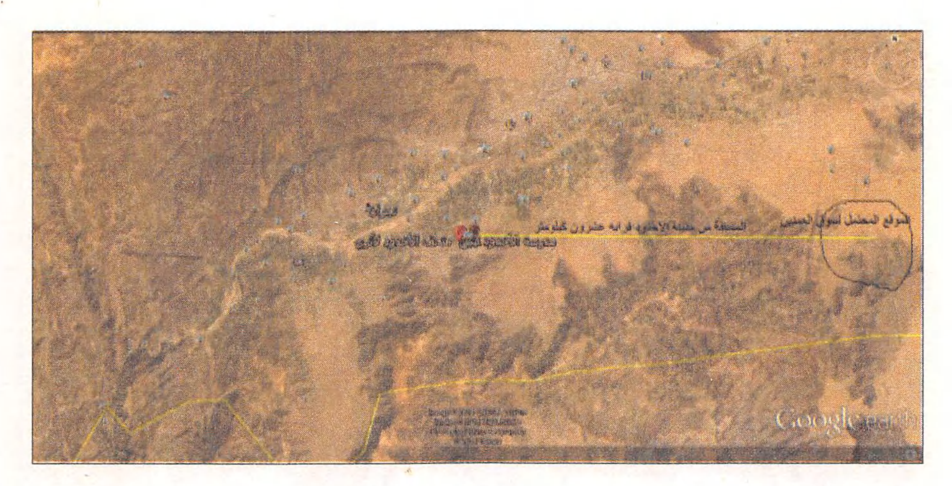
ويمكن أن نشير في هذا الصدد إلى أن نجران كانت قبلة النصارى، منذ أن اصطبغت بدماء النجرانيين، فأقام النصارى فيها مزاراً كان العرب يقصدونه من كل صوب، وقد شاع ذكر هذا المزار فأسموه "كعبة نجران" أو "الكعبة اليمانية".

(١) "تاج العروس"، سيبويه، ج ٥:٤١٩.
(٢) المرجع السابق، ١:٢٠٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.
(٤) لسان العرب، ج ٤:٣١٤.



(شكل ١٨): الجزيرة العربية والمواقع المأهولة بالسكان وطرق التجارة القديمة

من كتاب: التوراة جاءت من جزيرة العرب، كمال الصليبي، مؤسسة الأبحاث العربية



(شكل ١٩): موقع سوق العمدين حسب وصف ابن المجاور في كتابه المستبصر حيث وصف سوق العمدين بوجوده في قرية قرقرة والتي تبعد عن الأخدود بأربعة فراسخ وتم قياس المسافة بين الأخدود وجبل العمدين والوجود حالياً ووجدت نفس المسافة تقريباً ٢٠ كم بجوار صله.

الخاتمة والمراجع

الخاتمة

تعد نجران ضاربة في قلب التاريخ لتصل إلى أعلى الرتب بين المواقع المشهورة عالمياً منذ العصر الحجري، حيث اجتهدنا في تقديم حقبة زمنية مهمة، تلمسنا معظم ما طرح حولها وأوضحناه بشيء من التفصيل والتحليل، فعلى مدى أكثر من ٢٥ ألف عام كانت نجران عامرة بالآثار والناس والاستيطان وهذا الأمر جعلها من المدن القليلة في المملكة بل والعالم بأسره التي لها هذه الخصوصية وهذا التميز الرباني.

فنتيجة لمياهها الجارية من وادي نجران والمكوّنة لنهر قديم، إنه ذلك النهر الذي ذكره الجغرافي والمؤرخ بطليموس وكما رسمه في خارطته الشهيرة، والذي يتضح بأنه (لار) وهو اسم لآلهة رومانية وقد قال الجغرافي والمؤرخ الروماني بطليموس إنه يشق صحراء الربع الخالي بشكل يميل إلى الناحية الشرقية، حيث ينبع من مدينة نجران التي تقع جنوب غرب الربع الخالي ويمتد شمال إلى قرب الوسط ثم يعود شرقاً حتى يصب في الخليج العربي رغم طول امتداد هذا النهر وقوة تدفقه إلا أنه جف بعد انقلاب وتغيّر العصور المناخية.

ويقول بطلميوس عن المسيحية في نجران: إن كعبة نجران بناها بنو عبد المدان الحارثيون حيث اختاروا لها مكاناً يغص بالأشجار وهي على نهر كما يذكر الهمداني وبن جريس ويؤكد ياقوت الحموي كلامهما في كتابه معجم البلدان.

وفي زمن عبد الله بن الثامر رحمه الله (مشعل الإيمان في قلب الأخدود) عندما أمر أن يُرمى به في النهر دليلاً على وجود هذا النهر، ومن الأدلة على مرور النهر من هناك أن أهالي الرملة وجدوا الصدف والقواقع التي لا توجد إلا على ضفاف الأنهار، وكذلك بعض الرسومات على الجبال والترسبات التي ألحقها النهر بتلك

الجبال. وعباداها وتجاراها صارت محط القوافل وأصبحت مركزاً دينياً وتجارياً مميّزاً على مستوى العالم والقوى المؤثرة فيه سواء البيزنطية أو الفارسية أو غيرها.

يقول الربيعي في كتاب المسيح العربي حدث تحوّل تاريخي عندما بدأ تراجع اليهودية ثم النصرانية فأصبح الأمر كفرصة تاريخية لنجران لتستعيد مكانتها كعاصمة روحية للوثنيين، حيث كان صعودها مرة أخرى يتزامن مع صعود مكة التجاري والروحي مما أدى إلى نشوب صراع بين نجران والحجاز، بسبب وجود بيتيّ عبادة متنافسين، حيث أصبحت ربة نجران منافسة لكعبة الحجاز بسبب استغلال الكهنة الوثنيين للفراغ الروحي بعد اندثار يهودية اليمن وتراجع دور النصرانية الأولى، ليعود نتيجة لكل ذلك الوادي المقدس المسمى بوادي النخلة مرة أخرى كمركز روحي ولكن حول شجرة النخيل التي تحولت رمزياً إلى إلهة أنثى تحت اسم العزى.

مرت نجران بأحداث مهمة قبل الإسلام منها مهاجمه كرب إيل وتر (٦٢٠-٦١٠ ق.م) قبائل المحامر (المهامر) وعامر وأوهاب الذين يسكنون نجران، وغنم منهم غنائم كثيرة، وهو أول من لقب بملك من ملوك اليمن[1].

ونزل قوم من جرهم نجران فتولى أفعى نجران واسمه القلمس بن عمرو بن همدان بن مالك بن منتاب بن زيد بن وائل بن حمير، على نجران من قبل بلقيس ملكة اليمن فبعثته إلى سليمان عليه السلام وبث دين اليهودية في قومه.

ارتحل جرهم منها ثم نزل بنو حمير بعد تغلّبهم، وأنشأ دولتهم بعد أن أخضع شمر يرعش سنه ٣٠٠م قبائل المحامر (المهامر) وعامر، وقتل عدداً كبيراً من رجالهم، وغنم غنائم كثيرة[2].

ارتحل عمرو بن عامر بن حارثة الأزدي بالأزد بعد سيل العرم إلى نجران، فحاربتهم مذحج، فارتحلوا عن نجران إلى مكه[3].

---

(١) محاضرات في تاريخ العرب، ص ٢٤.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٢٣٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ٢٠٢/١.

حتى جاء الملك الحميري ذو نواس وهاجم نجران وأحرق نصارى نجـــران في الحادثة التي هزت وجدان العالم في ذلك الوقت وثقتها الوثـــائق المســـيحية مـــن مخطوطات وغيرها وأتى بتفاصيلها القرآن الكريم في سورة البروج، واتصف حـــال المؤمنين وما تعرضوا له من تنكيل وتعذيب. وحديث النبـــي ﷺ عن صهيب عن الأخدود، والقرى المحفوظة في الحديث المرفوع عن ﷺ وذكر نجران منها ومباهلة النبـــي الكريم مع نصارى نجران.

كل ذلك حدث في هذه المدينة التي وجدت أن لها مسميات عديدة مرادفـــة لاسم نجران، وبعد بحث وتقصي ثبت أن هناك مشكلة قديمة ومستمرة لدى عـــدد من المؤرخين توارثوها في تفسير بعض الكلمات وبطريقة ليس لها علاقة بالمـــدلول اللغوي الأصلي للكلمة ولا بالضلال والمحمولات الرمزية والدينية للاسم "نجـــر"، وبالتالي إجماع المصادر التاريخية التي تحدثت عن نجران وتناولت {تاريخها القـــديم بالدراسة والتحقيق}، أن نجران كانت مركزًا دينياً مشـــهورًا وهامـــاً في جزيـــرة العرب، وأنها كانت منطقة جذب للأديان والثقافات القديمة إلى أن دخلت نجـــران في الإسلام وإسلام الجزء الأكبر منهم والبقية المسيحية فرضت عليهم الجزية، حيث عيّن الرسول محمد ﷺ قيس بن الحصين "ذي الغصة" على قبيلة الحارث بن كعب بعد دخولهم الإسلام[1].

ثم عيّن بعده في السنة العاشرة للهجرة عمر بن حزم الأنصـــاري لـــيفقّههم في الدين[2] وأتبعه بسفيان بن حرب ليصلّي بالناس وراشد بن عبد ربه السلمي قاضياً[3].

وفي عهد أبو بكر عيّن أبا سفيان بن حرب والياً على نجران تبعه جريد بـــن عبد الله البجلي، ثم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب جاء يعلى بن أميـــة والـــذي أشرف على إجلاء نصارى نجران بأمر من عمر[4].

---

(١) البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران الجزء الأول.. العصر الجاهلي حتى الدولة العثمانية، عبد الواحد محمد راغب دلال، الطبعة: الجـــزء الأول، الطبعـــة الأولى ١٤١٦هـــ - ١٩٩٥م، ص ١٣٩.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ١٤١.

(٣) نفس المرجع السابق.

(٤) نفس المرجع السابق.

وقد شارك عدد من أهل نجران مع الرسول ﷺ مثل[1]:

١- بشير بن رافع النجراني

٢- أبو الأسباط

٣- محمد بن عمر بن حزم النصاري (قتيل يوم الحرة)

٤- عيدة بن العباس بن الربيع النجراني

وهذا في بدايات الإسلام ولأن هذا الأمر يحتاج إلى مزيد من البحث وهو موضع آخر خلاف موضوع كتابنا هذا والذي ركزنا فيه على الفترة التي سبقت الإسلام، على أمل أن أكون قدّمت شيئاً مفيداً للمكتبة العربية لا أهدف منه إلى أي هدف سياسي أو ديني بقدر ما هو تسليط الضوء على حقبة زمنية مهمة من تاريخ نجران.

محمد آل هتيله - نجران - أغسطس ٢٠١٤

(١) نفس المرجع السابق.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- تاريخ اليعقوبـــي، ٢٠٢/١.

٣- عوض بن علي الزهراني وآخرون، تقرير حفرية نجرانك، الموسمان الســـادس والسابع (١٤٢٩-١٤٣٠هـــ)، نشر في مداولات عليمـــة محكمـــة، للقـــاء السنوي للجمعية (٢)، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، الرياض.

٤- سميرة سعيد القحطاني، النفوذ السبئي والحميري في وسط شبه الجزيرة العربية وشمالها خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين، مداولات عليمـــة محكمـــة، اللقاء السنوي (٢)، الجمعية الســـعودية للدراســـات الأثريـــة، الريـــاض، ١٤٣٢هـــ/٢٠١١م، ص ١٢.

٥- جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام.

٦- البلادي الحربـــي، معجم المعالم الجغرافيّة في السيرة النبوية.

٧- معجم المعاني الجامع.

٨- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨.

٩- المعجم: الرائد.

١٠-المعجم الغني.

١١-المعجم: اللغة العربية المعاصرة.

١٢-المعجم: مختار الصحاح.

١٣-المعجم: عربـــي عامة.

١٤-معجم لسان العرب لابن منظور، دار لسان العرب، ١٩٧٠م.

١٥-الصّحّاح في اللغة.

١٦-القاموس المحيط، مجد الدين الشيرازي.

١٧-الأنساب، المؤلف: الصحاري، مصدر الكتاب: موقع الوراق.
١٨-الأنساب للسمعاني، دار الجنان، ١٤٠٨هـ.
١٩-تحفة ذوي الإرب لابن خطيب الدهشة، ص ١١٣.
٢٠-تاج العروس للزبيدي، ج ٨، ص ١١٧.
٢١-العقد الفريد لابن عبد ربه، ج ٢، ص ٧٤.
٢٢-ياقوت بن عبد الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ج ٥، ص ٢٦٨.
٢٣-نهاية الإرب للقلقشندي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨.
٢٤-الاشتقاق لابن دريد.
٢٥-جمهرة أنساب العرب لابن حزم.
٢٦-الأنساب للمقدسي، ص ١٣٤.
٢٧-المشتبه للذهبي، مطبعة بريل، اليمن ١٨٩٣.
٢٨-شرح المواهب اللدنية للزرقاني، ج ١.
٢٩-الاشتقاق لابن دريد.
٣٠-إنجيل متى.
٣١-موقع الفاتيكان.
٣٢-محاضرات في تاريخ العرب، د. صالح أحمد العلي، دار الكتاب للطباعة والنشر.
٣٣-مرتفعات الجزيرة العربية: الباب الثالث: بلاديام - الفصل الرابع عشر: جون فلبي، مكتبة العبيكان.
٣٤-أبي عبيد الله البكري، معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواضع، الجزء الأول.
٣٥-صحيح البخاري ومسلم.
٣٦-موسوعة الحديث.
٣٧-كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال الحديث، ٣٥١١٨.

٣٨-عمدة الأخبار في مدينة المختار للمحقق العلامة أحمد بن عبد الحميد العباسي، الصفحة ٥٨.
٣٩-آثار البلاد وأخبار العباد.
٤٠-مجلة المجمع العلمي، المجلد ٢٣، عام ١٩٤٨، ص ١٨ "دمشق".
٤١-تفسير القرطبي.
٤٢-تفسير ابن عاشور.
٤٣-يوسف مختار الأمين، "العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية: دراسة تقويمية" أدوماتو، العدد الثامن، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٤-٧.
٤٤-يوريس زارينيس وآخرون، "التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية"، أطلال، العدد الخامس ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٩-٢٦.
٤٥-عبد الله بن سعود السعود، "استئناس الجمل وطرق التجارة الداخلية في الجزيرة العربية"، أطلال، العدد الرابع عشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٤٦-جون فلبي، كتاب مرتفعات الجزيرة العربية - الصادر عن مكتبة العبيكان - الجزء الأول.
٤٧-هادي ناصر العمري: طريق القوافل القديم، ص ٥٨. وابن المجاور "تاريخ المستبصر"، ج ٢، ص ٢١٠.
٤٨-اليمن في تاريخ ابن خلدون، ص ٨٤.
٤٩-الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير، محمد حسين الفرج، المجلد الثاني، ص ٩٩٨.
٥٠-حوراني، الملاحة العربية في المحيط الهندي، ص ٢٣.
٥١-نلسن وآخرون، التاريخ العربي القديم، ص ١١٩.
٥٢-بافقيه، تاريخ اليمن القديم.
٥٣-شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، لجنة نشر الكتاب اليمني، دار الفارابي، بيروت ١٩٦٧.
٥٤-حوراني، ص ٢٣.
٥٥-رستوفتزوف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ص ١٢٣.

٥٦- اليافعي، الحضارة الإنسانية بين الشرق والغرب، ص ٢٣.
٥٧- سيديو، تاريخ العرب العام، دار ومكتبة بيبليون، ٢٠٠٧.
٥٨- رنسمان، الحضارة البيزنطية، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٧.
٥٩- بيغويفيسيكيا، العرب على حدود بيزنطة وإيران، ص ٨٥.
٦٠- تاريخ العرب، ص ٨١.
٦١- كوبشيانوف، الشمال الشرقي الأفريقي في العصور الوسيطة المبكرة، ص ٢٤.
٦٢- بينز، الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة ١٩٥٠، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
٦٣- الحداد: تاريخ اليمن السياسي، ص ١٠.
٦٤- الحميري، ملوك حمير وأقيال اليمن، ص ١٥٨.
٦٥- كوبشيانوف، ص ٣.
٦٦- ابن سيده، المخصص، ٥٣/١٠.
٦٧- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية ١٣٥٣هـ.
٦٨- وهب بن منبه، التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ١٣٤٧.
٦٩- ابن هشام، السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام المعافري.
٧٠- كوبشيانوف، الملحق الأول، ص ٣٥٤ علي، ٤٥٠/٣.
٧١- طبيعة اليهودية في الجزيرة العربية.
٧٢- د. كمال الصليبي - التوراة جاءت من جزيرة العرب.
٧٣- الطبري، تاريخ الملوك ١.
٧٤- الأعشى بن قيس، ديوانه، تحقيق حنا نصر الحتي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٦٩.
٧٥- الهمداني، صفة جزيرة العرب.
٧٦- الأب حارث إبراهيم، الرواية العربية لاستشهاد القديس حارث بن كعب ورفقائه في مدينة نجران، بيروت، منشورات جامعة البلمند، ٢٠٠٧م، ص ٩.

٧٧-من مذكرات تركي بن محمد الماضي عن العلاقـــات الســعودية اليمنيـــة، ١٣٤٢-١٣٧١، ص ٤٢٦.
٧٨-نسب معد واليمن الكبير لهشام أبو المنذر بن محمد السائب الكلبـــي المتـــوفى عام ٢٠٤هـــ.
٧٩-الأب لويس شيخو، شعراء النصرانية، دار المشرق، بـــيروت ١٩٩٩م، ج ١، ص ٧٨.
٨٠-مختصر أخبار البشر، ج ١، ص ١٥٠.
٨١-طبقات ابن سعد، ج ١، ص ٢٦٦.
٨٢-سيرة الهادي بن حسين وكتاب نجران الحديثة.
٨٣-ذكر بعث علي (ع م) إلى نجران ابن الأثير، ج ٢، ص ٢٠٥.
٨٤-محمد حسين هيكل، كتاب حياة محمد، ص ٤٨٨.
٨٥-كتاب البداية والنهاية، ص ١٠٤-١٠٥.
٨٦-بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٢٨٥.
٨٧-السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٢١٢.
٨٨-الإقبال للمرحوم السيد ابن طاووس، ص ٤٩٦-٥١٣.
٨٩-بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٣٢٠.
٩٠-مفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٤٧١ و٤٧٢.
٩١-يونغ، ك. غ "الإله اليهودي"، ترجمة نهاد خياطة، سورية - دار الحوار، ١٩٨٦.
٩٢-فتوح البلدان، ص ٧٦.
٩٣-إمتاع الأسماع، ص ٥٠٢.
٩٤-أعلام الورى، ص ٧٨ و٧٩.
٩٥-لارشاد، ١: ١٦٧-١٦٩.
٩٦-بلاذري، فتوح البلدان، ص ٧٤-٧١، ترجمه فارسي، ص ٩٣-١٠٠.
٩٧-تاريخ اليعقوبـــي، ٢: ٨٣.
٩٨-اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، ص ٨١.
٩٩-سعد عبود سمار، قبائل مذحج، ص ١٢٣ وما بعدها.

١٠٠- اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، ص ٨١.
١٠١- البكري، معجم ما استعجم، ج ١، ص ٦٥٠.
١٠٢- ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٢٩٧.
١٠٣- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٥، ص ٢٠٣.
١٠٤- ابن الكلبـــي، الأصنام، ص ١.
١٠٥- الأساطير والخرافات عند العرب، ص ٩١.
١٠٦- المحبر، ص ٣١٧.
١٠٧- الجاحظ، الحيوان، ج ٧، ص ٢١٦.
١٠٨- الخراج وصناعة الكتابة، ص ٢٢٤.
١٠٩- بيوتروفسكي، اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة، ص ٢٥٣.
١١٠- الزبيدي، الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن في الإسلام، مخطوطة في مكتبة المجمع العلمي العراقي، برقم (٤٨ تاريخ)، ورقة ٥.
١١١- شيخو، ج.
١١٢- مرتفعات الجزيرة العربية، ARAABIAN HIGHLANDS جون فلبـــي، مكتبة العبيكان.
١١٣- فاضل الربيعي، المسيح العربـــي؟ أثر للنشر، ٢٠١٣.
١١٤- الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير - محمد حسين الفرج، المجلـــد الثاني، ص ٩٩٨، القديم - د. محمد بافقيه -.
١١٥- البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران الجزء الأول.. العصر الجاهلي حـــتى الدولة العثمانية، عبد الواحد محمد راغب دلال، الطبعـــة الأولى، الجـــزء الأول، ١٤١٦هـــ - ١٩٩٥م.
١١٦- حركة الشعر في نجـــران في الجاهليـــة وصـــدر الإســـلام، فـــائزة رداد العتيبـــي، ١٤٣٠.
١١٧- صبح الأعشى في صناعه الإنشاء، للقلقشندي، ٤٣/٥.
١١٨- نجران في أطوار التاريخ، محمد العقيلي.
١١٩- التيجان في ملوك حمير، وهب بن منبه، ١٣٤٧هـــ، الطبعة الأولى.

١٢٠- سلسله آثار المملكة (منطقة نجران).
١٢١- التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، د. نورة بنت علي النعيم، مكتبة الملك فهد الوطنية، ص ١٤٢.
١٢٢- كتاب الهولوكوست الأول في التاريخ (محرقة نجران)، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٩.
١٢٣- انظر كتاب صفة جزيرة العرب، المؤلف: الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، الطبعة الأولى.
١٢٤- تاريخ المستبصر لابن المجاور عن موقع الوراق.
١٢٥- فاضل الربيعي في مؤلفه "فلسطين المتخيلة"، [دار الفكر، دمشق ٢٠٠٨]، الصادر في مجلدين وستة أجزاء ضمن ١٢٠٠ صفحة.
١٢٦- الزمخشري، "الأمكنة والمياه والجبالُ".
١٢٧- صفة جزيرة العرب، للهمداني.
١٢٨- شقيقات قريش، فاضل الربيعي، بيروت، رياض الريس، ٢٠٠٢.
١٢٩- قصة حب في أورشليم؛ فاضل الربيعي، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

المراجع الأجنبية:

1- Beirtage, S. 91.

2- Catholic Encyclopedia > J > St. Joseph Sanhedrin, 67a3-.

4- Shahid Byzantium, p. 42.

5- Zdmg, 35, 1881, pp. 2-4.

6- J.B. Bury, op. cit., p. 322.

7- Graetz, op. cit., p. 88.

الفهارس

فهرس الاسماء

فهرس الأماكن